الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

تاريخ العرب والإسلام

بحث لنيل درجة الدكتوراه

بعنوان:

الصراع السياسي والعسكري في غربي البحر المتوسط منذ تأسيس الدولة الفاطمية حتى انتقال المعز إلى القاهرة ٢٩٦-٣٦١هـ /٩٠٩-٩٧٢م

إشراف

الأستاذة الدكتورة: فايزة محمد الكلاس

إعداد

الطالب: موسى علي الكدرو الحماده

دمشق ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م

المحتوى

- الإهداء

- شكر

- دلالة الرموز (الاختصارات)

- المقدمة

- تعريف بأهم المصادر والمراجع

- المدخل

الفصل الأول

الأوضاع السياسية والعسكرية للدولة الفاطمية في المغرب العربي

أولاً- أوضاع المغرب العربي قبيل قيام الدولة الفاطمية

١- الدولة المدراريّة (بني واسول) ١٤٠- ٢٩٦هـ / ٧٥٧- ٩٠٩م

٢ - الدولة الرستميّة ١٤٤- ٢٩٦هـ / ٧٦١- ٩٠٩م

٣ - دولة الإدارسة ١٧٢- ٣٧٥هـ / ٧٨٨- ٩٨٥م

٤ - دولة الأغالبة ١٨٤- ٢٩٦هـ / ٨٠٠- ٩٠٩م

ثانياً- نشوء الدولة الفاطمية في المغرب العربي

١- الدعوة الإسماعيلية في المغرب العربي

٢- مساعي أبي عبد الله الشيعي لاقامة الدولة الفاطمية

٣- وصول عبد الله المهدي إلى شمال إفريقية وإعلان الخلافة الفاطمية

ثالثاً- الأوضاع السياسيّة والعسكريّة في عهد الخليفة المهدي

١- الصعوبات التي واجهت المهدي في بداية حكمه

٢- التوسع الفاطمي في مصر:

أ- الحملة الأولى ٣٠٢هـ/ ٩١٥م

ب-الحملة الثانية ٣٠٦هـ / ٩١٩م

ت-الحملة الثالثة ٣٢٣هـ / ٩٣٣م

٣- فتح مصر على يد المعز لدين الله الفاطمي

٤- التوسع الفاطمي في المغرب العربي الأوسط والأقصى

٥- دور المهدية في حماية الدولة الفاطمية

رابعاً- الأوضاع السياسية في المغرب العربي في عصر خلفاء المهدي

خامساً- الجيش والأسطول الفاطمي

الفصل الثاني

الصراع الفاطمي الأموي في الحوض الغربي للبحر المتوسط

أولاً- أوضاع الأندلس قبيل قيام الدولة الفاطمية

ثانياً- الطرق التي استخدمها الفاطميون في صراعهم مع الأمويين

١- محاولات الفاطميين نشر المذهب الإسماعيلي في الأندلس

٢- إعلان الخلافة الأموية في الأندلس وأثرها في الصراع

٣- دعم الفاطميين للثورات التي قامت في الأندلس ضدَّ الأمويين

٤- محاولات الفاطميين السيطرة على بلاد المغرب (الأوسط والأقصى)

ثالثاً- الأساليب التي استخدمها الأمويون في صراعهم مع الدولة الفاطمية

١- إعلان الخلافة الأموية في الأندلس وأثرها في الصراع

٢- بناء قوة بحرية

٣- موقف الأمويين لمن خرج عن طاعة الفاطميين في المغرب العربي

٤- تأييد الأمويين للثائرين على الفاطميين في بلاد المغرب العربي

٥- السيطرة على الثغور المغربية المطلة على مضيق جبل طارق

٦- تحالف الناصر مع أعداء الدولة الفاطمية

رابعاً- الصراع البحري بين الفاطميين والأمويين

الفصل الثالث

الفاطميون في صقلية وجنوب إيطالية

أولاً- السيطرة الفاطمية على صقلية

١- أهمية صقلية للفاطميين

٢- صقلية في عهد الخليفة المهدي وخلفائه

٣- حكم الكلبيين لصقلية تحت السيادة الفاطمية

٤- انتصار الفاطميين على الروم وفتح مناطق جديدة

٥- ا معركة المجاز سنة ٣٥٤هـ / ٩٦٥م

٦- صقلية قاعدة عسكرية فاطمية في البحر المتوسط

ثانياً- علاقات الفاطميين مع جنوب إيطاليا

١- الأعمال العسكرية الفاطمية في جنوب إيطاليا

٢- العلاقات التجارية الفاطمية مع المدن الإيطالية

ثالثاً- السيادة الفاطمية على حوض البحر المتوسط الغربي

الخاتمة

الخرائط والملاحق

المصادر والمراجع

ملخص باللغة الأجنبية

الفهرس العام

الإهداء

- إلى من أحمل اسمه بكل فخر إلى من علمني وربانى وكان نوراً في طريقي، إلى رمز التضحية والإصرار إلى روحه الطاهرة.

أبي الغالي: تغمدك الله برحمته

- إلى الشمس التي غمرتني نفح الحياة بها ملء إلى من كان دعائها سر نجاحي.

أمي وردة الأمل

- إلى رياحين نفسي الذين بعطرهم أتنسم رائحة الحياة.

أخوتي الأعزاء

- إلى عصافير الجنة وأمل حياتي وسعادتي.

أولادي

- إلى رفيقة دربي، إلى من قاسمتني حلو الحياة ومرها.

زوجتي الغالية

- إلى الذين ساندوني في مسيرتي العلمية .

أصدقائي

- إلى كل الأيادي البيضاء التي دعمت هذا البحث.

شكر وعرفان

- الشكر لله عز وجل أولا و أخيرا على توفيقه ونعمه (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) .

- ومصداقا لحديث النبي (صلي الله عليه و سلم): من لم يشكر الناس لم يشكر الله

- لا يسعني وقد انتهيت من إعداد هذا البحث إلا أن أتقدم بجزيل الشكر ووافر الامتنان وعظيم التقدير إلى أستاذتي الفاضلة الدكتورة : فايزة محمد الكلاس التي شرفتني بالإشراف على الأطروحة وما قدمته من علم ومعرفة، التي لولا إرشاداتها وتصويباتها ما قدر لهذا البحث أن يرى النور فاسأل الله أن يطيل في عمرها وجزاها عني وعن العلم خير الجزاء .

- كما أتوجه بالشكر والعرفان للأستاذ الكبير الدكتور سهيل زكار رحمه الله وأسكنه فسيح جناته الذي لم يتوان في تقديم الرشد والنصح وتزويدي بالمصادر والمراجع التي أفادت البحث حتى آخر لحظة في حياته سائلا الله عز وجل أن تجعل قبره روضة من رياض الجنة .

- والشكر موصول إلى أساتذتي في قسم التاريخ جميعاً دون استثناء وعلى رأسهم رئيس القسم .

- كما أتوجه بالشكر الخاص إلى أساتذة الإسلامي وكل من وقف إلى جانبي وساعدني في هذا البحث المتواضع .

- كما أنتهز هذه الفرصة لأتقدم بالشكر لجامعة دمشق وكلية الآداب والعلوم الإنسانية عميدا وإدارة، الذين أتاحوا ويسروا لي فرصة إتمام مسيرة البحث العلمي .

دلالة الرموز (الاختصارات)

الخ	إلى أخره
ت	توفي
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تع	تعليق
د. ت	دون تاريخ
د. م	دون مكان
ج	جزء
ص	صفحة
ط	طبعة
ق	قسم
ق.م	قبل الميلاد
م	ميلادي
مج	مجلد
هـ	هجري
P	صفحة
Vol	جزء

(تنبيه): التاريخ الميلادي تقريبي نظراً لاشتماله على أكثر من عام هجري.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، الذي قال فيما روي عنه: ﴿من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة﴾[1].

تعاقب على حكم المغرب العربي منذ الفتح الإسلامي سنة ٢٢هـ/ ٦٤٣م، العديد من الدول وكل دولة تركت تراثاً خاصاً بها، سواء من الناحية الحضارية أو التاريخية، وتباينت أنظمة الحكم، واتبعت كل دولة مذهب ديني وسياسي خاص بها. وبعض هذه الدول كان لها ارتباط بالخلافة العباسية في المشرق العربي، وقسم آخر خرج عليها وأعلن الحرب ضدها، ومن بين هذه الدول كانت دولة الأغالبة، والدولة المدرارية (بني واسول)، والدولة الرستمية، ودولة الأدارسة، ثم الدولة الفاطمية التي اختلفت عن غيرها من دول المغرب العربي.

إذا اعتمدت هذه الدولة منذ بداية تأسيسها على جهود فردية وشخصيات عبقرية عرف هؤلاء بالدعاة، تم إرسالهم إلى مشارق الأرض ومغاربها يدعون للمذهب الإسماعيلي، ويبشرون بقرب ظهور المهدي المنتظر من نسل إسماعيل بن جعفر الصادق.

ومن أبرز هؤلاء الدعاة أبو عبدالله الشيعي المؤسس الحقيقي للدولة الفاطمية الذي مهد الطريق وذلل الصعاب أمام الإمام عبدالله المهدي[2] الذي قدم من الشام إلى المغرب خلال رحلة طويلة محفوفة بالمخاطر، ليكون أول خليفة للدولة الفاطمية في المغرب العربي سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٩م.

بدأ المهدي يكمل بناء الدولة التي مهد لها أبو عبدالله الشيعي، فأسس عاصمة له في إفريقية أطلق عليها اسم المهدية، وبدأ يوسع رقعة دولته في داخل المغرب العربي وخارجه، ودخل في صراعات سياسية وعسكرية مع الدول المجاورة، وانتهج سياسة توسعية سار عليها خلفائه من بعده.

فأصبحت الدولة الفاطمية من أهم وأقوى الدول بعد أن سيطرت على المغرب العربي، وبدأ نفوذها يتسع على الصعيد الخارجي، من خلال الحروب التي خاضتها في حوض البحر

---

(١) رواه أبو داوود والترمذي.

(٢) ورد اسمه في أكثر المصادر والمراجع بـ (عبيد الله) وربما هذا تصغير له من قبل بعض الطوائف والمذاهب الأخرى كما أوضح احد أساتذتي، الباحث.

المتوسط الغربي ضد قوى ودول لا يستهان بها، ولا سيما الدولة الأموية في الأندلس، إذ كان الطابع العدائي هو المسيطر على العلاقة بين الطرفين، كما دخلت أيضاً في صراع مع القوى الأوروبية في البحر المتوسط، وجعلوا صقلية التي حكموها بعد الأغالبة قاعدة أغاروا منها على البلدان الأوربية، وفرضوا قوتهم وهيبتهم في البر والبحر.

أما بالنسبة لأهمية هذا البحث فتظهر من خلال رسم ملامح العلاقات الخارجية للدولة الفاطمية في غربي البحر المتوسط، وكيف اتسمت العلاقة بينها وبين دول المغرب العربي والأندلس وصقلية، ضمن إطار زمني يمتد من ٢٩٦- ٣٦١هـ/ ٩٠٩- ٩٧٢م، وذلك لمعرفة مجريات الصراع الذي حدث بين الدولة الفاطمية وتلك الدول.

أما الصعوبات والمشاكل التي واجهت البحث خلال مرحلة التحضير والإعداد فكانت عديدة، من أبرزها:

- تشعب الموضوع مع أنظمة وشعوب اختلفت أو تقاربت معها من حيث العقائد والأهداف والتطلعات، وتباين واختلاف في بعض المعلومات ما بين المصادر السنية والشيعية.

- نقص المصادر الأساسية التي تتناول مدة حكم الدولة الفاطمية في المغرب العربي وعدم توفير المصادر لطبعة واحدة لذا اعتمد على أكثر من طبعة للمصدر الواحد في بعض الأحيان.

- عدم الحصول على تراجم بعض الشخصيات التي عرفت بمجالات مختلفة، وعلى مواقع بعض المدن أو القرى أو تفسير بعض المفردات التي كانت في الغالب غير عربية.

- مع بداية تسجيل موضوع الدكتوراه قامت الأحداث والمشاكل في سورية، مما أعاق عمل البحث والدراسة، وما نتج عن ذلك من آثار سلبية سيئة جداً على البحث منها:

١- قطع الطرقات ولاسيما طريق الرقة دمشق ومنع السفر مما أدى إلى الانقطاع عن الجامعة وعرقلة مواصلة البحث وإتمامه.

٢- انقطاع التيار الكهربائي ووسائل الاتصال، وفرض حصار على الرقة بعد أن سيطرت عليها الجماعات الإرهابية المسلحة التي اتبعت سياسة محاربة العلم وإغلاق المدارس، ومنع الطلاب من متابعة دراستهم.

هذا والكثير من الصعوبات والمشاكل التي يطول ذكرها والتحدث فيها.

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة ومدخل وثلاث فصول وخاتمة. تضمن المدخل التعريف بموقع المغرب العربي وسبب تسميته بهذا الاسم.

أما الفصل الأول فقد تناول الأوضاع السياسية والعسكرية للدولة الفاطمية في المغرب العربي، وماهي الدول التي كانت تحكم في المغرب عند نشوء الدولة الفاطمية.

وتم تتبع انتشار الدعوة الإسماعيلية في المغرب، والجهود التي بذلها الداعي أبو عبدالله الشيعي في تأسيس هذه الدولة في المغرب، ومن خلال هذا الفصل تم تتبع رحلة المهدي الشاقة من بلاد الشام إلى المغرب، والمخاطر التي اعترضت طريقه، وكيف أصبح الخليفة والمؤسس الحقيقي للدولة الفاطمية، إذ بنى مدينة المهدية، ووجه الحملات العسكرية غرباً وشرقاً. ثم تطرق البحث لخلفاء المهدي، والأعمال التوسعية التي قاموا بها إلى أن تمكن الخليفة الرابع المعز لدين الله الفاطمي من الاستيلاء على مصر، وبناء القاهرة، ونقل مركز الخلافة الفاطمية إلى هناك.

وفي نهاية هذا الفصل تم التعرف على الجيش والأسطول الفاطمي، بشكل مختصر ودور هذا الجيش في تقوية الدولة وتوسيع رقعتها...

أما فيما يخص الفصل الثاني فقد تطرق إلى الصراع الفاطمي الأموي في الحوض الغربي للبحر المتوسط حيث تناول أوضاع الأندلس قبيل قيام الدولة الفاطمية، وتم ذكر الطرق والأساليب التي استخدمها الفاطميون والأمويون في صراعهم مع بعضهم البعض، وما كان لهذا الصراع من أثر واضح في رسم ملامح العلاقات الخارجية بين الدولتين، وأيضاً علاقاتهما مع دول أخرى، سواء في المغرب العربي أو في أوروبا.

وأوقف الفصل الثالث على لمعرفة السيطرة الفاطمية على جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، وأهمية هذه الجزيرة في البحر المتوسط، وكيف تمكن العرب المسلمون من فتحها بعد جهاد استمر لسنوات، حتى تمكن قاضي القضاة أسد بن الفرات في زمن دولة الأغالبة من فتحها، وكيف أصبحت صقلية تابعة للسيادة الفاطمية، كما تم البحث عن حكم الأسرة الكلبية لصقلية، وعن الانتصارات التي أحرزها الفاطميون ولاسيما في معركة المجاز، وفتح مناطق جديدة في حوض البحر المتوسط.

وفي نهاية هذا الفصل تم تبيان السيادة الفاطمية على حوض البحر المتوسط الغربي، إلى أن تمكن الخليفة المعز لدين الله الفاطمي من الانتقال إلى مصر، لتبدأ الدولة الفاطمية مرحلة جديدة، بعد أن تركت حكم المغرب العربي بيد القائد الصنهاجي بلكين ابن زيري، الذي اصبح نائب المعز في المغرب.

واعتمد البحث على مجموعة كبيرة من المصادر والمراجع، وحاول الباحث الاستفادة من أي مصدر أو مرجع تسنى الحصول عليه سواء كانت له صلة مباشرة أو غير مباشرة بالموضوع كيفما كانت نزعة مؤلفه، وذلك بقصد أخذ نظرة شاملة وعميقة من شأنها أن توضح المبهم، وتظهر الحقيقة.

تعريف بأهم المصادر والمراجع

كثيرة هي العلوم الإنسانية، ويعدُّ علم التاريخ من أهمها بل يستحق أن يكون أمّاً للعلوم، وبما أنه يقوم على تدوين الحدث، فإن هذا الحدث لا بد له من مصادر تؤكد حدوثه، وتؤرخ له من جميع جوانبه، وكون الحقبة الممتدة من النصف الأول للقرن العاشر الميلادي، فقد شهدت أحداثاً عظيمة غيرت مجرى التاريخ، في مناطق مختلفة من البلاد العربية الإسلامية لاسيما في شمالي إفريقية والحوض الغربي للبحر المتوسط، فقد سقطت دول وظهرت أخرى جديدة، واتسعت دول أخرى، وكان لها تأثير واضح في مجريات الأحداث التاريخية، ولمعرفة هذه الأحداث، وكيفية وقوعها، وتأثيرها على البلدان المجاورة، لابد من العودة إلى المصادر التي أرخت لها، وقد تبين من خلال دراسة تلك المصادر أن هناك بعض الاختلافات في بعض الروايات، وهذا يعود لاعتبارات كثيرة، أثرت على المؤرخين، وتم الاعتماد على مصادر متعددة من الطرفين والمقارنة بينها للوصول للحقيقة التاريخية، فقضت الحاجة العودة إلى المصادر المتخصصة التي أرخت لتلك الأحداث " الجغرافية والتاريخية "، ومصادر التراجم والمصادر اللغوية، لإعطاء صورة واضحة عن طبيعة هذه الأحداث. وخلال دراسة المصادر سيتم تقسيمها إلى مصادر مغربية أندلسية وأخرى مشرقية.

أولاً- المصادر المغربية والأندلسية:

تُعدّ المصادر المغربية والأندلسية من أهم المصادر التي تحدثت عن تاريخ الدولة الفاطمية في المرحلة المغربية، وقد تم ترتيب أسماء المؤرخين تبعاً لحروف الهجاء:

١-البكري[١] ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م:

عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكري، أكبر جغرافي عربي في الأندلس وأشهر أديب في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. اختلف أرباب التراجم في تاريخ ولادته، فقال البعض إنه ولد في النصف الأول من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، كان من عائلة عربية يرجع أصلها إلى قبيلة بكر بن وائل. ويبدو أنه

(١) الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م، ج٤، ص٩٨، (سيشار إليه بـ الزركلي: الأعلام).

انتقل مع أبيه إلى قرطبة في سنة ٤٤٣هـ/ ١٠٥١م، وبقي فيها يواصل تنمية ثقافته الأدبية والعلمية حتى لُقب بالقرطبي، إلا أن أكثر شهرته هي الأندلسي. فالبكري لغوي وأديب قبل كلّ شيء رغم أنه اشتهر بصفته جغرافيا في المشرق والمغرب، أما معجمه الجغرافي فهو كتاب لغة قبل كلّ شيء. ومن أهم مؤلفاته:

- **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**[١]: وهو قطعة من كتابه الكبير المسالك والممالك،

ويُعدّ هذا الكتاب وثيقة مهمة عن أحوال بلاد المغرب تاريخياً وجغرافياً حتى منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، لا سيما في الحقبة التي نشأت فيها الدولة الفاطمية في تلك البلاد، وترجع أهمية هذا المصدر إلى أن صاحبه اعتمد على دراسات عدد من المغاربة الذين سبقوه، وخاصة مؤلفات محمد بن يوسف الوراق القيرواني ت٣٦٣هـ/ ٩٧٣م، وهو أهمّ مراجعه.

واشتمل هذا المصدر أيضاً على معلومات قيمة عن أرض كتامة، حيث نزل هناك الداعي أبو عبد الله الشيعي، كما تحدث عن المغرب الأوسط، وأشار البكري إلى مراكز الدعوة الإسماعيلية الأولى في ديار كتامة. وبذلك قدم معلومات قيمة للبحث في معظم فصوله.

٢. الجوذري[٢] **٠٠٠ - ٣٩٠ هـ / ٠٠٠ - ١٠٠٠ م:**

منصور أبو علي الجوذري العزيزي، يعود بنسبه إلى العزيز باللَّه الفاطمي، تولى الكتابة للأستاذ جوذر الصقلبي سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م، وهما في المهدية، واشتدت صلته بجوذر حتى كان أمينه ومستودع أسراره، ومات جوذر في طريقه إلى مصر سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٣م، فصنف منصور أخباره وأدخل فيها كثيراً من الوثائق والنصوص في كتاب سيرة الأستاذ جوذر، وحلّ محله في خدمة المعز لدين الله ثم العزيز فالحاكم بأمر الله، متولياً أمانة سرهم وحفظ توقيعاتهم

---

(١) وهو جزء من المسالك والممالك، نشر دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د. ت.

(٢) الجوذري، منصور العزيزي: سيرة الأستاذ جوذر، تح: محمد كمال حسين، ومحمد شعيرة، دار الفكر العربي، مصر، د. ت، ص٢، (سيشار إليه بـ الجوذري: سيرة)؛ الزركلي: الأعلام، ج٧، ص٢٩٨. كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٩٩٣م، ج١٣، ص١١، (سيشار إليه بـ كحالة: معجم المؤلفين).

والكتب التي ترد عليهم، وتولى الأوقاف بمصر، كما تولى أيضاً في أيام الحاكم الحسبة وسوق الرقيق والسواحل وأعمال أخرى. ويظهر أنه مات في أيام الحاكم. ويعتبر كتابه:

– **سيرة جوذر**[١]: له أهمية كبيرة حيث شرح فيه علاقة الدولة الفاطمية بالقبائل الإفريقية، وأشار إلى نجاح الدولة في القضاء على الثورات وخاصة ثورة أبي يزيد الخارجي، كما استعرض فيه الحياة السياسية والإدارية في بلاد المغرب حتى رحيل المعز إلى مصر، وذكر فيه نماذج من خطب الخلفاء الفاطميين وقد أفاد هذا المصدر البحث في جوانب عديدة.

٣. الحَمِيدي[٢] **٤٢٠ – ٤٨٨ هـ/ ١٠٢٩ – ١٠٩٥ م:**

أبو عبد الله محمد بن أبي نصر بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي، مؤرخ ومحدث أندلسي، من أهل جزيرة ميورقة، أصله من قرطبة. وهو صاحب ابن حزم وتلميذه، رحل إلى مصر ودمشق ومكة، وأقام ببغداد فتوفي فيها من كتبه:

– **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**[٣]: ألفه في بغداد، وذكر في خطبته أنه كتبه من حفظه، افتتحه بمقدمة تاريخية عن ولاة الأندلس منذ الفتح حتى عصر الحسنيين، ثمّ أورد ما يحضره من أسماء رواة الحديث بالأندلس، وأهل الفقه والأدب، وذوي النباهة والشعر، ومن له ذكر منهم أو ممن دخل إليهم، أو خرج عنهم في معنى من معاني العلم والفضل أو الرياسة والحرب، وقد رتبهم على حروف المعجم، وكانت الفائدة منه كبيرة وخاصة في الفصل الثاني.

---

(١) تح: محمد كمال حسين، ومحمد شعيرة، دار الفكر العربي، مصر، د. ت.

(٢) ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٠٠م، ج١، ص٤٨٥، (سيشار إليه بـ ابن خلكان: وفيات)؛ المقري: أحمد بن محمد: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨م، ج١، ص٣٨١، (سيشار إليه بـ المقري: نفح الطيب)؛ الزركلي: الأعلام، ج٦، ص٣٢٧.

(٣) الدار المصرية، القاهرة، ١٩٦٦م.

٤- الحميري[١] ٠٠٠ - ٩٠٠ هـ /٠٠٠- ١٤٩٥م

محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم بن عبد النور، أبو عبد الله الحميري، عالم بالبلدان والسير والأخبار، أندلسي من أهل سبته، أهم مؤلفاته:

- **الروض المعطار في أخبار الأقطار[٢]**: جعل الحميري من هذا الكتاب معجماً جغرافياً وتاريخياً، جغرافياً: لأنه يصف الأقطار وما تتميّز به، وتاريخياً: لأنه يذكر الأخبار والوقائع المتصلة بتلك البلدان. لهذا كانت فائدة البحث منه كبيرة في كل فصوله.

٥. ابن حيان[٣] ٣٧٧ - ٤٦٩ هـ/٩٨٧ - ١٠٧٦م:

أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن محمد بن حيان بن وهب بن حيان مولى الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، هو من أهل قرطبة، أحد المؤرخين الكبار في الأندلس، وُلِد في قرطبة وتلقى علومه على يد والده، ثم مجموعة من كبار علماء الأندلس، وله عدة كتب في التاريخ والتراجم، فُقِد أكثرها، من أشهرها:

. المقتَبس من أبناء أهل الأندلس[٤]: ويقع في عشرة أجزاء، لم يبقَ منها سوى ثلاثة، تناول فيه تاريخ الأندلس من الفتح العربي الإسلامي حتى قبيل وفاته، وكانت الفائدة منه كبيرة، وخاصة في الفصل الثاني المتعلق بالأندلس، ولذا فهو من المصادر المهمة التي لابد من الرجوع إليها.

٩. ابن الخطيب[٥] ٠٠٠- ٧٧٦هـ / ٠٠٠- ١٣٧٤م:

---

(١) الزركلي: الأعلام، ج٧، ص٥٣.

(٢) تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط٢، بيروت، ١٩٨٤م.

(٣) ابن خلكان: وفيات، ج٢، ص٢١٨-٢١٩؛ الذهبي: سير، ج١٣، ص٤٦٩؛ الزركلي: الأعلام، ج٢، ص٢٨٩.

(٤) تح: عبد الرحمن الحجي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م.

(٥) السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري؛ ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٨م، ج٣، ص١٩١، ج٤، ص١٣، (سيشار إليه بـ السلاوي: الإستقصا).

هو لسان الدين الغرناطي، كان مؤرخاً ووزيراً لملوك بني الأحمر في غرناطة، وقد جعله منصبة هذا عرضة لتقلبات الظروف السياسية وما تبعها من نفي وتشريد إلى أن استقر في فاس، وتفرغ للقراءة والتأليف والتنقل بحثاً عن المعارف، ولعل أشهر ما كتبه كان في ميدان التاريخ. وأشهر كتبه:

– **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام:** تم الاستفادة من القسم الثاني من هذا الكتاب، وهو أهمّ الأقسام إذا تناول ابن الخطيب تاريخ إسبانيا باهتمام دقيق.

٦. ابن أبي دينار[١] ٠٠٠– ١١١٠هـ/ ٠٠٠– ١٦٩٨م:

الفقيه العلامة أبو عبد الله الشيخ محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف ابن أبي دينار. له عدة مؤلفات منها:

– **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس[٢]:** جعله المؤلف في سبعة أبواب: الأول في تعريف تونس، والثاني في تعريف إفريقية، والثالث في فتحها، والرابع والأهمّ تحدث فيه عن قيام الدولة الفاطمية في إفريقية، واعتمد عليه البحث في مواضع عدة.

٧. ابن سعيد[٣] ٦١٠ – ٦٨٥هـ/ ١٢١٤ – ١٢٨٦م:

علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد، العنسيّ المدلجي، أبو الحسن، نور الدين، من ذرية عمار بن ياسر، مؤرخ أندلسي، من الشعراء والعلماء بالأدب، ولد في قلعة يحصب قرب غرناطة، ونشأ واشتهر بغرناطة، وقام برحلة طويلة زار بها مصر والعراق والشام، وتوفي في تونس، وقيل في دمشق. من مؤلفاته:

---

(١) مخلوف، محمد بن محمد: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٩هـ، ص٣٠٧، (سيشار إليه بـ مخلوف: شجرة)؛ الزركلي: الأعلام، ج٧، ص٦.

(٢) مطبعة الدولة التونسية، ط١، تونس، ١٣٨٦هـ.

(٣) الكتبي، محمد بن شاكر: فوات الوفيات والذيل عليها، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م، ج٣، ص١٠٣– ١٠٤، (سيشار إليه بـ الكتبي: فوات)؛ الزركلي: الأعلام، ج٥، ص٢٦.

– **المغرب في حلى المغرب**[1]: ويعد هذا الكتاب مصدراً مهماً من المصادر التي اعتمد عليها البحث في تتبع طلائع الشيعة والعلويين في بلاد المغرب، وهذا الأمر كان له أعظم الأثر في وضع الأسس التي قامت عليها الدولة الفاطمية بتلك البلاد، كما زود البحث بمعلومات تخص العلاقة بين الفاطميين وأموي الأندلس من جهة، ومع البيزنطيين في صقلية وجنوب إيطاليا من جهة ثانية.

٨ . السلاوي[2] **١٢٥٠ – ١٣١٥هـ/ ١٨٣٥ – ١٨٩٧م:**

أحمد بن خالد بن حماد بن محمد الناصري الدرعي، شهاب الدين، السلاوي: مؤرخ باحث، مولده ووفاته في مدينة سلا ب في المغرب الأقصى، ينتهي نسبه إلى الشيخ محمد بن ناصر الدرعي، وهو من عرب معقل، الداخلين للمغرب في القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد، من أسرة تنتمي إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (من زوجه زينب بنت علي)، فهم جعفريون زينبيون. اشتهر صاحب الترجمة بتاريخه الممتع النفيس:

– **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**[3]: تحدث فيه المؤلف عن التاريخ العام من عهد الرسول ﷺ إلى تاريخ الدولة السعدية في المغرب، وجاء في خمسة أجزاء، كانت الفائدة من الجزء الأول الذي اغنى البحث بمعلومات قيمة.

٩. ابن عِذَاري[4] **٠٠٠ – ٦٩٥هـ/ ٠٠٠ – ١٢٩٥م:**

محمد (أو أحمد بن محمد) المراكشي، أبو عبد الله المعروف بابن عذاري مؤرخ أندلسي الأصل، من أهل مراكش. ومن مؤلفاته التاريخية:

---

(١) تح: شوقي ضيف، دار المعارف، ط٣، القاهرة، ١٩٥٥م.

(٢) الزركلي: الأعلام، ج١، ص١٢٠.

(٣) تح: جعفر الناصري، ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤م.

(٤) الزركلي: الأعلام، ج٧، ص٩٥.

– **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب**[1]، أو البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب. والكتاب مقسم إلى ثلاثة أقسام نشرت في أربعة مجلدات ثلاثة حققها: ج. س.كولان، وليفي بروفنسال، والرابع تحقيق: إحسان عباس، وهو من أعظم المصادر وأوثقها في تاريخ المغرب والأندلس، إذ أنه يغطي مرحلة زمنية تمتد من الفتح الإسلامي للمغرب حتى سنة ٦٦٧هـ/ ١٢٦٨م، معتمداً فيما أورده من أخبار على مصادر متعددة، الكثير منها مفقود، مثل كتابي الرقيق القيرواني والوراق وغيرهما.

وقد اعتمد البحث كثيراً على البيان المغرب خاصة المجلد الأول، لما تضمنه من معلومات هامة ذات صلة بكافة فصول البحث، وأهميته تتأكد بصورة أكبر إذ أنه قد أكمل النقص الذي سببه فقد بعض قطع المقتبس. فالجزء الأول تحدث فيه عن أخبار إفريقية من الفتح الإسلامي الأول في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ثم أخبار أمرائها من ولاة الخلفاء الأمويين، ومن دخل الغرب منهم ومن قام بإفريقية من الصفرية والإباضية، ثم قام فيها بالدولة العباسية ومن ملكها من بني الأغلب ومن بعدهم الفاطميين، وأخبار زناته والصنهاجيين وغيرهم وكل ما اشتهر من أمرهم إلى حين انتقال الفاطميين إلى البلاد المصرية، واستخلافهم صنهاجة على أفريقيا، فكان بحق المصدر الأول في هذا البحث، لأنه أغنى فصول الأطروحة كافةً بمعلومات قيمة ونادرة.

١٠. القاضي النعمان[2] **٠٠٠ – ٣٦٣ هـ / ٠٠٠ – ٩٧٤ م:**

أبو حنيفة النعمان بن أبي عبد الله محمد بن المنصور بن أحمد بن حيون التميمي، ويقال له القاضي النعمان، من أبرز مؤسسي التشريع الفاطمي، ومؤرخ رسمي لدى الفاطميين، واسع العلم بالفقه والقرآن والأدب والتاريخ، وهو من أهل القيروان مولداً ومنشأ، تفقه بمذهب المالكية، وتحول إلى مذهب الإمامية، عاصر المهديّ والقائم والمنصور والمعز وخدمهم، وقدم مع المعز إلى مصر، وهو كبير قضاته. له عدة مؤلفات أهمها:

(١) تح: ج.س. كولان، وإ.ليفى بروفنسال، دار الثقافة، لبنان، ط٣، ١٩٨٣م.

(٢) ابن خلكان: وفيات، ج٥، ص٤١٥؛ الزركلي: الأعلام، ج٨، ص٤١.

– **المجالس والمسايرات**[1]: دون فيه النعمان حياة الخلفاء الفاطميين الأربعة، ووصف حياتهم الخاصة، وذكر مجالسهم مع أصحابهم ودعاتهم ورجال دولتهم، وفيه معلومات قيمة عن النواحي الدينية والتاريخية والتنظيمات الإدارية والعلاقة بالقبائل وأهل البلاد، فكان كتاب تاريخ وسيرة وعقيدة وأدب، ويعد من أهم المصادر التي تحدثت عن العصر الفاطمي في الدور الأول وقد تمت الاستفادة من هذا الكتاب في مواضيع مختلفة من فصول الأطروحة وخاصة الفصل الأول.

– **افتتاح الدعوة**[2]: يُعدّ أهمّ مصدر أولي يضم وصفاً مفصّلاً عن تأسيس الحكم الفاطمي في شمال أفريقيا، كما يروي عن المراحل المتتالية للدعوة الإسماعيلية، كونه يشكل دراسة متكاملة عن الحركة الإسماعيلية منذ بدايتها في بلاد المغرب على يد دعاتها الأوائل، حتى نجاح أبي عبدالله الشيعي في إدخال قبيلة كتامة في هذه الدعوة، والإفادة من قوتها في بناء الدولة الفاطمية في أفريقيا، والقضاء على دولة الأغالبة الممثل الشرعي للخلافة العباسية في بلاد المغرب، كما قدم معلومات قيمة عن حكم الخلفاء الأربعة الأوائل (المهدي والقائم والمنصور والمعز) فيما يتعلق بعلاقاتهم الداخلية والخارجية. وقد تبين أنّ الافتتاح هو المصدر الأصلي الذي أخذت منه مصادر عدة، كما أنه من أهم المصادر التي اعتمد عليها البحث.

. دعائم الإسلام[3]: من مصادر النعمان المهمة التي تمثل ذروة ما قام به من جهد دام خمسين سنة في وضع التشريع القضائي الفاطمي، وقد عرف على أنه القواعد الفقهية للقضاء التشريعي للدولة الفاطمية.

١١ـ القرطبي[4] ت٣٦٩هـ/ ٩٧٩م:

---

(١) تح: الحبيب الفقي، وآخرون، دار المنتظر، ط١، بيروت، ١٩٩٦م.

(٢) تح: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٨٦م.

(٣) تح: أصف فيضي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣م.

(٤) المراكشي، محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري: السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، ط١، بيروت، ١٩٦٥م، ص١٤١، (سيشار إليه بـ المراكشي: السفر الخامس).

عريب بن سعيد مؤرخ ومهندس وطبيب، من أهل الأندلس اعتنق الإسلام ودخل في خدمة الخليفة الأموي الحكم المستنصر، له عدة مؤلفات منها في التاريخ:

- **صلة تاريخ الطبري**[١]: وهو مختصر لتاريخ الطبري، وأضاف إليه أخبار إفريقية والأندلس، وقد نقل ابن عذاري منه في كتابه: " البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"، وكانت فائدة البحث من كتاب القرطبي كبيرة.

١٢. المقري[٢] **٩٩٢ - ١٠٤١هـ/ ١٥٨٤ - ١٦٣١م:**

أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى، أبو العباس المقري التلمساني المؤرخ الأديب الحافظ، والمقري نسبة إلى مقَّرة من قرى تلمسان، ولد ونشأ في تلمسان في المغرب، وانتقل إلى فاس، فكان خطيبها والقاضي بها. ثم تنقل في الديار المصرية والشامية والحجازية، وتوفي في مصر ودفن في مقبرة المجاورين. وقيل: توفي بالشام مسموماً، له العديد من الكتب منها:

. نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب[٣]: في تاريخ الأندلس السياسي والأدبي، مصنف كبير يحتوي على فقرات واقتباسات عديدة في التاريخ والأدب، استمدها المؤلف من كتب مفقودة، مما أعطى هذا الكتاب أهمية كبيرة، إذ يعد من المصادر الأصلية للأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى أيامها الأخيرة، فكان من أهم المصادر التي اعتمد عليها البحث خاصة في الفصل الثاني.

ثانياً- المصادر المشرقية (مصر، بلاد الشام، اليمن):

١- ابن الأثير[٤] **٥٥٥- ٦٣٠هـ/ ١١٦٠- ١٢٣٣م:**

---

(١) دار التراث، بيروت، ١٣٨٧م.

(٢) الزركلي: الأعلام، ج١، ص٢٣٧؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج٢، ص٧٨.

(٣) تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م.

(٤) ابن خلكان: وفيات، ج٣، ص٣٤٨؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط؛ وإبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٩٨٣م، ج١٦، ص٢٥٧، (سيشار إليه بـ الذهبي: سير)؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: العبر في خبر من غبر، تح: محمد السعيد، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ج٥، ص١٢٠، (سيشار إليه بـ الذهبي: العبر).

الشيخ الإمام العلامة المحدث الأديب النسابة، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري، الشيباني، ابن الشيخ الأثير أبي الكرم، مصنف التاريخ الكبير المعروف بـ الكامل، ولده بجزيرة ابن عمر على نهر الفرات، ونشأ بها، وأخواه العلامة مجد الدين، والوزير ضياء الدين، ثم انتقل مع والده إلى الموصل، وكان إماماً علامة، وإخبارياً أديباً متفنناً رئيساً، محتشماً، كان منزله مأوى طلبة العلم، وقد أقبل في آخر عمره على الحديث إقبالاً تاماً، ويعد ابن الأثير أبرز مؤرخي العرب المسلمين بعد الطبري، مؤلفاته التاريخية تبرز ذلك، وقد كتب في أربعة أنواع من التاريخ، وأبدع فيها جميعاً، فكتابه الكامل في التاريخ هو في التاريخ العام الحوالي، وكتابه أسد الغابة في معرفة الصحابة في التراجم، وكتابه الباهر في تاريخ الدولة الأتابكية في تاريخ الدول والأسر، أما اللباب في تهذيب الأنساب فهو في علم النسب اختصره من كتاب الأنساب للسمعاني. ويعد كتابه:

. الكامل في التاريخ[1]: من أهمّ مؤلفاته، إذ تناول فيه دراسة التاريخ العام للبلاد العربية الإسلامية، كما اعتمد في دراساته عن الدور المغربي للدولة الفاطمية على رواة مغاربة، وكان من مؤيد انتساب الدولة الفاطمية إلى علي بن أبي طالب وزوجته فاطمة الزهراء، ومثل مصدراً أساسياً في جميع فصول هذا البحث.

٢- ابن تغري بردي[٢] ٨١٢- ٨٧٢ هـ / ١٤٠٩ – ١٤٦٩م:

جمال الدين، أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الجويني الأتابكي، ولد في القاهرة، أبوه مملوك من أصل رومي، وليّ نيابة السلطنة في أيام الملك فرج ابن برقوق المملوكي، حفظ القرآن في صغره، ودرس الفقه، والنحو، والبيان، على يد جماعة من أعلام عصره، ودرس التاريخ وبرع فيه، وقدم في هذا الميدان اثني عشر مؤلفاً تمت الاستفادة من بعضها منها :

---

(١) تح: عبدا لله القاضي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٨٧م.

(٢) مصطفى، شاكر: التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٩٣م، ج٣، ص١٦٩، (سيشار إليه بـ مصطفى: التاريخ)؛ عطبة، عبد الرحمن: موسوعة المصادر والمراجع، دار الأوزاعي، ط٥، بيروت، ١٩٩٨م، ص١٥٢، (سيشار إليه بـ عطبة: موسوعة).

– **النجوم الزاهرة في تاريخ مصر والقاهرة**[1]: وهو من أشهر كتبه وأضخمها، سرد فيه تاريخ مصر من الفتح الإسلامي سنة ٢٠هـ/ ٦٤٠م، وحتى سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م، قبيل وفاته، وقد ركز فيه على عهود الحكام والسلاطين، فوضع كلّ عهد في فصل مستقل، حيث ذكر السنين والحوادث، والوفيات، وأحياناً ذكر الحوادث في التراجم .

ولا تقتصر أخباره على تاريخ مصر فقط، بل تناول الكثير من الحوادث في تاريخ المغرب، والعلاقات مع الدول المجاورة، ولهذا كان مصدراً مهماً اعتمده البحث في الفصل الأول.

٣. الحموي[2] **٥٧٤ – ٦٢٦ هـ / ١١٧٨ – ١٢٢٩م:**

ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي أبو عبد الله شهاب الدين، مؤرخ وجغرافي ولغوي وأديب، من كبار الجغرافيين، أصله من الروم، أسر من بلاده صغيراً، وابتاعه في بغداد تاجر اسمه عسكر بن إبراهيم الحموي، فرباه وعلمه وشغله بالأسفار في متاجره، ثم أعتقه سنة ٥٩٦هـ/ ١١٩٩م، فعاش من نسخ الكتب بالأجرة، وعطف عليه مولاه بعد ذلك، فأعطاه شيئاً من المال واستخدمه في تجارته، فاستمر إلى أن توفي مولاه، فاستقل بعمله، ورحل رحلة واسعة انتهى بها إلى مرو في خراسان، ثم انتقل إلى خوارزم، وبينما هو فيها خرج التتر سنة ٦١٦هـ/ ١٢١٩م، فانهزم بنفسه تاركاً ما يملك، ونزل الموصل وقد أعوزه القوت، ثم رحل إلى حلب وأقام في خان بظاهرها إلى أن توفي، أما نسبته فالأرجح أنّها انتقلت إليه من مولاه عسكر الحموي. من مؤلفاته: معجم البلدان، ومعجم الأدباء، وأخبار المتنبي، ومعجم الشعراء. **كتابه:**

. معجم البلدان[3]: كتاب عظيم الفائدة، واتسمت معلوماته بالدقة مع العرض الجيد وطرافة

---

(١) تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ١٦ جزء.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٦، ص١٢٧؛ ابن المستوفي، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب الإربلي: تاريخ إربل، تح: سامي بن سيد خماس الصقار، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٠م، ج١، ص٣١٩، (سيشار إليه بـ ابن المستوفي: تاريخ اربل)؛ حميدة، عبد الرحمن: أعلام الجغرافيين العرب، دار الفكر، ط١، دمشق، ١٩٨٣م، ص٤٤٧، (سيشار إليه بـ حميدة: أعلام)؛ الزركلي: الأعلام، ج٨، ص١٣١.

(٣) تح: فريد عبد العزيز الجندي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.

الأسلوب وتمت الاستفادة منه في مواضع مختلفة، وخاصة التريف بالمواقع والأماكن الجغرافية.

٤. ابن خَلِّكان[١] ٦٠٨ – ٦٨١ هـ / ١٢١١ – ١٢٨٢ م:

أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس البرمكي الإربلي الشافعي، ولد بإربيل وانتقل إلى مصر فأقام فيها مدة، وتولى القضاء فيها، وسافر إلى دمشق، فولاه الملك الظاهر قضاء الشام مدة عشر سنوات. وولي التدريس في كثير من مدارس دمشق، وتوفي فيها فدفن في سفح قاسيون، يتصل نسبه بالبرامكة. له عدة كتب أهمها:

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان [٢]: وهو أشهر كتب التراجم ومن أحسنها ضبطاً وإحكاماً، وقد ترجم لأعيان الناس منذ العصر الجاهلي حتى عهد المؤلف، واشتمل هذا الكتاب على معلومات مهمة تتصل بأبي عبد الله الداعي والخلفاء الفاطميين. واستفاد البحث من هذه الموسوعة في تتبع نشاط الخلفاء الفاطميين والجهود التي بذلوها في إقامة دولتهم .

٥- الذهبي[٣] ٦٧٣ – ٧٤٨ هـ / ١٢٧٤ – ١٣٤٨م:

شمس الدين أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله الذهبي، التركماني الأصل الدمشقي المولد والوفاة، أعظم المؤرخين في تاريخ الإسلام، وأغزرهم علماً، وأهم المؤرخين في بلاد الشام، انصرف إلى الدين والتاريخ عندما كان النزاع العقائدي بين المذاهب الإسلامية محتدماً، وتنقل في البلاد الشامية، كما رحل إلى مصر والحجاز، ويعد من أبرز شيوخ عصره، واهتم بالكتب التاريخية، ومعاجم الشيوخ، وكان مدرساً في مدارس دمشق، وترك بعد وفاته حوالي (٢٣٥) كتاباً وجزءاً، الكثير منها في القراءات والحديث والفقه والعقائد والتاريخ.

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص٢١٨؛ الذهبي: سير، ج١٣، ص٤٦٩؛ عطبة: موسوعة، ص١٤٨؛ الزركلي: الأعلام، ج١، ص٢٢٠.

(٢) تح: إحسان عباس، دار صادر، ط١، بيروت، ١٩٠٠م.

(٣) ابن تغري بردي: أبي المحاسن يوسف: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تح: محمد حسين، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت،١٩٩٢م، ج١٠، ص١٤٤، (سيشار إليه بـ ابن تغري بردي: النجوم)؛ عطبة: موسوعة، ص١٥٨؛ مصطفى: التاريخ، ج٣، ص٥٢.

أما في التاريخ فقد ألف حوالي (١٤٨) كتاباً ما بين مؤلف ومختصر، ومنتقى ومعجم شيوخ وسيرة، وتناول كتابة التاريخ من بابين: باب الحوادث، وباب التراجم .

وكانت فائدة البحث كبيرة من مؤلفاته:

. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام[١]: يعد كتابه هذا من أهمّ الكتب الموسوعيّة

الضخمة التي صنّفها المؤرّخون المسلمون، وهو كتاب تاريخ وتراجم معاً، وبهذا يختلف عن الموسوعة الضخمة الأخرى للذهبي، المعروفة بـ سير أعلام النبلاء.

إذ إنّ تاريخ الإسلام يتفوّق على سير أعلام النّبلاء بالكمّيّة الهائلة التي يحتوي عليها من التراجم، فضلاً عن أنّه يتميّز بذكر الأحداث الحوليّة. وإذا كانت التراجم في كتاب السير تقتصر على أعلام النّبلاء، فإنّ التراجم في تاريخ الإسلام لا تقتصر على المشاهير والأعلام كما يقول العنوان، وإنّما تضمّ رجالاً غير مشاهير، بل إن البعض منهم يعدون من المجاهيل.

وبالمقارنة بين تاريخ الإسلام وكتابي تاريخ بغداد، وتاريخ دمشق، وغيرهما من كتب الرجال، نجد الذهبيّ يتفرّد في تاريخ الإسلام بتراجم لأعلام لا يوجد ذكراً لهم عند غيره، مما يعني أنّه وقف على أسانيد ورسائل ومشيخات لم يسبقه إليها الخطيب البغدادي ولا ابن عساكر الدمشقيّ ولا غيرهما، ممّن عني بالسير والتراجم، رغم تقدّم عصرهم.

– **سير أعلام النبلاء**[٢]: كتاب تراجم، ترجم فيه لأعلام الناس منذ بداية الدعوة الإسلامية، وحتى القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وقد رتب التراجم إلى طبقات متماثلة، فكان هذا الكتاب موسوعة إسلامية استفاد منها البحث.

٦– أبو الفداء[٣] **٦٧١ – ٧٣١هـ / ١٢٧٣ – ١٣٣١م:**

---

(١) تح: بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ٢٠٠٣م.

(٢) تح: شعيب الأرناؤوط، وإبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت،١٩٨٣م.

(٣) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط؛ وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ٢٠٠٠م، ج٩، ص١٠٤، (سيشار إليه بـ الصفدي: الوافي)؛ الزركلي: الأعلام، ج١، ص٣١٩.

إسماعيل بن علي بن محمود بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب عماد الدين الأيوبي، من الأمراء والتجار، كان لديه اهتمام بالتاريخ والجغرافية، كما كان محارباً من الطراز الأول، فشارك في كثير من المعارك، ونقل الأحداث بشكل مباشر، ومن مؤلفاته :

– **المختصر في أخبار البشر**[١]: كتاب جعله أبو الفداء في التاريخ، بدأه من الجاهلية إلى سنة ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م، تحدث فيه عن تاريخ الأنبياء، والفرس والعرب في الجاهلية، ثم تحدث عن تاريخ الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين، ومن عاصرهم من ملوك وسلاطين، وخلفاء، مما جعل مادته عظيمة الفائدة في هذا البحث .

٧. القرشي[٢] **٠٠٠– ٨٧٢هـ/ ٠٠٠– ١٤٦٧م:**

الداعي المطلق عماد الدين إدريس بن الحسن بن عبد الله بن علي بن حاتم القرشي، ليس هناك أية إشارة إلى تاريخ ولادته، كان من أكبر دعاة الإسماعيلية ومؤرخيها في اليمن، فألم إلماماً كبيراً بتاريخ الدعوة الفاطمية في اليمن ومن مؤلفاته:

ـ عيون الأخيار وفنون الآثار[٣]: وهو سبعة مجلدات ضخمة تم الاستفادة من المجلد الخامس الذي يصف فيه الأحداث التي أدت إلى قيام الدولة الفاطمية في المغرب العربي، ويذكر فيه عهد الخليفة الفاطمي القائم ويتحدث فيه أيضاً عن رجال الدولة، كالقاضي النعمان وأبي حاتم الرازي وغيرهم. وقد استفاد البحث من هذا الجزء فائدة كبيرة .

. تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب[٤]: وهو جزء من **عيون الأخبار** تناول تاريخ المغرب من بداية ظهور المهدي وحتى الانتقال إلى مصر، فكان المصدر الأهم لكل فصول البحث.

---

(١) المختصر في أخبار البشر، مكتبة المتنبي، القاهرة، د. ت.

(٢) الزركلي: الأعلام، ج١، ص٢٧٩.

(٣) تح: مصطفى غالب، دار الأندلس، ط٢، بيروت، ١٩٨٤م.

(٤) تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٩٨٥م.

٨- القلقشندي[١] ٧٥٦ – ٨٢١ هـ / ١٣٥٦ – ١٤١٨م:

أبو العباس، أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله بن أبي اليمن الغزاوي المصري الشافعي، ولد في قلقشندة، وتوفي بمصر، تتلمذ على يد ابن الملقن، وعمل مدة في دراسة الفقه والتأليف، وبذلك دخل في عالم التأليف الموسوعي من خلال كتابه:

. صبح الأعشى في صناعة الإنشا[٢]: ويعد من المصادر الرئيسية المهمة في الحضارة الإسلامية لتنوع مادته العلمية، وتمت الاستفادة منه في ضبط الكثير من المصطلحات التي كانت شائعة في العصر الفاطمي.

. نهاية الأرب في أنساب العرب[٣]: تم الاعتماد على هذا المصدر في معرفة أصول القبائل الإفريقية التي شغلت دوراً بارزاً في قيام الدولة الفاطمية، كقبيلة كتامة مثلاً.

٩. ابن كثير[٤] ٧٠٠ – ٧٧٤ هـ / ١٣٠٠ – ١٣٧٢م:

أبو الفداء عماد الدين، إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي الدمشقي، ولد في حوران، وتوفي في دمشق، تميز بالذكاء وسرعة البديهة، اشتغل بالحديث والتفسير والتاريخ، وأهم كتبه في التاريخ:

---

(١) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن عبد الله: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تح: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ت، ج١، ص٣٥١، (سيشار إليه بـ ابن تغري بردي: المنهل)؛ السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت، ج٢، ص٨، (سيشار إليه بـ السخاوي: الضوء)؛ الزركلي: الأعلام، ج١، ص١٧٧؛ مصطفى: التاريخ، ج٣، ص١٣٣.

(٢) دار الكتب الخديوية، القاهرة، ١٩١٥م.

ذكر عنوان هذا الكتاب بأكثر من صيغة لدى المؤرخين، وفي كتب التراجم فجاء: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، وهو الأكثر انتشاراً، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، صبح الأعشى في قوانين الإنشا. الزركلي: الأعلام، ج١، ص١٧٧.

(٣) تح: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبنانيين، ط٢، بيروت، ١٩٨٠م.

(٤) الزركلي: الأعلام، ج١، ص٣٢٠.

. **البداية والنهاية**[1]: تاريخ عام تحدث فيه عن الإسرائيليات، ثم السيرة النبوية والعصر الراشدي، إلى سنة ٧٧٢هـ/ ١٣٧١م، رتبه على الأساس الحولي، حيث بدأ بالحوادث ثم انتهى بالوفيات، استفاد البحث منه فائدة كبيرة.

١٠. المَقْرِيزي[2] **٧٦٦ – ٨٤٥ هـ/ ١٣٦٥ – ١٤٤١ م:**

أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم الحسيني العبيدي المقريزي مؤرخ الديار المصرية، أصله من بعلبكّ، ونسبته إلى حارة المقارزة من حارات بعلبكّ، ولد ونشأ ومات في القاهرة، وولي فيها الحسبة والخطابة والإمامة مرات عديدة، واتصل بالملك الظاهر برقوق، فدخل دمشق مع ولده الناصر سنة ٨١٠هـ/ ١٤٠٧م، وعرض عليه قضاءها فأبى، وعاد إلى القاهرة، وفضل العمل في التأليف التاريخي حتى زادت مؤلفاته على مائتي مجلد، من أهمها:

. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار[3]: ويعرف بخطط المقريزي، وهو عبارة عن موسوعة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والإدارية، ويعد من حيث دراساته عن أحوال الفاطميين في مصر، امتداد لتاريخ الفاطميين ببلاد المغرب. كما ذكر المقريزي فيه كثير من المعلومات المهمة عن أصول بعض الفاطميين في مصر، راجعاً في تتبع هذه الأصول إلى الدور الفاطمي في بلاد المغرب.

وتم الاعتماد على هذا المصدر في معرفة أحوال الفاطميين قبيل انتقالهم إلى مصر، وما ساد دولتهم من نظم إدارية وسياسية.

. اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا[4]: ويعد هذا الكتاب وثيقة تاريخية عن الدولة الفاطمية، سواء في دورها المغربي أو المصري، وأسهب هذا المصدر في شرح أحداث الدعوة

---

(١) تح: عبد الله التركي، دار هجر، ط١، مصر، ١٩٩٨م.

(٢) ابن تغري بردي: المنهل، ج١، ص٣٩٤؛ السخاوي: الضوء، ج٢، ص٢٢؛ مصطفى: التاريخ، ج٣، ص١٤٠.

(٣) تح: محمد زينهم، ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة، ١٩٩٧م.

(٤) تح: جمال الدين الشيال، إحياء التراث، ط٢، القاهرة، ١٩٩٦م.

الإسماعيلية في أرض كتامة، وبيان علاقة الفاطميين بأهالي بلاد المغرب، وصار هذا المصدر ينبوعاً مهما لهذا البحث ولا سيما أن رواياته اتسمت بالدقة والوضوح عن قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، فكانت الفائدة منه كبيرة.

. المقفى في تراجم أهل مصر والواردين إليها[١]: وهو قاموس رجال على غرار تاريخ ابن خلكان في وفيات الأعيان، والصفدي في فوات الوفيات. وأراد المقريزي أن يجعل من المقفى معجماً كبيراً لتراجم حكام مصر ورجالها ونسائها والواردين إليها.

وان محقق كتاب المقفى الكبير، محمد اليعلاوي هذا اختار بعض التراجم من هذا القاموس كتراجم الخلفاء الفاطميين الذين حكموا في إفريقية – باستثناء المعز لان حرف الميم مفقود في تراجم المقفى– وتراجم كل من كان له بهم أدنى اتصال في الإيجاب والسلب، فاستفاد منه البحث في مواضع مختلفة.

١١. النُّوَيْري[٢] **٦٧٧ – ٧٣٣هـ / ١٢٧٨ – ١٣٣٣م:**

أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري عالم غزير الاطلاع، نسبته إلى نويرة من قرى بني سويف في مصر وقد ولد ونشأ في قوص إحدى قرى مصر.

اتصل بالسلطان الملك الناصر ووكله السلطان في بعض أموره، وتقلب في الخدم الديوانية، وباشر نظر الجيش في طرابلس، وكان فقيهاً فاضلاً، مؤرخاً بارعاً ذكيّ الفطرة حسن الشكل، فيه ود لأصحابه، قيل إنه قد نسخ صحيح البخاري ثمان مرات، وكان يبيع كل نسخة من البخاري بخطه بألف درهم، وكان يكتب في كل يوم ثلاثة كراريس، ويكفيه أنه مصنف **نهاية الأرب في فنون الأدب**[٣]، وهو أشبه بدائرة معارف لما وصل إليه العلم عند العرب في عصره.

---

(١) تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٩٨٧م.

(٢) ابن تغري بردي: المنهل، ج١، ص٣٨١.

(٣) دار الكتب والوثائق القومية، ط١، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

ويقول فازيليف: إنّ نهاية الأرب على الرغم من تأخر عصره يحوي أخباراً خطيرة عن صقلّيّة نقلها عن مؤرخين قدماء لم تصل إلينا كتبهم مثل ابن الرقيق وابن رشيق وابن شداد وغيرهم.

وتناولت الأجزاء: ٢٢، ٢٣، ٢٦، من نهاية الأرب، وقد تحدثت هذه الأجزاء عن تاريخ المغرب العربي الإسلامي منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية دولة الموحدين، وتكلم بالتفصيل عن كل الدول الإسلامية التي قامت في المغرب، وخصت الدولة الفاطمية بجزء كبير. كما تحدث بالتفصيل عن قيام هذه الدولة في إفريقية وما دار بينها وبين الأغالبة من صراع، ثم تتبع تاريخها حتى انتقالها إلى مصر.

١٢. ابن الوَرْدي[١] ٦٩١ – ٧٤٩هـ / ١٢٩٢ – ١٣٤٩م:

عمر بن مظفَّر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعرّي الكندي، شاعر وأديب ومؤرخ وجغرافي، ولد في معرة النعمان في سورية، وولي القضاء في منبج، وتوفي في حلب. له الكثير من المؤلفات منها كتابه:

. **تتمة المختصر في أخبار البشر**[٢]: يعرف بتاريخ ابن الوردي، جعله ذيلاً لتاريخ أبي الفداء المختصر، واستفاد البحث منه في مواضع عدة.

١٣. اليماني ت في القرن الرابع الهجري:

محمد بن محمد اليماني، أصله من اليمن، لم يتم الوقوف على ترجمة له. من مؤلفاته:

. سيرة الحاجب جعفر بن علي[٣]: وتناول هذا الكتاب سيرة جعفر بن علي، وهو أخو المهدي في الرضاعة. ويتضّمن هذا الكتاب رحلة المهدي من الشام إلى المغرب ومعلومات مهمة عن قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، ورغبة المهدي في الاتجاه إلى كتامة مباشرة بعد خروجه متخفياً في زي التجار من سلمية، لولا اكتشاف أمره، وهو الأمر الذي جعله يواصل رحلته إلى سجلماسة. ومن الحقائق المهمة أيضاً التي تضمنها هذا الكتاب هو ذكره لمجموعة من أهل

---

(١) الكتبي: فوات، ج٣، ص١٥٧؛ الزركلي: الأعلام، ج٥، ص٦٧.

(٢) تح: أحمد البدراوي، دار المعرفة، ط١، بيروت، ١٩٧٠م.

(٣) تح: و.إيفانوف، ونشر مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، ١٩٣٦م.

كتامة كانت ترافق المهدي في رحلته إلى بلاد المغرب. كما يصف بدقة رحلة المهدي من سلمية ووصوله إلى مصر ثم اتجاهه إلى إفريقية بتفاصيل دقيقة ويذكر انشقاق فيروز عن المهدي واتجاهه إلى اليمن وإتباعه للقرامطة عندما علم بنية المهدي في عدم قصد اليمن.

وبالإضافة إلى المصادر الآنفة الذكر تم الاعتماد على الكثير من المصادر والمراجع العربية منها والأجنبية التي لم يستغنِ عنها البحث في فصوله كافة.

- المراجع:

لا تقل أهمية المراجع عن أهمية المصادر في كتابة الأبحاث والمواضيع المختلفة، فالكثير من المراجع توضح معلومات تكاد أن تكون في المصادر مبهمة أو غير واضحة، وتم الطلاع على الكثير من المراجع التي أغنت البحث، ومن أهم هذه المراجع:

-**الخلافة الفاطمية بالمغرب**، تأليف فرحات الدشراوي، وهذا الكتاب دراسة قام بها الدشراوي بإشراف المستشرق ليفي بروفنسال، تحدث فيها عن الخلافة الفاطمية المغربية، فكان مرجعاً مهماً في كافة فصول البحث.

-**الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر**، لعبد الله محمد جمال الدين.

-**وتاريخ المغرب والأندلس** لأحمد بدر. **أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية**، لعلي حسني الخربوطلي. وغيرها الكثير من المراجع.

المـدخـل

نشأت على أرض المغرب العربي حضارات عريقة، ودول عظيمة منها الدولة الفاطمية، ولعل من الضروري قبل البحث في الصراع السياسي العسكري في غربي البحر المتوسط منذ بداية قيام الدولة الفاطمية في المغرب العربي حتى انتقال المعز إلى القاهرة أن يسلط الضوء على مدلول لفظ المغرب العربي جغرافياً وتاريخياً، هذا الإقليم الذي نشأت عليه دول وحضارات كثيرة، لايزل حتى اليوم نعيش على تراثها.

إن المغرب لغوياً يعني كل ما هو خلاف المشرق، أي موضع غروب الشمس(١)، وجاء في القرآن الكريم ما يؤكد ذلك، قال تعالى: ﴿ ربُّ المشرقين وربُّ المغربين﴾(٢). أما من حيث معناه الجغرافي والتاريخي، فقد اختلف الجغرافيون والمؤرخون العرب المسلمون في تحديد مدلوله، فقال بعض الجغرافيين الأوائل إن أهل مصر كانوا يسمون ما يلي أياديهم اليمنى مغرباً، عندما يستقبلون الجنوب، وما يلي أياديهم اليسرى مشرقاً(٣). ويروي بعض الباحثين المحدثين أن تسمية المغرب إنما هي اسم الاتجاه الأصلي الذي يحدد غروب الشمس، بمعنى أن لفظ المغرب هذا كان وما زال ذا دلالة جغرافية تعني البلدان التي تقع في اتجاه غروب الشمس، مثلما هو الشأن للبلدان الواقعة تجاه مشرق الشمس، وعلى هذا الأساس فإن لفظ المغرب يدل على كل ما يقابل المشرق من أمصار، وهنا يتفق هذا الكلام مع المعنى اللغوي(٤).

ولفظ المغرب، مثلما لفظ إفريقية كان معروفاً عند المسلمين منذ العهود الأولى للإسلام، ثم أخذ لفظ المغرب يشيع أكثر في عصر الدولة الأموية ومن ثم العباسية، حيث عدّ العباسيون

---

(١) الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، تح: فريد عبد العزيز الجندي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، ج٥، ص١٦١، (سيشار إليه بـ الحموي: معجم البلدان)؛ ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري: لسان العرب، دار صادر، ط١، بيروت، ١٩٩٠م، ج١، ص٦٣٩، (سيشار إليه بـ ابن منظور: لسان العرب).

(٢) القرآن الكريم: سورة الرحمن، آية١٧.

(٣) الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٥٤.

(٤) حوالة، يوسف: الحياة العلمية في إفريقية، دار الملك فهد، ط١، مكة المكرمة، ٢٠٠٠م، ج١، ص٤٠، (سيشار إليه بـ حوالة: الحياة العلمية).

الفرات هو الحد الفاصل بين المشرق والمغرب، واعتقد بعض المؤرخين والجغرافيين أن مدلول لفظ المغرب جغرافياً هو كل ما يلي مصر غرباً حتى المحيط الأطلسي، بما في ذلك الأندلس والجزر الموجودة في البحر المتوسط، (كجزر البليار وصقلية وسردينيا وكورسيكا)[١].

وازداد هذا المفهوم اتساعاً عند بعض المؤرخين ليشمل مصر، وهذا التقسيم لا يعد أن يكون مجرد تقسيم إداري أكثر منه واقعاً جغرافياً طبيعياً.

وقد شمل المغرب ثلاث مناطق طبيعية من حيث البعد والقرب عن العاصمة الإسلامية في المشرق الإسلامي (بغداد)، وللتمييز بين مناطق المغرب الواسعة، كان التقسيم على الشكل التالي:

١. المغرب الأدنى أو إفريقية (تونس اليوم): وهي الأرض الممتدة من طرابلس[٢] شرقاً إلى بجاية[٣] غرباً، ومركز هذا القسم مدينة القيروان[٤]، أي تعني البلاد التونسية بالمدلول الخاص،

---

(١) ابن حوقل، أبو قاسم بن حوقل النصيبي: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٢م، ص٦٤ . ٦٥، (سيشار إلية بـ ابن حوقل: صورة الأرض).

(٢) طرابلس: مدينة إفريقية كبيرة، تقع على ساحل البحر المتوسط، كثيرة الضياع، مبنية من الصخر، حصينة بينها وبين القيروان مسيرة ستة أيام، وهي عاصمة ليبيا اليوم، تعرف بطرابلس الغرب. ابن حوقل: صورة الأرض، ص٧١. الكرخي، إبراهيم بن محمد: مسالك الممالك، تح: دي غوية، مطبعة بريل ليدن، ١٩٢٧م، ص٣٨، (سيشار إليه بـ الكرخي: مسالك الممالك)؛ الحميري، محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط٢، بيروت، ١٩٨٤م، ص٤٨٦، (سيشار إليه بـ الحميري: الروض المعطار).

(٣) بجاية: مدينة على ساحل البحر المتوسط في المغرب، بناها بنو زيري ملوك صنهاجة، وتعرف بقلعة حماد، بينها وبين العاصمة الجزائر ١٧٧كم. الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٣٣٩؛ العفيفي، عبد الحكيم: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، أوراق شرقية، ط١، بيروت، ٢٠٠٠م، ص٨٣، (سيشار إليه بـ العفيفي: موسوعة).

(٤) القيروان: مدينة إفريقية عظيمة، ومن أعظم مدن المغرب العربي، وأكثرها بشراً، بناها عقبة بن نافع، دخلها عبد الله المهدي الفاطمي سنة ٢٩٧هـ / ٩٠٩م. الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٢٠؛ الحميري: الروض المعطار، ص٤٨٦؛ الزهري، محمد بن أبي بكر: كتاب الجغرافية، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، د. ت، ص١٠٩، (سيشار إلية بـ الزهري: الجغرافية).

أما إفريقية فتعني كامل القارة السمراء، (من البحر المتوسط شمالاً إلى رأس الرجاء الصالح جنوباً، ومن البحر الأحمر والمحيط الهندي شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً).

٢. المغرب الأوسط: يمتد من بجاية شرقاً حتى نهر الملوية وجبال تازا[١] غرباً (الجزائر اليوم). أما المركز أو العاصمة لهذا القسم فقد تعدد بتعدد الدول التي حكمته.

٣. المغرب الأقصى: يمتد من نهر الملوية وجبال تازا شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً، ومركز هذا الإقليم تعدد أيضاً بتعدد الدول التي حكمته، وهو يشكل اليوم المملكة المغربية وموريتانيا[٢].

ولم يجمع المؤرخون والجغرافيون القدامى منهم والمحدثون حول هذه التقسيمات، حيث دمج بعضهم ليبيا بكل ولاياتها (برقة، طرابلس، وفزان)، ضمن مفهوم إفريقية، ورأى بعضهم أن برقة جزء من مصر[٣].

أما المدلول الحالي للفظ المغرب فإنه يعني اليوم المغرب العربي الإفريقي بتنظيماته السياسية المعروفة، ويطلق على المغرب العربي أحياناً تسمية الشمال الإفريقي لوقوعه شمال القارة الإفريقية، ويضم أربع دول وهي تونس والجزائر ومراكش (المغرب) وموريتانيا.

---

(١) تازا: مدينة مغربية، وهي حد ما بين المغرب الأوسط والأقصى، وفي العرض البلاد الساحلية مثل وهران ومليلة وغيرهما، وقد بني فيها في هذا العهد القريب مدينة الرباط. الحميري: الروض المعطار، ص١٢٨. مؤلف مراكشي مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ١٩٨٦م، ص١٧٦، (سيشار إليه بـ المراكشي: الاستبصار)؛ العفيفي: موسوعة، ص١٥٥.

(٢) العبادي، أحمد مختار: في تاريخ المغرب والأندلس، دار الثقافة الجامعية، الإسكندرية، د. ت، ص١٣، (سيشار إليه بـ العبادي: المغرب والأندلس).

(٣) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٧١.

الفصل الأول

الأوضاع السياسية والعسكرية للدولة الفاطمية في المغرب العربي

الفصل الأول

الأوضاع السياسية والعسكرية للدولة الفاطمية في المغرب العربي

أولاً- أوضاع المغرب العربي قبيل قيام الدولة الفاطمية

١- الدولة المدرارية (بني واسول) ١٤٠- ٢٩٦هـ / ٧٥٧- ٩٠٩م

٢ - الدولة الرستمية ١٤٤- ٢٩٦هـ / ٧٦١- ٩٠٩م

٣ - دولة الأدارسة ١٧٢- ٣٧٥هـ / ٧٨٨- ٩٨٥م

٤ - دولة الأغالبة ١٨٤- ٢٩٦هـ / ٨٠٠- ٩٠٩م

ثانياً- نشوء الدولة الفاطمية في المغرب العربي

١- الدعوة الإسماعيلية في المغرب العربي

٢- مساعي أبو عبد الله الشيعي لإقامة الدولة الفاطمية

٣- وصول عبد الله المهدي إلى إفريقية وإعلان الخلافة الفاطمية

ثالثاً- الأوضاع السياسية والعسكرية في عهد الخليفة المهدي

١- الصعوبات التي واجهت المهدي في بداية حكمه

٢- التوسع الفاطمي في مصر

أ- الحملة الأولى ٣٠٢هـ/ ٩١٥م

ب - الحملة الثانية ٣٠٦هـ / ٩١٩م

ج - الحملة الثالثة ٣٢٣هـ / ٩٣٣م

٣-فتح مصر على يد المعز لدين الله الفاطمي

٤-التوسع الفاطمي في المغرب العربي الأوسط والأقصى

٥-دور المهدية في حماية الدولة الفاطمية

رابعاً– الأوضاع السياسية في المغرب العربي في عصر خلفاء المهدي

خامساً– الجيش والأسطول الفاطمي

الفصل الأول

الأوضاع السياسية والعسكرية للدولة الفاطمية في المغرب العربي

أولاً- أوضاع المغرب العربي قبيل قيام الدولة الفاطمية:

أشرقت شمس الإسلام وانطلق العرب المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها لإعلاء كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ، وبدأ الفتح العربي الإسلامي لبلاد المغرب (شمال إفريقية) منذ سنة ٢٢هـ/ ٦٤٣م، واستمر حتى سنة ٨٦هـ/ ٧٠٥م، إذ دام أكثر من نصف قرن تقريباً، وقد واجه الفاتحون صعوبات كثيرة على الصعيدين الداخلي والخارجي، مما أطال عملية الفتح.

وقد تعاقب على حكم بلاد المغرب العربي ولاة أمويون، ثم عباسيون، ويبدو أن هذه البلاد لم تستقر لهؤلاء الحكام، حيث قامت فيها ثورات كثيرة ضد الحكم العربي الإسلامي، وقد يعود السبب في تلك الثورات إلى طبيعة السكان من جهة، وعدم المساواة بينهم وبين الفاتحين من جهة أخرى، بالإضافة إلى بعدها عن مركز الدولة الإسلامية، حيث وجد فيها الفارون من بلاد المشرق من الخوارج والشيعة ملاذاً آمناً، كما وجدوا فيها أرضاً صالحة لتأسيس دول لهم مناهضة للخلافة الإسلامية في المشرق العربي، فكان القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي بداية تأسيس هذه الدول وأهمها:

١. الدولة المدرارية (بني واسول) ١٤٠- ٢٩٦هـ/ ٧٥٧- ٩٠٩م:

كانت تلك الدولة من بين الدول التي قامت في المغرب العربي بعيداً عن الخلافة العباسية في بغداد، وهي دولة خارجية صفرية[١]، اختارت لها إماماً يدعى عيسى بن يزيد، ويعد

---

(١) الصفرية: من أكبر المذاهب الخارجية، انتشرت في المغرب العربي عقب الفتح العربي الإسلامي، تنسب إلى زياد بن الأصفر، والراجح أنها تنسب إلى عبد الله بن صفار التميمي، الذي انشق بمذهبه عن الأزارقة والإباضية، بسبب الصراعات الداخلية. والصفرية من أكثر الخوارج تسامحاً واعتدالاً مع المخالفين لمذهبهم. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل، تح: أمير مهنا، وعلي فاعور، دار المعرفة، ط٣، بيروت، ١٩٩٣م، ص١٥٩، (سيشار إليه بـ الشهرستاني: الملل والنحل)؛ جلي، أحمد محمد: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعة)، مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، الرياض، ١٩٨٨م، ص٧٢- ٧٣، (سيشار إليه بـ جلي: دراسة عن الفرق).

المؤسس الحقيقي للدولة، وقد اتخذ مدينة سجلماسة[١] عاصمة لدولته في موقع حصين وسط الصحراء على نهر صغير في وادي زيز، واستمر إماماً حتى سنة ١٣٨هـ/٧٥٥م، عندما خلعه المكناسيون بزعامة أبي القاسم سمكو بن واسول، بحجة أنه خرج عن جادة الصواب[٢]، وربما كان سبب خلعه يعود إلى طمع سمكو في المنصب إلى جانب تمتعه بتأييد قبلي كبير.

بويع سمكو بالإمامة التي حولها إلى إمارة وراثية في أسرته، ثم قام بإتمام إعمار مدينة سجلماسة، وحصنها بسور خارجي، فازدهرت الحياة العمرانية والاقتصادية فيها إلى أن أصبحت من أهم مدن المغرب، وعندما توفي أبو القاسم سمكو سنة ١٦٨هـ/ ٧٨٤م، خلفه ابنه إلياس الملقب بالوزير، ثم جاء بعده أخوه اليسع الداعم والمتحمس للمذهب الصفري، وأقام علاقات ودية مع الدول المجاورة وعلى وجه الخصوص مع الدولة الرستمية، فزوج ابنه مدرار من أروى ابنة عبد الرحمن بن رستم[٣]، وبعد وفاة اليسع تسلم ابنه مدرار مقاليد الحكم فبدأ الضعف يدب في أوصال الدولة المدرارية مما جعله يترك الحكم الذي تنازع عليه أبناؤه إلى أن تسلم الإمامة اليسع بن مدرار سنة ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م، وهو آخر أئمة سلجماسة من المدراريين، الذي التجأ إليه عبد الله المهدي قادماً من الشرق فقام بسجنه مع من يرافقه في رحلته، وبقي في السجن إلى أن جاء أبو عبد الله الشيعي على رأس جيش تمكن بعدها من إطلاق سراح

---

(١) سجلماسة: مدينة تقع في صحراء المغرب، بينها وبين البحر خمس عشرة مرحلة، وهي ضمن حدود المغرب اليوم يمر بها وادٍ طويل الامتداد، يسمح ببعض الزراعات والنخيل وكانت من أهم المدن التجارية في العصور الإسلامية، لمرور القوافل عبرها إلى إفريقية الغربية، وكانت عاصمة الخوارج المدراريين مدة من الزمن ومكانها اليوم مدينة الريساني في مقاطعة تافيلالت. اليعقوبي، أحمد بن إسحاق: البلدان، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢٢هـ، ص١٩٨– ١٩٩، (سيشار إليه بـ اليعقوبي: البلدان)؛ الحميري: الروض المعطار، ص٣٠٥؛ موقع الإسلام: تعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، المكتبة الشاملة، ج٢، ص٥٠، (سيشار إليه بـ موقع الإسلام: تعريف بالأعلام).

(٢) أحمد، علي: تاريخ المغرب العربي الإسلامي، جامعة دمشق، ط٢، دمشق، ١٩٩٩م، ص١٠٨، (سيشار إليه بـ أحمد: تاريخ المغرب).

(٣) الفقي، عصام الدين: تاريخ المغرب والأندلس، دار نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٤م، ص١٦١، (سيشار إليه بـ الفقي: تاريخ المغرب والأندلس).

المهدي، وقتل اليسع بن مدرار، وأنهى حكم الدولة المدرارية سنة ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م[١].

٢. الدولة الرستمية : ١٤٤. ٢٩٦هـ/ ٧٦١. ٩٠٩م:

كانت الدولة الرستمية دولة إباضية خارجية[٢]، آمنت بحرية المعتقد، فتجمعت فيها فرق إسلامية كثيرة أسسها عبد الرحمن بن رستم[٣]، الذي كان قاضياً للدولة الرستمية عندما كان

---

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: تاريخ ابن خلدون، ضبط: خليل شحاذة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠١م، ج٦، ص١٧٢– ١٧٣، (سيشار إليه بـ ابن خلدون: تاريخ)؛ ابن عذاري، أبو عبد الله محمد: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج س. كولان، وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، لبنان، ط٣، ١٩٨٣م، ج١، ص١٥٣، (سيشار إليه بـ ابن عذاري: البيان)؛ ضيف، شوقي: عصر الدول والإمارات، دار المعارف، ط١، القاهرة، (د، ت)، ص٢٦٩، (سيشار إليه بـ ضيف: عصر الدولة).

(٢) الإباضية: هي إحدى فرق الخوارج، وتنسب إلى عبد الله بن أباضي التميمي، في البصرة، الذي دخل إلى إفريقية في النصف الأول من القرن الثاني الهجري، وأصبح مذهب الإباضية مذهباً رسمياً لكثير من سكان شمال إفريقية. ابن خلدون: تاريخ، ج٦، ص١٥٨؛ صادق، حسن: جذور الفتنة في الفرق الإسلامية، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص١٩٧، (سيشار إليه بـ صادق: جذور الفتنة)؛ لقبال، موسى: المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر، ط١، الجزائر، ١٩٨١م، ص١٦٤، (سيشار إليه بـ لقبال: المغرب الإسلامي)؛ أحمد، علي: من الاصطلاحات التاريخية والحضارية الأندلسية والمغربية في العصور الوسطى، مجلة دراسات تاريخية، العدد٦٣– ٦٤، ص١٤٤، دمشق، ١٩٩٨م، (سيشار إليه بـ أحمد: من الاصطلاحات).

(٣) رستم: هو عبد الرحمن بن رستم بن بهرام، ولد في العراق، وهو من أصل فارسي، سافر مع والديه من العراق إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وهناك توفي والده، فتزوجت أمة برجل من المغرب، وأخذه إلى هناك مع أمه، ونشأ عبد الرحمن في القيروان، وأعتنق المذهب الإباضي، ثم سافر مع أصحابه إلى العراق، لتلقي المزيد من العلم على الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة إمام الإباضية في ذلك الوقت، وبعد خمس سنوات عاد إلى المغرب مع مجموعة من أصحابه. ابن خرداذبه، عبيد الله بن عبد الله: المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٩م، ص٨٧، (سيشار إليه بـ ابن خرداذابه: المسالك والممالك)؛ الدرجيني، أحمد بن سعيد: طبقات المشايخ، موقع الاستقامة، ص١٢، (سيشار إليه بـ الدرجيني: طبقات المشايخ).

إمامها أبي الخطاب الذي قُتل على أثر هجوم الجيوش العباسية على أرض سرت سنة ١٤٤هـ/٧٦١م[١]،

وبعد هزيمة الإباضية انسحب عبد الرحمن بن رستم إلى ناحية تاهرت[٢] في المغرب الأوسط، وبايعه الإباضيون في العام نفسه إماماً للإباضية، واتخذ عبد الرحمن من تاهرت قاعدة لدولته الجديدة[٣].

ازدهرت مدينة تاهرت في عهد بني رستم، حتى صارت ملتقى للتجار والعلماء والطلبة من جميع أنحاء البلاد العربية والإسلامية، مما أكسبها شهرة عالمية لدرجة أنها سميت بالعراق الصغير، تشبيهاً لها ببلاد العراق التي تضج بمختلف الأجناس والملل آنذاك.

تحالف عبد الرحمن بن رستم مع دولة بني واسول الخارجية في سجلماسة لتقوية دولته، ونتج عن هذا التحالف مصاهرة بين الطرفين، كما مر في الفقرة السالفة[٤].

---

(١) زكار، سهيل: الدولة الرستمية في تيهرت ، مجلة دراسات تاريخية، العدد ١٢، ص٧٤- ٧٥، دمشق، ١٩٨٣م، (سيشار إليه بـ زكار: الدولة الرستمية).

(٢) تاهرت: من أهم مدن المغرب الأوسط على طريق المسيلة من تلمسان، وتتألف من مدينة قديمة وأخرى محدثه، كانت عاصمة لبني رستم الخوارج الإباضية، جعلوها معسكراً لهم وكان اختياراً مدروساً حيث المياه الوفيرة والمُناخ البارد، خطط لها أربعة أبواب، وبعد الانتهاء من البناء اتفق الاباضية على امامة عبد الرحمن ابن رستم، فازدهرت الدولة الجديدة ونالت اعجاب وتأييد خوارج المغرب العربي وحتى خوارج المشرق. الحميري: الروض المعطار، ص١٢٦؛ موقع الإسلام: تعريف بالأعلام، ج١، ص٣٧١؛ العفيفي: موسوعة، ص١٥٩؛ زكار: الدولة الرستمية، ص٧٦- ٧٨.

(٣) ابن خلدون: تاريخ، ج٦، ص١٥٩؛ لقبال: المغرب الإسلامي، ص١٧٠- ١٧١؛ الحريري، محمد عيسى: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، دار القلم، ط٢، الكويت، ١٩٨٧م، ص ٨٣ - ٨٤، (سيشار إليه بـ الحريري: الدولة الرستمية).

(٤) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم الشيباني: الكامل في التاريخ، تح: عبد الله القاضي، دار الكتاب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٨٧م، ج٥، ص٤٣٦، (سيشار إليه بـ ابن الأثير: الكامل). ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٩٦. مؤنس، حسين: معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص١١٨، (سيشار إليه بـ مؤنس : معالم).

وبعد وفاة عبد الرحمن سنة ١٦٨هـ/ ٧٨٤م، تُرك الأمر شورى في سبعة أشخاص من بينهم ابنه عبد الوهاب الذي مالت الأغلبية إلى مبايعته، فأصبح الإمام في الوقت الذي بقى فيه المعارضون لإمامته على موقفهم، فسموا بالنكار أو النكرية[١].

وبقيت هذه الدولة قائمة في المغرب الأوسط، وبقيت على علاقة طيبة مع الأمويين في الأندلس والدولة المدرارية في الجنوب، إلى أن تمكنت الدولة الفاطمية الناشئة من القضاء عليها سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٩م، ويعود ذلك إلى ضعف الدولة الرستمية بسبب الصراعات الداخلية على منصب الإمامة من جهة، والخلافات المذهبية بين الإباضية من جهة أخرى، ورغم زوال دولتهم إلا أن مذهبهم ظل باقياً في المغرب كحزب معارض للدولة الفاطمية[٢].

٣. دولة الأدارسة: ١٧٢. ٣٧٥هـ/ ٧٨٨. ٩٨٥م:

دولة هاشمية علوية، قامت في المغرب الأقصى، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الذي غادر المشرق متجهاً إلى المغرب هرباً من بطش العباسيين بعدما تمكنوا من القضاء على ثورة الحسين بن علي بن الحسن، في معركة فخ[٣] سنة ١٦٩هـ/ ٧٨٦م، وكان يرافق إدريس مولاه راشد، فواصلا رحلتهما إلى أن وصلا مدينة وليلي المغربية[٤]، واستقر إدريس فيها بعد رحلته، ونزل ضيفاً على زعيم قبيلة

---

(١) طقوش، محمد سهيل: تاريخ الفاطميين في شمال إفريقيا ومصر وبلاد الشام، دار النفائس، ط١، ٢٠٠١، ص٢٣، (سيشار إلية بـ طقوش: تاريخ الفاطميين).

(٢) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٩٧؛ زكار: الدولة الرستمية، ص٩٠.

(٣) معركة فخ: معركة قادها الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ضد العباسيين في وادي بمكة، بينه وبين مكة ثلاثة أميال، وقيل ستة. الأصفهاني، أبو الفرج: مقاتل الطالبيين، تح: السيد أحمد صقر، منشورات الشريف الرضي، ط٢، ١٤١٦هـ، ص٣٦٦، (سيشار إليه بـ الأصفهاني: مقاتل الطالبيين)؛ الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٢٣٧؛ الحميري: الروض المعطار، ص٤٣٦.

(٤) وليلي: وهي مدينة طنجة بلسان البربر، تبعد مسافة يومين عن فاس. ابن عذاري: البيان، ج١، ص٨٣؛ موقع الإسلام: تعريف بالأعلام، ج٢، ص٤٢٦.

أوربا البربرية، الذي أكرمه، وسانده في دعوته، وبايعه للخلافة سنة ١٧٢هـ/ ٧٨٨م[١]، وتبعه في ذلك تأييد عدة قبائل اعترفوا بطاعته وسلطته عليهم، فباشر إدريس بتأسيس دولته مستفيداً من الصراعات القبلية وحالة التفكك السياسي والديني والاجتماعي للمغرب الأقصى من جهة، ومكانته الدينية من جهة ثانية، وبذلك تمكن من مد نفوذه من القيروان شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً[٢]، هذا التوسع المفاجئ زاد مخاوف الخليفة العباسي هارون الرشيد، فأرسل إليه رجلاً[٣] معروفاً بالدهاء تمكن من قتله بالسم سنة ١٧٥هـ/ ٧٩١م.

مات إدريس ولم يترك ولداً، إلا حملاً من جارية اسمها كنزه، وبدأت مهمة راشد في تسيير أمور الدولة إلى أن ولدت كنزه طفلاً اسماه إدريس، وظل وصياً عليه، حتى أصبح إدريس الثاني قادراً على إدارة أمور الحكم، حيث بنى مدينة فاس[٤]، وجعلها عاصمته الجديدة، وازدهرت الحياة السياسية والعمرانية والاقتصادية في عهده وقد عدّه بعض المؤرخين المؤسس الحقيقي لدولة الأدارسة[٥]، وخلف إدريس الثاني بعد وفاته سنة ٢١٣هـ/ ٨٢٨م، ابنه محمد

---

(١) نصر الله، سعدون: دولة الأدارسة في المغرب (العصر الذهبي)، دار النهضة العربية، ط١، بيروت، ١٩٨٧م، ص٥٩- ٦٨، (سيشار إليه بـ نصر الله: دولة الأدارسة)؛ إسماعيل، محمود: الأدارسة، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة، ١٩٩١م، ص٥٧، (سيشار إلية بـ إسماعيل: الأدارسة).

(٢) السلاوي: الإستقصا، ج١، ص٦٨- ٧٠.

(٣) هو سليمان بن جرير، ويلقب بالشماخ، كان طبيباً أرسله الرشيد للقضاء على إدريس الأول، فتمكن من ذلك وهرب من ليلته. الحميري: الروض المعطار، ص٥٤٦.

(٤) فاس: من أهم مدن المغرب الأقصى، بناها إدريس بن عبد الله سنة ١٧٢هـ/ ٧٨٨م، ثم أتم بناءها إدريس الثاني، كانت عاصمة لعدة دول في المغرب، ثم تحولت العاصمة منها إلى الرباط. البكري، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي: المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٢م، ج٢، ص٧٩٥، (سيشار إليه بـ البكري: المسالك والممالك)؛ الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٢٣٠؛ الحميري: الروض المعطار، ص٤٣٤؛ موقع الإسلام: تعريف بالأعلام، ج٢، ص١٧٠.

(٥) ابن أبي زرع، علي بن عبد الله الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٢م، ص١٥، (سيشار إليه بـ ابن أبي زرع: الأنيس)؛ حسن، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١٤، ١٩٩٦م، ج٣، ص١٧٠، (سيشار إليه بـ حسن: تاريخ الإسلام)؛ الفقي: تاريخ المغرب والأندلس، ص١٣٩- ١٤١؛ أحمد: تاريخ المغرب، ص١١٣.

الذي قام بتقسيم الدولة بين أخوته عملاً بوصية جدته كنزه[١]، فكان هذا سبباً في ضعف الدولة وانهيارها على الرغم من تسلم حكام أقوياء، فكان للأدارسة خلال حكمهم الذي دام أكثر من قرنين أعمال جليلة، حيث انتشر الإسلام على يدهم في مناطق لم يصلها سابقاً في غرب إفريقية ، وأسهموا في نشر الإسلام بين البربر، إلى أن قضى المد الفاطمي على دولتهم سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٩م[٢].

٤. دولة الأغالبة: ١٨٤- ٢٩٦هـ/ ٨٠٠- ٩٠٩م:

كانت دولة الأغالبة من أهم الدول التي قامت في المغرب العربي في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، حيث أسسها والي الرشيد إبراهيم بن الأغلب[٣]، فشملت إفريقية (تونس) وطرابلس، وجزء من المغرب الأوسط، واتخذ القيروان عاصمة له[٤]، وكانت دولة الأغالبة الدولة الوحيدة من بين دول المغرب العربي التي تحكم باسم الدولة العباسية في بغداد، حيث تمتعت باستقلال ذاتي، مقابل توليها الدفاع عن العباسيين من هجمات الروم في البحر المتوسط وهجمات الأدارسة من البر، فكانت بمثابة درع لحماية ولايتي مصر وبلاد الشام من أي خطر خارجي[٥].

---

(١) مؤنس: معالم، ص١٢٩.

(٢) أيوب، إبراهيم: التاريخ العباسي السياسي والحضاري، دار الكتاب العالمي، ط١، بيروت، ١٩٨٩م، ص١٦٦، (سيشار إليه بـ أيوب: التاريخ العباسي).

(٣) هو إبراهيم بن أغلب بن سالم بن عقال بن خفاجي التميمي، ثاني ولاة بني عباس في إفريقية، كان أبوه الأغلب الوالي الأول فيها سنة ١٤٨- ١٥٠هـ. الزركلي: الأعلام، ج١، ص٣٣؛ حسين، ممدوح: إفريقية في عصر الأمير إبراهيم الثاني الأغلبي، دار عمار، ط١، ١٩٩٧، ص١٦، (سيشار إليه بـ حسين: إفريقية)؛ إسماعيل، محمود: الأغالبة سياستهم الخارجية، عين للدراسات، ط٣، مصر، ٢٠٠٠م، ص ١٩- ٢١، (سيشار إليه بـ إسماعيل: الأغالبة).

(٤) ابن الأثير: الكامل ، ج٥، ص٣١٣.

(٥) أحمد: تاريخ المغرب، ص٧٦- ٧٧.

حكم هذه الدولة حوالي أحد عشر أميراً لمدة قرن تقريباً، وأكثرهم حكم مدة قصيرة، باستثناء إبراهيم بن الأغلب ١٨٤- ١٩٦هـ/ ٨٠٠- ٨١٢م، وابنه زيادة الله الأول٢٠١-٢٢٣هـ/ ٨١٧-٨٣٨م[١].

ساد البلاد خلال العصر الأغلبي في إفريقية أمن ورخاء، وبنيت المدن وازدهرت الحياة الاقتصادية والعسكرية، وتمكنوا من إخماد الفتن والثورات التي قامت، كما امتلكوا قوة بحرية مكنتهم من فتح جزيرة صقلية على يد قاضي القيروان أسد بن الفرات[٢]، فاتخذوها قاعدة لأعمالهم العسكرية، حيث مكنتهم من السيطرة على عدة جزر في البحر المتوسط، حتى وصلوا إلى جنوب إيطاليا، وأصبحوا سادة البحر المتوسط[٣].

وقد عملت دولة الأغالبة على نشر الأمن والاستقرار، حيث قضت على الثورات في الداخل وحمت البلاد من خلال مواصلة حركة الجهاد في الخارج إلى أن تعرضت للانحلال في عهد زيادة الله الثالث ٢٩٠- ٢٩٦هـ/ ٩٠٣- ٩٠٩م، آخر أمراء الأغالبة في المغرب، مما مكن الفاطميون من السيطرة على جميع المناطق الواقعة غرب العاصمة القيروان، كما أن

---

(١) مؤنس: معالم، ص٩٨؛ إسماعيل: الأغالبة، ص ١٨٧.

(٢) أسد بن الفرات: (١٤٢- ٢١٣هـ/ ٧٥٩- ٨٢٨م)، أسد بن الفرات بن سنان مولى بني سليم، أبو عبد الله، قاضي القيروان وأحد القادة الفاتحين، أصله من خراسان، ولد بحرّان (أو بنجران) ورحل أبوه إلى القيروان، في جيش الأشعث، فأخذه معه وهو طفل، فنشأ بها ثم بتونس، ورحل إلى المشرق في طلب الحديث سنة ١٧٢هـ/ ٧٨٨م، ثم ولي قضاء القيروان سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م، وكان شجاعاً حازماً صاحب رأي، استعمله زيادة الله الأغلبي على جيشه وأسطوله ووجهه لفتح جزيرة صقلّيّة سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م، فهاجمها بعشرة آلاف، ودخلها فاتحاً، وهو أول من فتح صقلّيّة، وتوفي من جراحات أصابته. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ٢٠٠٣م، ج٥، ص٢٧٤، (سيشار إليه بـ الذهبي: تاريخ الإسلام)؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص١٨٢؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج١، ص٣٠٥؛ القاضي عياض، عياض بن موسى السبتي: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تح: عبد القادر الصحراوي، مطبعة فضالة، ط١، المغرب،١٩٧٠م، ج٣، ص٢٩١، (سيشار إليه بـ القاضي عياض: ترتيب المدارك)؛ الزركلي: الأعلام، ج١، ص٢٩٨- ٢٩٩؛ أبو خليل، شوقي: فتح صقلية، دار الفكر، ط١، دمشق، ١٩٨٠م، ص٦٧، (سيشار إليه بـ أبو خليل: فتح صقلية).

(٣) ابن وردان: تاريخ مملكة الأغالبة، تح: محمد زينهم، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة، ١٩٨٨م، ص٥٥، (سيشار إليه بـ ابن وردان: تاريخ)؛ مؤنس: معالم، ص٩٨.

الانتصارات التي حققها الداعي أبو عبد الله أجبرت زيادة الله الثالث على الرحيل، وبذلك زالت دولة الأغالبة سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م[١].

هكذا كان المغرب العربي قبل قيام الدولة الفاطمية، مقسماً إلى أربع دول، لكل واحدة شخصيتها الذاتية، وطابعها المميز، بالإضافة إلى التنافس من أجل البقاء والاستمرار والتوسع كل على حساب الآخر، ومعظم هذه الدول كانت على خلاف مع الدولة العباسية في المشرق، ورغم ذلك ظلت هذه الدول مرتبطة بالمشرق عن طريق تيار من الهجرة المستمرة لشخصيات ذات شأن كبير من أقارب الأسرة الحاكمة، ومن بني جلدتهم، ومن أعوانهم ومعتنقي أفكارهم السياسية والمذهبية، هذه الهجرة كانت تؤكد الاتصال بين المغرب، وبين مركز الخلافة في المشرق، وحركة الاتصال هذه بين الشرق والغرب أدت لنشوء دولة جديدة ألا وهي الدولة الفاطمية.

ثانياً. نشوء الدولة الفاطمية في المغرب العربي:

١. الدعوة الإسماعيلية في المغرب العربي:

كانت الإسماعيلية إحدى الفرق الإسلامية المنحدرة من المذهب الإسلامي الشيعي، وهي ثاني أكبر جمهور الشيعة بعد الإثنى عشرية، وتشترك معها بمفهوم الأئمة المنحدرين من نبي الإسلام سيدنا محمد ﷺ وابنته فاطمة الزهراء، حيث انفصلت الإسماعيلية عن الإثنى عشرية بعد الإمام السادس جعفر الصادق، ومن سيخلفه من أبنائه، فجنح مع ابنه الأكبر إسماعيل فريق من الشيعة، عرفوا فيما بعد بالإسماعيلية أو السبعية، لأن إسماعيل هو الإمام السابع

(١) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٤٧. ١٤٩؛ الشريف، محمد الهادي: تاريخ تونس، تعريب: محمد الشاوس؛ محمد عجينة، دار سراس، ط٣، تونس، ١٩٩٣م، ص٤٤– ٤٥، (سيشار إليه بـ الشريف: تاريخ تونس).

عندهم، وقد أخفت هذه الطائفة نشاطها الديني والسياسي، وعملت بسرية تامة خوفاً من سلطة العباسيين[١].

بينما تبنى الإثنى عشرية الابن الأصغر لموسى الكاظم ونسله من الأئمة حتى الإمام الثاني عشر، وهو محمد المنتظر بن الحسن العسكري (المهدي)، الذي حسب عقيدتهم اختفى في سرداب في مدينة سامراء سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م، وأخذ أتباعه ينتظرون عودته، ليملأ الدنيا عدلاً، بعد أن ملئت جوراً[٢].

وقد وقع خلاف حول إمامة الإمام إسماعيل، فذكرت بعض المصادر أنه مات في حياة أبيه سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م، وخلفه في الإمامة ابنه محمد بن إسماعيل، تبعاً لتعاليم الإسماعيلية التي تنص على أن الإمامة لا تنتقل من أخ إلى أخ، بل يجب أن تظل في الأعقاب[٣]. ومنهم من قال لم يمت، بل حياً يرزق، ولكن والده الصادق كان خائفاً عليه من أعين العباسيين الذين كانوا يطاردونه بسبب نشاطه المتزايد في نشر التعاليم التي اعتبرتها الدولة العباسية منافية لقوانينها، ادعى أنه مات، من أجل حمايته وإبعاد الخطر عنه[٤]. وذهب فريق ثالث إلى أن الصادق حوّل الإمامة من ابنه الأكبر إسماعيل إلى الأصغر موسى الكاظم لارتباط إسماعيل

---

(١) نوح، علي: الإسماعيلية بين خصومها وأنصارها، دار التوحيد، ط١، حمص، ٢٠٠٠م، ص٤٩، (سيشار إليه بـ نوح: الإسماعيلية)؛ داود، نبيلة عبد المنعم: نشأة الشيعة الإمامية، مطبعة الرشاد، بغداد، ١٩٦٨م، ص٢٥٥- ٢٥٧، (سيشار إليه بـ داود: نشأة الشيعة).

(٢) البغدادي، عبد القاهر بن محمد: الفرق بين الفرق، تح: محمد الخشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة، د. ت، ص٦٣، (سيشار إليه بـ البغدادي: الفرق)؛ صادق: جذور الفتنة، ص٧٨- ٧٩. الصلابي، علي محمد: الدولة العبيدية في ليبيا، دار البيارق، ط١، عمان، ١٩٩٨م، ص٤١، (سيشار إليه بـ الصلابي: العبيدية في ليبيا)؛ بيطار، أمينة: تاريخ العصر العباسي، جامعة دمشق، دمشق، ١٩٩٧م، ص٢٥٨- ٢٦٠، (سيشار إليه بـ بيطار: تاريخ العصر العباسي).

(٣) الجادر، عادل سالم: الإسماعيليون، سلسلة البحوث والدراسات الإسماعيلية، ط١، الكويت، ٢٠٠٠م، ص١٩، (سيشار إليه بـ الجادر: الإسماعيليون)؛ الترمانيني، عبد السلام: أحداث التاريخ الإسلامي، دار طلاس،ط١، دمشق، ١٩٩١م، ج٢، ص٩١، (سيشار إليه بـ الترمانيني: أحداث).

(٤) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٩٦- ١٩٧؛ حسين، محمد كامل: في آداب مصر الفاطمية، دار الفكر العربي، د. م، ١٩٧٠م، ص٢٢- ٢٦، (سيشار إليه ب حسين: في آداب).

ببعض المذاهب المنحرفة[١]. وهذا الاختلاف في تكوين الطائفة الإسماعيلية ربما يرجع لأسباب مذهبية دينية وسياسية، كان الهدف منها الطعن بالفرق والطوائف الدينية التي كانت تبحث عن السلطة والحكم.

وقد مرت الدعوة الإسماعيلية خلال تكوينها بمرحلتين:

أ-**المرحلة الأولى:** مرحلة الإعداد العقائدي النظري، بدأت من منتصف القرن الثاني الهجري وحتى ظهور أبو عبد الله الشيعي، واستمرت هذه المرحلة قرناً ونصف القرن، عاش فيها أئمة الإسماعيلية فيها تقية وسرية تامة، تحت مطاردة ورقابة السلطات العباسية، حتى أطلق على هذه المرحلة دور الستر.

وذكرت بعض المصادر التاريخية أن محمد بن إسماعيل الذي تسلم الإمامة بعد أبيه كان يقيم في المدينة المنورة متبعاً مع أنصاره ومؤيديه التخفي والسرية في نشر الدعوة خوفاً من خلفاء بني العباس، حيث ذاعت دعوته في خلافة أبو جعفر المنصور وهارون الرشيد، فأيقن أن بقاءه في المدينة سيسهل على العباسيين مهمة تتبع حركاته والتخلص منه، فرحل عنها شرقاً، وأخذ يتنقل في البلاد الإسلامية[٢] حتى وصل إلى الديلم[٣].

واختلفت الآراء في مكان وصوله، فقال بعضهم إنه استقر في فرغانة[٤]، وقال آخرون كان

---

(١) جلي: دراسة عن الفرق، ص٢٦٦.

(٢) حسين، محمد كامل: طائفة الإسماعيلية، مكتبة النهضة المصرية، ط١، القاهرة، ١٩٥٩م، ص١٤، (سيشار إليه بـ حسين: طائفة الإسماعيلية).

(٣) بلاد الديلم: بلاد واسعة، ويحدها من الجنوب بحر قزوين والطرم وأذربيجان والري، ومن الشرق بقية الري وطبرستان، ومن الشمال بحر الخزر، ومن الغرب أذربيجان وبلدان الران، والديلم جيل من العجم، كانوا يسكنون نواحي أذربيجان. الكرخي: المسالك والممالك، ص٢٠٤؛ أبو حرب، محمد خير: المعجم المدرسي، منشورات وزارة التربية، ط١، دمشق، ١٩٨٥م، ص٣٧٤، (سيشار إليه بـ المعجم المدرسي).

(٤) فرغانة: مدينة واسعة تقع وراء النهر، حدودية مع بلاد تركستان، يقال فيها أربعون منبراً، بينها وبين سمرقند خمسون فرسخاً. الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٢٥٣؛ ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص٣٠.

استقراره في نيسابور[١]، وذهب فريق ثالث إلى أنه استقر في قرية سملا بالقرب[٢] من الري[٣]. وقد تكون هجرته إلى تلك البلاد أمراً مدروساً من قبل بعض الطوائف الدينية الأخرى، حتى يخلو لها الجو في المدينة، بعد التخلص من إمام الإسماعيلية، أو ربما يراد بهجرته كسب أنصار وأتباع في بلاد بعيدة عن الدولة العباسية، وقد تكون هناك أسباب أخرى لا يمكن معرفتها.

انتقلت الإمامة بعد وفاة محمد بن إسماعيل إلى ابنه عبد الله المعروف بالرضي الذي هاجر إلى الشام واستقر في سلمية[٤]. فأصبحت المركز الرئيس للدعوة الإسماعيلية، فمنها بدؤوا يرسلون دعاتهم إلى كافة أنحاء العالم الإسلامي يبشرون بقرب ظهور المهدي المنتظر من نسل إسماعيل بن جعفر الصادق، ويوسعون نطاق دعوتهم لتأسيس دولتهم المرتقبة[٥].

وبعد اتخاذ السلمية مقراً للدعوة، تحول الشرق الأدنى وبلاد المغرب إلى معسكرات إسماعيلية، فقسموا المناطق التي أخذوا ينشرون فيها دعاتهم إلى جزر، وكل جزيرة لها داعي مسؤول عن الدعاة فيها، ويطلق عليه داعي دعاة الجزيرة أو حجة الجزيرة[٦]، وهو المسؤول

---

(١) نيسابور: مدينة عظيمة ذات فضائل كثيرة، طولها خمس وثمانون درجة، وعرضها تسع وثلاثون درجة، تبعد عن الري مائة وستون فرسخاً. الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٣٣١؛ القزويني، زكريا بن محمد: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر بيروت، د. ت، ص٤٧٣، (سيشار إليه بـ القزويني: آثار).

(٢) حسن، حسن إبراهيم؛ وطه شرف: عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية، مكتبة النهضة المصرية، د.ت، ص٣٨، (سيشار إليه بـ حسن وطه: عبيد الله).

(٣) الري: مدينة مشهورة بينها وبين نيسابور مائه وستون فرسخاً، وإلى قزوين سبعة وعشرون فرسخاً، وقال بطليموس في كتاب الملحمة الري طولها خمس وثمانون درجة، الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١١٦-١١٧.

(٤) سلمية: بلدة في الناحية البرية من أعمال الشام، بينها وبين حماة مسير يومين، وكانت تعد من أعمال حمص. الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٤٠؛ الحميري: الروض المعطار، ص٣٢٠؛ زيود، محمد: مركز سلمية في الدعوة الإسماعيلية، مجلة دراسات تاريخية، العدد ٩٩- ١٠٠، دمشق، ٢٠٠٧م، ص ٢١٩، (سيشار إليه بـ زيود: مركز سلمية).

(٥) بيطار: تاريخ العصر العباسي، ص٢٦٤- ٢٦٥. زيود: مركز سلمية، ص ٢٢٥-٢٣٠.

ivanow: valadimir the Rise of the fatimids calcuttd 1992,PP. 7-36

(٦) حسين: طائفة الإسماعيلية، ص١٣٣.

عن توزيع الدعاة إلى النواحي، لتصل الدعوة إلى عامة الناس وفق سلم متين من الأتباع والنقباء والعيون، وكان لكل واحد من هؤلاء عمله الخاص لا يتعداه، إمعانا في السرية، وحفظاً لنظام الدعوة وأهدافها.

وكان يتم اختيار الدعاة من الذين يجيدون الكلام ويمتلكون الصوت الجميل، ذوي جاذبية في الحديث، ومن الذين يمتازون بالبلاغة والذكاء، والتعقل لجذب الناس إلى دعوتهم، ويحسنون التخفي حتى عجزت السلطات العباسية عن اكتشاف أمرهم، فوصلت الدعوة الإسماعيلية في زمن الإمام الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل إلى أعلى درجاتها، ويعود الفضل بذلك إلى عبد الله بن ميمون القداح[١]، الذي كان حجة الإمام، وصلة الوصل بين الإمام والدعاة، وكان له الدور الكبير في الدعوة، سواء في صياغة مبادئها من الناحية المذهبية، أو في توجيهها السياسي، مع الإخلاص التام للأئمة المستورين، والتعاون الكامل معهم في شتى متطلبات الدعوة.

وكان أول انتشار واسع للإسماعيلية في اليمن على يد الداعي الإسماعيلي الحسن بن حوشب[٢]

---

(١) القداح: عبد الله بن ميمون بن القداح، وقع خلاف حول قصة ونسب ميمون القداح، ما بين كتب السنة والشيعة، والقداح أي كان يعالج العيون بالقدح (وهي عملية استخراج ماء من العين)، وكان عارفاً وعالماً بجميع الشرائع والسنن، وجميع علوم المذاهب، وميمون وابنه عبد الله من بعده كانا حاجبين ومستودعين لأسرار أولاد إسماعيل بن جعفر الصادق. ابن الوردي، زين الدين عمر: تتمة المختصر في أخبار البشر، تح: أحمد البدوي، دار المعرفة، ط١، بيروت، ١٩٧٠م، ج١، ص٣٧٦، (سيشار إليه بـ ابن الوردي: تتمة المختصر)؛ ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: حمزة عباس، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، السفر٢٦، ص١٠٠، (سيشار إليه بـ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار)؛ المقريزي، أحمد بن علي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تح: جمال الدين الشيال، إحياء التراث، ط٢، القاهرة، ١٩٩٦م، ج١، ص٢٣. ٢٤، (سيشار إليه بـ المقريزي: اتعاظ الحنفا)؛ حسن، حسن إبراهيم: تاريخ الدولة الفاطمية، مكتبة النهضة المصرية، ط٤، القاهرة، ١٩٨١م، ص٤٠، (سيشار إليه بـ حسن: تاريخ الدولة الفاطمية).

(٢) ابن حوشب: وقع خلاف على اسم ابن حوشب في أكثر المصادر، وهو أبو القاسم الحسن فرج بن زادان الكوفي، والبعض سماه رستم بن الحسين بن حوشب بن زادان النجار، وعرف بمنصور اليمن أو المنصور،=

وبمساعدة علي بن الفضل[١]، الذين تم اختيارهما من قبل الإمام الحسين وحجته أبي الشلعلع أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح، حيث نجح الرجلان بالتغلغل في القبائل اليمنية، وتمكنا من إقامة أول دولة إسماعيلية في اليمن سبقت الدولة الفاطمية في المغرب بنحو واحد وثلاثين سنة، ولم يتركز نشاط الدعاة على اليمن وحدها بل تم إرسال الدعاة إلى البحرين والسند والهند والمغرب ومصر[٢].

ونتيجة للتقدم الكبير الذي حققه ابن حوشب، وابن الفضل في اليمن جعل منها مركزاً للتدريب النهائي للدعاة الذين يوفدون إلى البلدان المختلفة، وخاصة إلى المغرب العربي، واختصت اليمن بهذه المهمة[٣]، وهنا السؤال الذي يطرح نفسه، لماذا اختار الإسماعيلية اليمن دون غيرها من المناطق الأخرى؟ هذا يقود إلى أسباب عديدة، وهي على الشكل التالي:

=حقق نجاحاً كبيراً في نشر الدعوة الإسماعيلية في اليمن، وربما الاختلاف والغموض الوارد عن هذا الرجل يعود إلى السرية المتعلقة بالدولة الفاطمية. القاضي النعمان، أبو حنيفة النعمان بن محمد: افتتاح الدعوة، تح: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٨٦م، ص٢-٣، (سيشار إليه بـ القاضي النعمان: افتتاح الدعوة)؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٤٤٩. القصير، سيف الدين: ابن حوشب، دار الينابيع، دمشق، د. ت، ص٣٢ (سيشار إليه بـ القصير: ابن حوشب)؛ الحمادي، محمد بن مالك اليماني: كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، مطبعة الأنوار، ١٩٣٩م، (سيشار إليه بـ الحمادي: كشف أسرار).

(١) ابن الفضل: أبو الحسن علي بن الحسن من جيشان مدينة في اليمن، من أهل بيت نعمة وتشيع، كان ذكياً أديباً شجاعاً فصيحاً، من أتباع الاثني عشرية ثم أنتقل إلى الإسماعيلية. القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص٩. القرشي، إدريس عماد الدين: عيون الأخبار وفنون الآثار، تح: مصطفى غالب، دار الأندلس، ط٢، بيروت، ١٩٨٤م، ج٤، ص٦٣٠- ٦٣١، (سيشار إليه بـ القرشي: عيون الأخبار)؛ زكار، سهيل: أخبار القرامطة في الأحساء والشام والعراق واليمن، دار حسان، ط٢، دمشق، ١٩٨٢م، ص ٢١٧- ٢٣٠، ٤١٣- ٤١٥، (سيشار إليه بـ زكار: أخبار القرامطة).

(٢) اليمني، نجم الدين عمارة: تاريخ اليمن، مطبعة كلبرت ورونكتن، لندن، ١٣٠٩هـ، ص١٣٠، (سيشار إليه بـ اليمني: تاريخ اليمن)؛ الحمد، عادلة علي: قيام الدولة الفاطمية ببلاد المغرب، دار ومطابع المستقبل، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٧٦- ٧٧، (سيشار إليه بـ الحمد: قيام الدولة)؛ رجب، محمد: الدولة العبيدية، مكتبة العبيكان، ط١، الرياض، ٢٠٠٢م، ص٦، (سيشار إليه بـ رجب: الدولة العبيدية).

(٣) سرور، محمد جمال الدين: الدولة الفاطمية في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٩م، ص١٨، (سيشار إليه بـ سرور: الدولة الفاطمية).

١- بعد اليمن عن مركز الخلافة العباسية، وبذلك يكونوا بعيدين عن مركز الدولة العباسية.
٢- وجدت الإسماعيلية في اليمن تربة خصبة لنشر دعوتها، فقد رحب الشعب اليمني بدعاة الإسماعيلية.
٣- قرب اليمن من مكة المكرمة حيث ملتقى الحجاج المسلمين، وهذا ما يسهل عملية اتصال دعاة الإسماعيلية مع الحجاج ونشر دعوتهم.

وهنا أرسل ابن حوشب اثنين من كبار دعاة الإسماعيلية إلى المغرب: أبو سفيان الحسن ابن القاسم، وعبد الله بن علي بن أحمد الحلواني سنة ١٦٠هـ/ ٧٧٦م، وأوصاهم قائلاً: " لكل شيء باطن، واذهبا فالمغرب أرض بور، فاحرثاها واكرياها حتى يأتي صاحب البذر"[١]. كما أوصاهم بالتوغل في ديار البربر، وألا يعملا في مكان واحد أو منطقة محددة، بل يفترقا، ويبسطا ظاهر علم الأئمة، وينشرا فضلهم بين الناس[٢].

وصل الرجلان مدينة مرماجنة[٣]. وافترقا عندها، وبالقرب من هذه المدينة استقر أبو سفيان في قرية زراعية تدعى تاله[٤]، وبنا فيها مسجداً وتزوج امرأة من أهل القرية، واشترى عبداً وأمة ساعداه في أعماله، وأصبحوا العيون التي تزوده بأخبار المنطقة التي يقيم فيها[٥]. عاش أبو سفيان حياة الزهاد العباد، واشتهر بالفضل والعبادة والذكاء، مما لفت أنظار الناس إليه، وكسب محبتهم، وبدؤوا يأتونه من المناطق المجاورة لينهلوا من علمه ويسمعون فضائل آل البيت منه،

---

(١) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص٢٧- ٢٩.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٤٥؛ العيد، عماد صالح: حقوق الإنسان في مصر في العهد الفاطمي، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: غسان وشاح، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠١٤م، ص١٣، (سيشار إليه بـ العيد: حقوق الإنسان).

(٣) مرماجنة: قرية إفريقية تقطنها قبيلة من البربر، بينها وبين الأربس مرحلة، وفيها أسواق حسنة. ابن حوقل: صورة الأرض، ص٨٤؛ الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص١٠٩؛ البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ج٣، ص١٢٦٠، (سيشار إليه بـ البغدادي: مراصد الاطلاع).

(٤) تاله: قرية صغيرة تقع في الشمال الغربي من تونس الحالية، وتتميز بموقع تجاري مهم. طقوش: تاريخ الفاطميين، ص٦٤.

(٥) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص٢٧.

حيث دعا للإمام الرضي وبشر بقرب ظهوره، وسماه المهدي المنتظر، حتى أصبحت مرماجنة مركز ودار للشيعة في بلاد المغرب، بالإضافة إلى أنها مركز تجاري أيضاً، مما جعل صيتها يرتفع بين الأمصار، ثم انتقلت دعوته إلى مدينة نفطة[١]، وكثر فيها التشيع حتى أصبحت تسمى بالكوفة الصغرى[٢].

ومن ثم ظهر في هذه المدينة عدد كبير من المثقفين الذين تشيعوا وأصبحوا يشكلون دعماً كبيراً لأبي سفيان في دعوته لآل البيت، بالإضافة إلى دور التجار الذي صار تسترهم وراء التجارة ميدان النشاط الذي أجاده أبو سفيان ومن معه من الدعاة، ومهد بذلك الطريق لانتشار التشيع في أرض إفريقية ، وإعدادها لصاحب البذر الذي أخذ ينتظر ليعلن قيام الدولة الفاطمية في المغرب، لكن أبو سفيان توفي قبل وصول صاحب البذر، تاركاً له أرضاً ممهده لقيام الدولة، وجماعة تؤمن بأحقية آل البيت بالخلافة والحكم[٣].

أما الحلواني فتوغل في أرض البربر، واستقر في حصن الناظور[٤]، بالقرب من سوجمار[٥]، جنوب شرق قسطيلية[٦]، وهي المناطق المشارفة لأرض كتامة[١] البربرية القوية.

القوية.

(١) نفطة: مدينة إفريقية، من أعمال الزاب الكبير، بينها وبين توزر مرحلة، وبينها وبين قفصه مرحلتان، مبنية من الحجارة. الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٩٦؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، ج٣، ص ١٣٨٢.

(٢) البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص٧٤٣؛ الحميري: الروض المعطار، ص٥٧٨.

(٣) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص٢٩.

(٤) حصن الناظور: يقع على الضفة اليمنى لنهر سمام، بين بجاية وقلعة بني حماد، جنوب تاهرت. الطالبي، محمد: الدولة الأغلبية التاريخ السياسي، تعريب المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي، ط٢، بيروت، ١٩٩٥م، ص٦٥٤، (سيشار إليه بـ الطالبي: الدولة الأغلبية).

(٥) سوجمار: أرض واسعة تقع إلى الشمال من حصن الناظور، وأسفل جبل الأوراس، وبعض المصادر ذكرت الاسم بـ: سوق حمار وبخاصة في ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٤٥٠؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٤١؛ النويري، شهاب الدين: نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، ط١، القاهرة، ١٤٢٣هـ، ج٢٨، ص٧٤، (سيشار إليه بـ النويري: نهاية).

(٦) قسطيلية: بلاد واسعة، فيها بساتين النخيل والزيتون، من مدنها توزر والحمة ونفطة، وهي مدينة كبيرة تقع تقع على بعد خمسين ميلاً إلى الجنوب الغربي من قفصه، مبنية من الحجر والطوب، أرضها رملية، حصينة

سار الحلواني على سياسة ونهج صاحبه أبي سفيان، من حيث تشييد مسجد ليكون مدرسة يلقي فيها دروسه على الناس، وينشر الدعوة لآل البيت، كما تزوج من أهل المنطقة، واشترى خادماً وخادمة ليساعداه في كل الأمور، وكان نشاط الحلواني الشرارة التي انطلقت منها الدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب(٢).

ومن هنا يتضح لنا بأن نشاط الحلواني وأبي سفيان في المغرب العربي قد سهل مهمة الداعي أبي عبد الله الشيعي، ومهد لقيام الدولة الفاطمية، وبانتهاء مهمتهم في المغرب تنتهي المرحلة الأولى من الدعوة الإسماعيلية التي أطلق عليها المؤرخون دور الستر (الإعداد النظري)، وهي برأي كل باحث موضوعي، مرحلة غامضة ومشوشة في تاريخ الإسماعيلية، اعتراها الاضطراب والاختلاف بين المصادر المعاصرة وغير المعاصرة، سنية كانت أم شيعية، حتى أنهم اختلفوا في عدد الأئمة، وأسمائهم ونسبهم إلى آل البيت، فمن هذه المصادر من يؤيد نسبهم إلى علي وفاطمة، ومنهم من يرفض هذا النسب ويردهم إلى جنسيات مختلفة. حتى نجد الكثير من هذه المصادر تتحدث عن هذه المرحلة رمزاً دون تصريح واضح. مما يجعل الباحث لا يستطيع أن يعتمد رأياً موحداً عن تاريخ الإسماعيلية في دور الستر، وربما يعود هذا الاختلاف والتخبط إلى السرية التي اتبعها الأئمة في اختيار نوابهم أو حججهم الذين أخذوا دوراً كبيراً في الدعوة، حتى وصل الأمر إلى الخلط بين الأئمة ونوابهم، أو عملاً بمبدأ التقية التي

لها =أربعة أبواب، وهي أكثر بلاد إفريقية تمراً. الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٥٧– ٥٨؛ البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص٧٠٨؛ الحميري: الروض المعطار، ص٤٨٠.

(١) كتامة: مجموعة قبائل في المغرب من فرع البربر المعروف باسم البرانس، وكتامة تنسب إلى جدهم كتام أو كتم بن يونس بن مازيغ بن كنعان بن حام، وهذا ما أورده ابن خلدون، أي أنهم ليسوا من البربر، وبلادهم تنتهي عند بجاية غرباً، وجبال أوراس جنوباً، والبحر شمالاً وبونة شرقاً، وكتامة كما وصفها أبنائها من الحجاج لأبي عبد الله الشيعي، قالوا: " أن حد بلادهم خمسة أيام طولاً في ثلاث أيام عرضاً "، ويقول نسابة العرب: كتامة من حمير العربية، وأول ملوكهم أفريقش الذي أفتتح إفريقية وبه سميت... القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص٣٧؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٦، ص١٩٥؛ القلقشندي، أحمد بن علي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبنانيين، ط٢، بيروت، ١٩٨٠م، ص٤٠٥، (سيشار إليه بـ القلقشندي: نهاية).

(٢) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص٢٨– ٢٩.

اتخذوها لحمايتهم من العباسيين، مما يدل على دقة التنظيم السري وعدم الكشف عن المخطط الإسماعيلي الدقيق.

ب- المرحلة الثانية: الدور العملي للدعوة الفاطمية حيث انتهى الإعداد النظري للدعوة، ليبدأ الدور العملي المادي لقيام الدولة على يد صاحب البذر أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا، المعروف بـ أبو عبد الله الشيعي[١]. وذكره ابن خلدون أبو عبد الله الحسين بن محمد بن زكريا[٢]، كما حدث اختلاف على أصله، فقيل إنه من الكوفة[٣]، وذهب آخرون أنه من البصرة أو من صنعاء[٤]. وأطلق عليه ألقاب عدة منها: الكوفي والصنعاني[٥]، وسمي المعلم لأنه يعلم الناس المذهب الإمامي[٦]، وسمي بالمحتسب لأنه كان يعمل محتسباً في سوق الغزل بالبصرة[٧]، وعرف بالصوفي أيضاً، لأنه كان يلبس الثياب الصوفية الخشنة[٨]، وعرف بالمشرقي أو الشرقي من قبل أهل إفريقية، حتى أن أصحابه ومؤيديه في بداية الدعوة عرفوا بالمشارقة. ولكن أكثر الألقاب التي عرف بها أبو عبد الله هي الشيعي والداعي، لأنه يدعو إلى مذهب الشيعة، وميالاً لآل البيت من أبناء علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الطاهر[٩]، وكان هذا الاختلاف حول اسمه ولقبه وأصله شيئا طبيعياً، لأن عمل الداعي يتطلب السرية

---

(١) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص٣٠؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٤٥٠؛ اليمني: تاريخ اليمن، ص١٣٢.

(٢) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، تح: عبد الله التركي، دار هجر، ط١، مصر، ١٩٩٨م، ج١٤، ص٧٧٢، (سيشار إليه بـ ابن كثير: البداية)؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٤١.

(٣) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص٣٠؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص٥١.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٤٥٠؛ ابن خلكان: وفيات، ج٢، ص١٩٩.

(٥) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٢٤.

(٦) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص٥١.

(٧) ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٤١؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص٥١.

(٨) القرطبي: عريب بن سعيد: صلة تاريخ الطبري، دار التراث، بيروت، ١٣٨٧هـ، ص٥١، (سيشار إليه بـ بـ القرطبي: صلة).

(٩) ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٤٢؛ ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٢٦.

التامة، وعدم معرفة الناس شيئاً عن حياته. أما عن صفاته فكان معروفاً بالذكاء والعلم والورع والتقوى، لا يهتم للمال والمناصب والسلطان أكثر مما يهتم بالدين والآخرة[١].

أُرسل أبو عبد الله الشيعي من سلمية مقر قيادة الدعوة إلى اليمن مركز تدريب الدعاة، ليتدرب على يد منصور اليمن ابن حوشب، ويكون تحت إمرته، ويمتثل لأوامره، فقربه ابن حوشب من مجلسه وصار من كبار أصحابه، وأخذ يرشده ويلقنه أمور الدعوة حتى أصبح قادراً على إدارة مهمته التي أُرسل إلى اليمن من أجلها، وهي السفر إلى المغرب للدعوة لآل البيت والتأسيس لدولة شيعية في المغرب[٢].

وعندما حان الوقت لخروج الداعي أبو عبد الله من اليمن والانضمام إلى قافلة الحج المتجهة من اليمن إلى مكة المكرمة سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٣م، وودع من قبل أستاذه ابن حوشب الذي قال له: " إن أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان، وقد ماتا وليس لها غيرك، فبادر فإنها موطأ ممهدة لك" [٣]، وأرسل معه عبد الله بن الملاحف[٤] ليكون مساعده ويخلفه في حال حصل له مكروه، وأمده بقدر كبير من المال ليتقوى به على سفره[٥]، وبعد وصول أبو عبد الله مع حجاج اليمن إلى مكة، وبعد تأديته مناسك الحج بدأ يبحث عن رجال كتامة ممن حج تلك السنة، وكان من جملة حجيج كتامة ممن تشيعوا بتأثير الحلواني، موسى ابن مكارم، وحريث بن الجيملي[٦]، فوجد ضالته، واجتمع بهم دون أن يعرفوا قصده، وبدأ

---

(١) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص٣٠.

(٢) رجب: الدولة العبيدية، ص٦.

(٣) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٢٤.

(٤) ابن أبي الملاحف: ورد في المقفى للمقريزي، بانه أخ أبو عبدالله الشيعي، وفي افتتاح الدعوة للقاضي النعمان لم يذكر هذه القربة. القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص ٣١– ٣٢؛ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي: المقفى الكبير، تح: محمد اليعلاوي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧م، ص٢٣، (سيشار إليه بـ المقفى).

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٤٥٠.

(٦) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص٣٤؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٤٢؛ الخربوطلي، علي حسني: أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، المطبعة الفنية الحديثة، ١٩٧٢م، ص٣١، (سيشار إليه بـ الخربوطلي: أبو عبد الله).

يحدثهم عن علي بن أبي طالب ﷺ وآل البيت وفضائلهم، وتكررت اللقاءات، وتزايد إعجابهم به حتى أنهم بدوا لا يفارقونه، إلى أن انتهى موسم الحج، واستعدوا للرحيل، فسألوا أبا عبد الله عن وجهته فذكر لهم مصر، فسروا بذلك لأنهم سائرون إلى مصر ثم إلى المغرب، وسيكون بصحبتهم.

بدأت الرحلة إلى المغرب، وبدأ أبو عبد الله الشيعي مهمته التي أرسل لها، حيث تعرف خلال الطريق على أوضاعهم السياسية والاجتماعية والجغرافية، وعلاقتهم بالجوار، وخاصة بدولة الأغالبة، فكان ماهراً بتوجيه الأسئلة التي كان يحتاجها لتنظيم دعوته هناك، ولم يكشف لهم عن نواياه ودوافعه الحقيقية، بل كان يجتهد في تضليلهم وتعتيم أمره عليهم(١).

ولما وصلوا إلى مصر، تظاهر أمامهم أنه يريد الاستقرار بمصر، فسألوه عن هدفه وسبب إقامته بمصر فأجابهم إنه يريد كسب رزقه من تعليم الصبيان، فطلبوا منه أن يذهب معهم إلى بلادهم ويعلم أبناءهم، ويدفعون له ما يشاء ويجعلونه سيداً بينهم، لكنه اعتذر لهم حتى يزيدهم تمسكاً به ويوهمهم عن هدفه الحقيقي الذي جاء من أجله، وأخيراً وافق على الذهاب معهم، فزادوا في خدمته وتبجيله إلى أن وصلوا القيروان، وأثناء وجوده هناك تأكد من صدق كلام حجاج كتامة له، وتبين له أن كتامة أكثر قبائل المغرب العربي سلطاناً ومراساً(٢)، وتابعت القافلة المسير مروراً بطرابلس، ومنها إلى قسطيلية، حتى وصلوا إلى سوجمار، حيث استقبلوا بالترحاب من قبل بعض الشيعة من أهل تلك البلاد التي لا تزال تعاليم الحلواني فيها، وكان من بينهم: أبو عبد الله بن محمد بن حمدون الأندلسي، وأبو قاسم الورفجومي، وأبو حيون بن المقش، وبعد أن استراحت القافلة في سوجمار استأنفت رحلتها إلى بلاد كتامة، فوصلت في منتصف ربيع الأول سنة ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م(٣).

---

(١) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص٣٦– ٣٨؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص٥٥؛ الخربوطلي: أبو عبد الله، ص٣٢.

(٢) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٢٥.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٤٥١.

Fdachraoul, contribution A1, Histoire des fatimides er Ifriaiya (Aradica8) 1961, p.192

وبدأ التنافس والخصام بين أصحاب أبو عبد الله، على ضيافة صاحبهم المشرقي، فكل فرد منهم كان يطمح باستضافته عنده، إلى أن تركوا له الاختيار، فسألهم عن فج الأخيار[١]، فتعجبوا من ذلك لأنهم لم يذكروا له هذا الموقع أثناء رحلتهم معه، فأجابوه أنه عند بني سليمان[٢]، فطلب منهم أن يذهبوا به إلى ذلك الموقع لتكون إقامته، أما عن جماعته وأصحابه المتسابقين في استضافته، فقد وعدهم أن يزورهم في أماكن إقامتهم، وسيرضيهم جميعاً[٣].

٢. مساعي أبو عبد الله الشيعي لقيام الدولة الفاطمية:

بعد وصول الداعي أبي عبد الله إلى فج الأخيار في جبل إيكجان[٤]، وبعد حصوله على المعلومات عن وضع كتامة السياسي والاجتماعي والجغرافي، وما حولها من دول وزعامات وقبائل، تبدأ مهمته الحقيقية في إرساء دعائم الدولة الفاطمية. فتبين له من خلال ذكائه ونظرته الثاقبة أن الدين هو المدخل الأساسي إلى قلوب الناس كي ينشئ مجتمعاً متماسكاً يستند على بنية سياسية متينة، مستفيداً بذلك من جهود الدعاة الذين سبقوه، فبدأ مخططه في تعليم الناس أصول الدين والحديث عن فضائل علي بن أبي طالب وأولاده وأحقيتهم في الإمامة. كما بنى علاقات مع زعماء القبائل من خلال تعليم أبنائهم الدين، وكان حريصاً على إتباع المثل

---

(١) فج الأخيار: قرية صغيرة تقع في جبل إيكجان، كانت محطة لاجتماع الحجاج العائدين والذاهبين من الأندلس وشمال المغرب الأقصى، وذكره القاضي النعمان في الافتتاح قال: " هذا فج الأخيار... والله ما سمي هذا فج ألا بكم... وإن للمهدي هجرة تنبؤ عن الأوطان، في زمان محنه وافتتان، ينصره فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان، قوم مشتق اسمهم من الكتمان... وبخروجهم من هذا الفج يسمى فج الأخيار". القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص٤٨.

(٢) بني سليمان: من بطون كتامة، يسكنون إيكجان، وردت في الاتعاظ للمقريزي، ج١، ص٥٦؛ وبني سليان واحياناً بني سكتان في الكامل لابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٤٥١.

(٣) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص٤٧– ٤٨؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٤٥١؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص٥٦.

(٤) إيكجان: جبل بين سطيف وقسنطينة، تسكن فيه قبائل كتامة، وهو موقع حصين ومنيع، بينه وبين بجاية مرحلة ونصف، ويتصل بطرفه من جهة الغرب جبل يسمى جلاوة. الإدريسي، محمد بن عبد الله: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، ط١، بيروت، ١٤٠٩هـ، ج١، ص٢٦٩، (سيشار إليه بـ الإدريسي: نزهة)؛ الحميري: الروض المعطار، ص٧١.

الإسلامية العليا، والأخلاق الرفيعة، وإلزام أتباعه باتباع هذه الصفات الحسنة، مما غير أخلاقيات المجتمع، فعرفه الناس من خلاله ما تميز به من التواضع والمحبة والإحسان، فلا تمييز بين غني ولا فقير، ولا ضعيف ولا قوي، على عكس ما كان عليه المجتمع قبل ذلك من تمييز. فحقق نجاحاً باهراً من خلال توافد الناس إليه من كل مكان، وعظم أمره، وانتشر صيته، وبدأ بترسيخ جهاز الدعوة، وإعداد الدعاة الجدد عقائدياً وعسكرياً ليكونوا ساعده الأيمن في إنجاح مهمته، فضمت المجموعة الأولى عدداً من المريدين والأتباع والمساعدين وهم: حريث الجميلي، وموسى بن مكارم، وأبو عبد الله الأندلسي، وأبي القاسم الورفجومي، بالإضافة إلى هارون بن يونس، والحسن بن هارون، وابن ضبارة، وأبو زاكي بن معارك، وكان يناديهم الأخوة أو المؤمنين، أما هم فكانوا ينادوه أخانا[١].

ومن خلال مساعدة هذه المجموعة له، وما تميز به من ذكاء وحسن تدبير تمكن أبو عبد الله من تحقيق نجاح جعل شهرته تتعدى إيكجان وتازورت[٢] ومناطق أخرى من المغرب العربي، وهذا النجاح مكنه من الإفصاح عن دعوته الشيعية التي ناصرها ودخل فيها عدد كبير من البربر، منهم دخلها يريد بها مرضاة الله وطلب ثوابه ودخول جنته، وآخرون أرادوا أن يكسبوا الدين والدنيا، ونفراً ثالثاً دخل ذلك فخراً وحباً للشهرة والرياسة والحصول على المكاسب السياسية والمناصب، وهناك من دخلها خوفاً وتقية ومداراة، ودخلها آخرون للمنافسة والكسب والفائدة[٣]. وعلى الرغم من هذا النجاح الذي حققه في تلك المدة القصيرة واجه معارضة داخلية مثلها العلماء والفقهاء، ورجال الدين، وبعض زعماء القبائل الذين خشوا على سلطانهم ونفوذهم، ومعارضة خارجية مثلها الأغالبة وبعض الدول القائمة في المغرب. ولم يكن الأمر سهلاً للداعي أبو عبد الله في نشر دعوته وإقامة دولته في ظل هذه الظروف، لكنه تمكن من تجاوز هذه العقبات التي زادته ثباتاً، وجعلت منه رجلاً فريداً يتغلب على كل شيء يعترضه بمهارة وإيمان، فكأن هذا الرجل يظهر للناس غير ما يبطن، مرة تراه الداعي الورع الواعظ

---

(١) الدشراوي، فرحات: الخلافة الفاطمية بالمغرب، دار المغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٩٩٤م، ص٨٩-٩١، (سيشار إليه بـ الدشراوي: الخلافة الفاطمية).

(٢) تازورت: من مدن الزاب تقع في أرض كتامة إلى الجنوب الشرقي من ايكجان. الباحث.

(٣) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص٤٩.

المؤمن بهداية الناس إلى الخير، ومرة تراه الرجل السياسي الذكي الداهية الذي يسعى إلى تحقيق مكاسب سياسية لحساب الإمام الفاطمي المنتظر[١].

ومع اتساع نطاق الدعوة، وتكاثر عدد المنتسبين إليها، كان من الطبيعي أن تتولد ردود فعل قوية في القبائل التي تريد الاحتفاظ بنظمها القبلية القديمة من جهة، وبدولة الأغالبة التي تحكم باسم الدولة العباسية من جهة ثانية. وبدأ الصراع عندما دخل أبو عبد الله مضطراً إلى مدينة ميله[٢]، حيث نزل فندق كان لفرجون مولى موسى بن عباس صاحب ميله[٣]، وقد خاف موسى من نزول أبو عبد الله الشيعي فندقاً يملكه مولى من مواليه، وخاف أن يصل خبره إلى حكام دولة الأغالبة، لذا طلب موسى من فرجون صاحب الفندق أن يأتيه بهذا الرجل، ولكن فرجون خاف أن يؤذي موسى أبو عبد الله ويكون بهذا العمل قد أوصل الأذى إلى آل البيت وكشف أمر داعيتهم، فقرر عدم تسليمه عندما أرسل إليه من أنذره وأمره بالخروج من الفندق، وبالفعل تمكن أبو عبد الله من الهرب، فلما وصل فرجون الفندق أخذ يبحث عنه متظاهراً بوجوده، ثم أبلغ موسى بن العباس بأن الرجل المطلوب خرج من الفندق قبل أن يُحصله[٤]، تناقل الناس هذه الحادثة بعدما حرفوها وزوروها على شكل مطاردة صاحب ميله لأبي عبد الله وهو يتجه نحو إيكجان على ظهر بغلته الشهباء، فجعلوا منها قصة ملحمية زادت من شهرته بين القبائل[٥].

---

(١) الخربوطلي: أبو عبد الله، ص٤٤.

W.lvhow; the orgahization oftimia propayanda LBBRAS (1939) vol.15,p.2.

(٢) ميله: مدينة صغيرة بأقصى إفريقية ، بينها وبين بجاية ثلاثة أيام، وبينها وبين قسنطينة يوم واحد، وهي من مدن الزاب، في وسطها عين تعرف بعين أبي سباع. الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٢٤٤؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، ج٣، ص١٣٤٥.

(٣) موسى بن العباس: ورد في بعض المصادر موسى بن العياش صاحب مسيله وهذا خطأ، فأكثر المصادر ذكرته: موسى بن العباس وليس العياش، أما مدينة مسيلة لم تؤسس بعد فقد بناها علي بن حمدون بأمر من القائم بأمر الله الفاطمي فيما بعد. ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٤٢.

(٤) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص٥٠– ٥٢.

(٥) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص٥٢.

لم يتوقف موسى بن العباس عن ملاحقة أبي عبد الله، حيث أرسل إلى بني سليمان يطلب منهم أن يسلموه إياه كي يختبر أمره، لكنهم رفضوا تسليم ضيفهم إلى صاحب ميله، فهددهم بأن هذا الأمر إذا علم به صاحب إفريقية إبراهيم الأغلبي الثاني، فسوف يرسل إليهم العساكر وينالهم من ذلك ما يكرهون، فرفضوا تسليم ضيفهم ولو كلفهم ذلك حياتهم(١).

ذاع خبر أبي عبد الله وتكاثر عدد أنصاره وشيعته، فأرسل صاحب إفريقية إبراهيم الأغلبي إلى عامله في مدينة ميله يسأله عن أمر هذا الرجل، فهون موسى أمره، خوفاً من قدوم إبراهيم إلى ميله، وربما يؤدي ذلك إلى عزله من منصبه(٢)، لكن إبراهيم الأغلبي لم يهدأ له بال، فأرسل من قبله منجمة بن المعتصم حاملاً رسالة شفهية إلى أبي عبد الله، وأوصى عامله في ميله موسى بن العباس أن يؤمن له طريق الوصول إلى إيكجان، ويكون اجتماع الرسول بأبي عبد الله سراً، وعند وصول الرسول استقبله أبو عبد الله بلطف وأعطاه الأمان واستمع إلى رسالته، وفيها: " ما حملك على التعرض سخطي والتوثب على مملكتي وإفساد رعيتي والخروج عليّ، إن كنت تبتغي عرضاً من أعراض الدنيا، فإن ذلك مما تجده عندي، وإن كنت تلافيت نفسك ورجعت عن غيك، فأقدم إليّ فأنت آمن، فأن أردت المقام ببلدي، أقمت، وإن أحببت الانصراف إلى الموضع الذي جئت منه انصرف، وإن كان قصدك قصد من سولت نفسك لك، من الهلاك العاجل قبل سوء المصير في الأجل، فلا يغرنك ما رأيته من إقبال هؤلاء الأدباش عليك، وأتباعهم إليك، فإني لو قد صرفت وجهي إليك لأسلموك وتبرؤوا منك، واعلم أني إنما أردت الأعذار إليك لإظهار الحجة عليك... هذا أول كلامي إليك وآخره، لن أقبل لك بعده توبة، ولا أقبل لك عثرة ولا أجعل جواب ما يكون منك إلا النهوض بنفسي إليك بجميع أبطال رجالي وأنصار دولتي... فقد أعذر إليك من أنذرك" (٣).

أما جواب أبي عبد الله على الرسالة فكان قاسياً رافضاً عرض الأمير باحتقار غير مكترث بالوعد ولا من الإبراق والإرعاد، وقال للرسول بلغ سيدك ما أقوله: "... فأما ما أطمع به من دنياه، وعرضه زبدها وحضا مها، فلست من أهل الطمع فأميل إليه...، وإنما بعثت رسولاً لأمر

(١) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص٥٤؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٤٢.

(٢) المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص٥٧.

(٣) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص٥٥– ٥٧.

حم وقرب، وانتجاز وعد من الله سبق ...، فإن سولت له نفسه ما توعد به، ودعته إليه فسوف يعلم أن الله من ورائه، ولن تغني فئة ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين"[١].

ثم دعا أبو عبد الله الأمير الأغلبي في آخر رسالته الشفهية إلى طاعة الإمام عبد الله المهدي سليل رسول الله ﷺ. ويبدو أن رسالة الأمير حادة اللهجة، فيها خليط من الحيرة والاحتقار لرجل اعتبره متمرد، لكن جواب الرسالة كان أكثر حدة، فيه من الجرأة ما أرعب الأمير متظاهراً بعدم الاكتراث، متوهماً أن أبا عبد الله لن يحصل على تأييد قبائل كتامة بشكل كامل، كما أن حصون ميله وسطيف[٢] وبلزمه[٣]، لا تزال في أيدي الولاة العرب الموالين لحكم الأغالبة [٤].

هذا التهاون في حسم الموقف والتقليل من الخطر الإسماعيلي، أعطى الفرصة الكافية لأبي عبد الله في تنظيم صفوفه، والسعي إلى قيام حركة ثورية ضد السلطة الأغلبية التي أصبحت تعاني من اضطرابات داخلية جعلتها عاجزة عن التصدي للقوة الإسماعيلية الناشئة[٥].

أثار هذا الوضع ولاة بعض المدن المتخوفين من الخطر الذي سيهدد وجودهم، ويزيل زعامتهم وسيادتهم من أيديهم، فاضطروا جراء هذا الوضع إلى الاعتماد على أنفسهم والتحالف فيما بينهم للوقوف في وجه الداعي أبي عبد الله، الذي شعر بالخطر الذي هدده فالتجأ إلى الاختفاء وعدم الظهور.

---

(١) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص٥٨.

(٢) سطيف: مدينة قديمة محصنة تقع في جبال كتامة، بين تاهرت والقيروان، في بلاد المغرب، بينها وبين ميله مرحلة، كثيرة الفواكه والثمار، رخيصة الأسعار، غزيرة المياه والأنهار، الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٢٠؛ الحميري: الروض المعطار، ص٣١٨؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، ج٣، ص٧١٤؛ المراكشي: الاستبصار، ص١٦٦.

(٣) بلزمة: حصن قديم، يقع بالجنوب من سطيف على مرحلتين بالقرب من قسنطينة. الحميري: الروض المعطار، ص١٠٣.

(٤) حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص٥٠.

(٥) الدشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٩٤- ٩٥.

ومن هؤلاء المتحالفين كان موسى بن العباس صاحب ميله، وعلي بن عسلوجه صاحب سطيف، وحي بن تميم صاحب بلزمة، وبعض زعماء قبائل كتامة. وطلبوا من بيان بن صقلان، وهو من كبار رجال بني سليمان تسليمهم أبي عبد الله الذي يحتمي ببني سليمان، وهو حسب قولهم من بدل الدين وفرق الجماعة وشتت كلمة القبائل والأقارب[١].

لكن بيان رفض طلبهم، بحكم ما تفرضه عليه عاداتهم وتقاليدهم في تسليم ضيفهم ومن يحتمي بهم، هذا ما أغضبهم وجعلهم يعلنون حرباً ضد أبي عبد الله وبني سليمان، فسارت جيوشهم إلى إيكجان وعسكرت في مكان يقال له وادي النجاة[٢]، ودارت الحرب بين الطرفين إلى أن تمكن أصحاب الأرض بني سليمان من هزيمتهم، ومع ذلك وبعد مدة حاول المتآمرون مرة ثانية مع بني سليمان لتسليمهم أبي عبد الله، مما جعل الداعي أبي عبد الله يغادر إيكجان إلى تازورت، ليبعد عنها خطر المتحالفين، ويجنب بني سليمان خطر الانقسام، ليكون تحت حماية بنو غشمان ورئيسهم الحسن بن هارون الذي استقبل الداعي في بيته وأفرط في تكريمه، فأصبح بيته مركز يتجمع فيه الكتاميين. كما أن وجود مثل هذا الضيف الذائع الصيت عنده لم يلبث أن جلب له احترام أبناء قبيلته وتقديرهم، كما جعل منه رجلاً ذا شأن عند الداعي فيما بعد[٣]. وبانتقال أبي عبد الله إلى تازورت دخلت دعوته مرحلة جديدة، مليئة بالأحداث والتطورات، فقد حاول من جديد أعداؤه والمتحالفون ضده التخلص منه، وذلك عندما تآمر عليه زعيم قبيلة لهيصة مهدي بن أبي كناوة، محاولاً الحصول على الداعي بالطرق السلمية، لكن بني غشمان رفضوا تسليم من دخل في حماهم، وأصبح ضيفاً عليهم، فدارت حرب بين الطرفين دامت مدة طويلة، انتهت بنصر بني غشمان على لهيصة، والفضل يعود إلى حنكة الداعي وذكائه في الحرب، واستغلال النزاعات القبلية لصالح تقوية مركزه ونشر دعوته، هذا النصر حول الداعي أبا عبد الله من حالة الدفاع إلى حالة الهجوم، عندما شن هجوماً على زعيم قبيلة مزاته[٤] يوسف الغطاشي، الذي وعد الأمير الأغلبي بالتخلص من أبي عبد الله،

---

(١) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص٧٩– ٨١؛ الدشراوي: الخلافة الفاطمية، ص١٠٠.

(٢) وادي النجاة: يقع شرقي جبل إيكجان بالقرب من غابة أشجار التاكوت.

(٣) طقوش: تاريخ الفاطميين، ٧٠–٧١؛ الحمد: قيام الدولة، ص١٢٥.

(٤) مزاته: قبيلة بربرية تسمت المنطقة التي سكنوها على اسمها. الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٣٦٨.

لكنّ أبا عبد الله سار على رأس جيش من الكتاميين إلى مزاته وقتل زعيمها وغنم غنائم كثيرة، كان من بينها جارية تزوجها أبو عبد الله وأنجبت منه ولداً[١].

بعد كل هذه الانتصارات التي حققها الداعي أبو عبد الله، أدرك أعداؤه أنه لا يمكن التخلص منه بالمكر والخديعة، بل عليهم أن يتحدوا ويكونوا صفاً واحداً ضده.

وهنا خشي أنصار أبي عبد الله من هذا التحالف الجديد الذي بات يهدد الداعي بشكل خاص، وتازورت بشكل عام، ولكن الداعي كان أكثر ثقة وقوة من أنصاره، وبدأ يحثهم ويجمع كلمتهم ويقوي قلوبهم ضد أعدائهم، فتجمعوا في مكان يقال له وادي تافرنت سنة ٢٤٧هـ/ ٩٠٠م[٢]. لكن أبا عبد الله أدرك خطورة الموقف، فطلب من أنصاره أن يعرضوا السلم على أعدائهم، حيث أرسلوا لهم سهل بن بركاس[٣] الذي عرض عليهم المصالحة وعقد معاهدة بين الطرفين تضمنت ترك الحرية لمن يريد الدخول في المذهب الشيعي أو الرجوع عنه، ولا يكره أحد على ذلك. لكن الاتفاق لم يتم، ودارت حرب بين الطرفين، أسفرت نهايتها عن سقوط مدينة ميله بيد أبي عبد الله الذي شن حرباً بعد الانتصار على مدينة سطيف ومزاته، وحصل على غنائم وأموال زادت من قوته ومن عدد أنصاره الذين دخلوا في طاعته، إما رغبة في الغنائم أو خوفاً من قوة الداعي التي تزداد بعد كل انتصار قام بتحقيقه[٤].

بدأ يبحث عن مكان يجعل منه مركز ودار هجرة يسكنه هو وأنصاره، فوجد ذلك في مدينة تازورت التي بنى فيها قصره المحاط بمنازل أتباعه ومؤيديه، فأصبحت المنطقة الواقعة في أرض كتامة والممتدة من سطيف وميلة شرقاً، وجبل بابورس شمالاً، وبلزمة جنوباً تحت سيطرته، فتمكن الداعي خلال السنوات التسعة الأولى من وجوده في المغرب من إنهاء المرحلة الأولى ٢٨٠- ٢٨٩هـ/ ٨٩٣- ٩٠٢م، التي كانت شاقة ومليئة بالمصاعب والعقبات، ليبدأ بمرحلة جديدة بدأها بالتنظيم والإدارة مقسماً كتامة إلى أسباع، وجعل لكل سبع مقدماً أو داعياً،

---

(١) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص٩٥- ٩٨؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٤٣.

(٢) الدشراوي: الخلافة الفاطمية، ص١٠٨-١١٠.

(٣) ورد في تاريخ ابن خلدون بسهل بن فوكاش. ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٤٣.

(٤) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص١٠٣-١٠٩.

M.Talb; L'Emirat Aghlabide- Histoire politique (paris 1966) p.617.

وأطلق عليهم اسم المشايخ، وأشركهم في الحكم ليبين أنه لا يعمل لحسابه الخاص، بل يعمل باسم الإمام المهدي المنتظر، وتمكن من خلال هذا التنظيم الدقيق أن يضع أسس دولة حديثة في المغرب، لتبدأ تنافس الدول الموجودة هناك على السيادة، وخاصة دولة الأغالبة التي كانت تحكم باسم الخليفة العباسي في المغرب[١].

بدأ النزاع مع الأغالبة من خلال مواقف حاكم مدينة ميله موسى بن العباس المعادية لأبي عبد الله ورفضه لدعوته، حيث شارك في كل المؤامرات التي حيكت ضد أبي عبد الله، فما كان من الأخير إلا أن يشن حرباً على هذه المدينة مدفوعاً إلى ذلك ما كانت تتمتع به هذه المدينة من حضور عربي بين القبائل البربرية، ومكانة جغرافية كونها تشكل حاجزاً يمنع انتشار الدعوة الإسماعيلية، لذا شن عليها هجوماً سنة ٢٨٩هـ/ ٩٠٢م، وتمكن من تحقيق النصر بعد أن قتل حاكمها موسى بن العباس ومن معه من أعداء أبي عبد الله[٢]. وعين أبا يوسف ماكنون بن ضبارة حاكماً عليها.

كان سقوط ميله بيد الداعي ضربة قوية لدولة الأغالبة، فقرروا العمل على استعادتها، حيث كان سقوطها قد أدى لنهاية حكم الأمير إبراهيم الثاني بن أحمد ٢٦١- ٢٨٩هـ/ ٨٧٥- ٩٠٢م، وبداية حكم الأمير أبي العباس عبد الله الثاني بن إبراهيم ٢٨٩- ٢٩٠هـ/ ٩٠٢- ٩٠٣م، فتنازل إبراهيم الثاني عن العرش في شهر رجب ٢٨٩هـ/ مارس ٩٠٢م، لابنه أبي العباس عبد الله الثاني، وانطلق الأمير إلى جزيرة صقلية لتسوية أمورها[٣] إلى أن توفي فيها، وبعد وفاته بقليل جهز الأمير الجديد أبو العباس جيشاً ضم أكثر من ١٢٠٠ جندي، وعين عليه ابنه محمد الملقب بأبو حوال[٤]، الذي كان معروفاً بقوته وشدة بطشه، فخرج الجيش من

---

(١) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٢٨. الدشراوي: الخلافة الفاطمية، ص١١٥. بدر، أحمد: تاريخ المغرب والأندلس، منشورات جامعة دمشق، مطبعة الروضة، دمشق ١٩٨٢م، ص١١٨- ١١٩، (سيشار إليه بـ بدر: تاريخ المغرب).

(٢) وهم: فحل بن نوح، فرح بن جيران، يوسف بن محمد، وزرة بن نصر، وهؤلاء انتصر عليهم الشيعي في وادي تافرنت، فتحصنوا في مدينة ميله. القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص١٣٧- ١٣٨.

(٣) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص١١٤.

(٤) أبو حوال: وقع خلاف في المصادر التي أوردت اسم محمد بن عبد الله المعروف بأبو حوال، حيث ورد بالأحول في كل من ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٤٥٢؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص٥٨. ابن عذاري:=

تونس في شهر ذي القعدة سنة ٢٨٩هـ/٩٠٢م، وأرسل أبو العباس إلى حكام المناطق الواقعة على طريق الجيش، ومن كان خارجاً عن طاعة أبي عبد الله الداعي أن يقدموا الدعم للجيش وينضموا إلى صفوفه، فدخل مدينة سطيف ثم بجاية، وانضم عدد كبير إليه خلال الطريق، حتى التقى الجمعان ببلدة ملوسة الواقعة شمالي غربي تازورت، ودار قتالاً شديداً بين الطرفين انتصر فيه أبو حوال وانهزم أبو عبد الله إلى تازورت ثم تركها واتجه إلى إيكجان، ودخل أبو حوال إلى تازورت وأضرم النار فيها وهدم قصر الداعي، ولحسن حظ الداعي لم يواصل أبو حوال تقدمه إلى إيكجان، بسبب تساقط الثلوج ووعورة المنطقة، إضافة إلى حدوث خلافات في صفوف جيشه(١)، أجبرته على ترك كتامة ومن ثم التوجه إلى تونس، أو ربما كان سبب توجهه إلى تونس – قبل إنهاء مهمته في القضاء على حركة أبي عبد الله الشيعي – بأمر من والده عبد الله الثاني، وذلك بعد وفاة والده إبراهيم الثاني في صقلية تسلم قيادة الجيوش حفيده زيادة الله بن عبد الله الثاني أخو أبي حوال الذي فك الحصار عن مدينة كشتة الصقلية وعاد إلى بلرم(٢) حيث حرض الجيش على والده عبد الله الثاني طامعاً في تسلم الحكم في تونس.

أما الداعي أبو عبد الله وبعد الهزيمة التي تعرض لها بدأ يلملم جراحه ويستعيد قواه على الصعيد المادي والمذهبي(٣)، كما جعل من إيكجان دار هجرة ومركز لدعوته بعد أن حرقت تازورت مركزه الأول، وبدأ بتنظيم قواته من جديد ويرسل الدعاة إلى القبائل. لكنه تفاجأ بحملة جديدة جاءت من تونس على رأسها أبو حوال سنة ٢٩٠هـ/٩٠٣م، وسار على طريق حملته في المرة الأولى إلى أن نزل ملوسة، ودار قتال شديد إلى أن هزم أبو حوال، وربما كان سبب

=البيان، ج٤، ص٧٩؛ وفي تاريخ ابن خلدون ورد أبو حوال، ج٤، ٤٣. بينما ذكره القاضي النعمان بأبي حوال، وربما هذا الأصح. وهذا ليس أحوال كما تذكر بعض المصادر، بل يكسر عينة إذا أدام النظر فلقب بذلك.

(١) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص١٣٩–١٤١؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٤٥٢؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص ٥٨.

(٢) بلرم: من أعظم مدن جزيرة صقلية، تقع على الساحل الشمالي الغربي من الجزيرة، لها سور شامخ. الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٤٨٣؛ الحميري: الروض المعطار، ج١، ص ١٠١؛ القزويني: آثار البلاد، ص١٥٨؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، ج١، ص٢١٨؛ العدوي: الأساطيل العربية، ص٧٩.

(٣) أحمد: تاريخ المغرب، ص١٢٨.

هزيمته، يعود إلى وصول خبر مقتل والده عبد الله وتسلم أخيه زيادة الله الحكم، وربما كان زيادة الله وراء مقتل والده، كما أنه قتل أخاه أبا حوال عند وصوله إلى تونس على رأس الجيش[١].

وفي حين كان أبو عبد الله يعيد تنظيم صفوفه، ويستعد لمتابعة القتال، ويرسل الدعاة إلى مختلف البلاد يبشروا باقتراب ظهور المهدي، كان زيادة الله الثالث مشغولاً بتثبيت سلطته ومنهمكاً في ملذاته[٢]. ذلك مما زاد في إضعاف الدولة، فوجدها أبو عبد الله فرصة لمتابعة التوسع والسيطرة على باقي المدن التي تدين بالولاء للأغالبة.

فهاجم المدينة الثانية سطيف سنة ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م، بعد خضوع ميله لسلطته، بعد أن حاصرها مدة من الزمن إلى أن تمكن من السيطرة عليها، وهدم سورها، وقتل حاكمها من بني عسلوجة، ولأهمية هذه المدينة عند الأغالبة كونها مركز تجمع الجيوش القادمة من تونس إلى كتامة، أرسل زيادة الله الثالث جيشاً عظيماً بقيادة إبراهيم بن حبشي سنة ٢٩١هـ/٩٠٤م[٣]، فوصل إلى أطراف أرض كتامة وعسكر بجيشه في مدينة قسنطينة[٤]، وبقي فيها لمدة ستة أشهر ينتظر انتهاء فصل الشتاء، فكان هذا الانتظار من أسباب خسارته في المعركة، لأنه ترك المجال لخصمه باستغلال الوقت للاستعداد وتنظيم صفوفه.

وبعد قتال شديد دار بين الطرفين انتصر جيش الداعي أبي عبد الله، وغنم جراء ذلك غنائم كثيرة من أسلحة وأموال وسروج وغير ذلك، فأرسل أبو عبد الله الداعي إلى المهدي الذي كان قد وصل إلى سجلماسة، يخبره بالنصر والغنائم التي غنموها[٥].

---

(١) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٣٦؛ تامر، عارف: عبيد الله المهدي، دار جيل، ط١، بيروت، ١٩٨٠م، ص٥٣، (سيشار إليه بـ تامر: عبيد الله).

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٤٥٢؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٤٤.

(٣) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص١٦٨-١٦٩.

(٤) قسنطينة: من مدن إفريقية، مدينة قديمة وذات آثار كثيرة، رخيصة الأسعار، تقع بين تيجس وميله. الحميري: الروض المعطار، ص١٠١.

(٥) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص١٦٩- ١٧١؛ ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٣٨- ١٣٩.

وبينما كان الداعي أبو عبد الله ينتقل من نصر إلى آخر، كان زيادة الله الأغلبي يتخبط في أوحال السياسة لا يعرف كيف يواجه هذا الخطر المتمثل بالداعي، فانتقل من تونس إلى رقادة سنة ٢٩٦هـ/٩٠٥م، وبدأ بتحصينها ويبني لها سوراً، كما أعاد تنظيم الجيش، وكلف كلاً من مدلج بن زكريا، وأحمد بن مسرور، بقيادة الجيش المتوجه إلى إيكجان لمحاربة الداعي، لكنهما تمردا وعادا إلى القيروان للسيطرة عليها إلا أنهما قتلا قبل ذلك[١]، وكانت هذه الأخبار تصل إلى الداعي في أرض كتامة بفضل الدعاة والجواسيس الذين نشرهم في إفريقية، مما شجعه على متابعة الزحف والسيطرة على المدن الخاضعة لحكم دولة الأغالبة مدينة تلو الأخرى، حيث تمكن من المدينة الثالثة طنبة[٢]، التي حاصرها من كل الجهات وتمكن من دخولها، وعامل أهلها معاملة حسنة ثم عين عليها حاكماً شيعياً يحيى بن سليمان[٣]، بعد أن أسر حاكمها حسن بن أحمد بن نافذ المعروف بأبي المقارع، ونقله معه إلى إيكجان.

وبعد مدة ليست بالطويلة تمكن الداعي من إسقاط مدينة بلزمة ليفتح ثغرة في الحصون الغربية التي تحمي إفريقية حيث مركز دولة الأغالبة، مما أخاف زيادة الله الثالث، فجهز جيشاً بقيادة هارون الطبني سنة ٢٩٤هـ/ ٩٠٦م، وأرسله إلى باغاية لحمايتها، عندها قام الجيش الأغلبي بغارة على بلدة دار ملول[٤] التابعة للداعي أبي عبد الله وهدم حصنها، لكن القائد الأغلبي فوجئ بقوات أبي عبد الله التي انهالت عليه من كل جهة وألحقت به هزيمة نكراء، تمكن الداعي بعدها من الاستيلاء على تيجس[٥] دون حرب، وانسحب الجيش الأغلبي إلى

---

(١) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٣٩.

(٢) طنبة: بلده في أطراف إفريقية من المغرب في منطقة الزاب، المدينة الثانية بعد القيروان، تشتهر بكثرة الزروع والبساتين، لها سور من الحجارة والطوب. ابن حوقل: صورة الأرض، ص٨٥؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، ج٢، ص٨٧٩.

(٣) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص١٧٣– ١٧٦.

(٤) دار ملول: بلدة صغيرة في إفريقية، تقع على بعد مرحلة من طنبة. البشاري، محمد بن أحمد: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، ط٣، القاهرة ١٩٩١م، ص٢٤٧، (سيشار إليه بـ البشاري: أحسن التقاسيم).

(٥) تيجس: مدينة حصينة عظيمة من أعمال باغاية، لها سور صخري، ولها ربض، وبها أسواق كثيرة الخيرات. اليعقوبي: البلدان، ص١٩٠.

القيروان[١] وجراء هذه الانتصارات التي حققها الكتاميون بقيادة أبي عبد الله على قوات دولة الأغالبة قرر أميرها زيادة الله الثالث الخروج بنفسه على رأس جيش كبير سنة ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م، والزحف إلى أرض كتامة من أجل التخلص من هذا الرجل المشرقي – كما يسمونه في بلاد المغرب – الذي عكّر أمن واستقرار دولة الأغالبة بشكل خاص والدول المستقلة الأخرى بشكل عام. وصل الجيش إلى الأربس[٢]، فعاد زيادة الله الثالث إلى رقادة، تاركاً الجيش بقيادة ابن عمه إبراهيم بن أبي الأغلب يراقب تحركات الداعي، ويرد هجماته الهادفة إلى إخضاع أفريقيا بشكل كامل[٣].

لكن الداعي أبو عبد الله تمكن في ظل هذه الأحداث من الاستيلاء على باغاية وعين ماكنون بن ضبارة عاملاً عليها، ليتابع إلى تيفاش[٤]، فدخلها وأعطى أهلها الأمان، وهنا تحرك الجيش الأغلبي إلى تيفاش، لينشب قتال بين الداعي وابن الأغلب، كانت نتيجته انتصار الداعي وأصبح الطريق مفتوحاً إلى رقادة بعد أن اخضع الداعي مجانه[٥] سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م، ٩٠٨م، ولم يبق أمامه إلا منطقة الأربس – مركز تجمع الجيش الأغلبي – بعد أن سيطر على مرماجنه، وبعد محاولات عدة قام بها الداعي أبو عبد الله تمكن أخيراً من تحقيق النصر

---

(١) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص١٧٨.١٨٢.

(٢) الأربس: مدينة إفريقية واسعة، بينها وبين القيروان ثلاثة أيام من جهة الغرب، وبينها وبين بجاية مرحلتين، وتعرف ببلدة العنبر. الحميري: الروض المعطار، ص٢٤؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، ج١، ص٥٠.

(٣) ابن الوردي: تتمة المختصر، ج١، ص٣٧٤.

(٤) تيفاش: مدينة في إفريقية، بينها وبين الأربس مرحلة. مدينة أولية شامخة، فيها عيون ومزارع. البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص٧١٥.

(٥) مجانه: مدينة كبيرة إفريقية، بها معادن الفضة والحديد، وتسمى قلعة بسر، لأن بسر بن أرطاة فتحها. البكري: المسالك الممالك، ج٢، ص٨٣٢؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، ج٣، ص١٢٣٠؛ القزويني: أثار، ص٢٦٠.

على الأغالبة في الأربس سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م، فدخل المدينة عنوة، وتمكن من فتح عدة مدن منها قسطيلية، وقفصة[١].

وصلت أخبار الهزيمة إلى زيادة الله، الذي أدرك أن نهايته قريبة، فقرر الهرب شرقاً مصطحباً معه ما أمكنه حمله من المال والمتاع رافقه بعض رجاله وعبيده، فوصل إلى مصر، ثم اضطر للخروج منها إلى بلاد الشام محاولاً الذهاب إلى بغداد لكن الخليفة العباسي منعه من ذلك وأمره بالعودة إلى المغرب واسترجاع ملكه، لكنه بقي في بلاد الشام إلى أن مات في بيت المقدس سنة ٣٠٤هـ/ ٩١٦م[٢].

حاول إبراهيم بن أبي الأغلب قائد الجيش في الأربس بعد خسارته وعودته إلى القيروان إنقاذ الدولة من الفوضى والانهيار بعد هروب زيادة الله، حيث اجتمع بوجهاء القيروان وطلب منهم الوقوف معه للنهوض بما أفسده زيادة الله، والوقوف بقوة لمواجهة الخطر المتمثل بالداعي أبو عبد الله الشيعي، لكنهم لم يبدوا رغبة في ذلك، مما جعله يغادر القيروان ويلحق بزيادة الله[٣] إلى المشرق، فما كان من الداعي بعد هروب زيادة الله ورجاله وقائده، إلا أن دخل مدينة رقادة، وجمع كل ما فيها من مال وعتاد وسلاح، ووزعه على الجند، ثم أمر الخطباء وأئمة المساجد إعلان الخطبة باسم الخليفة الفاطمي المهدي، وإلغاء اسم الخليفة العباسي، وزاد في الأذان، كما أمر بصك العملة باسمه، ومن رقادة واصل زحفه إلى مدينة القيروان عاصمة دولة الأغالبة سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٩م، وولي عليها الحسن بن أحمد بن علي المعروف بابن أبي

---

(١) قفصة: بلدة صغيرة في طرف إفريقية من ناحية المغرب من عمل الزاب الكبير، بينها وبين القيروان ثلاثة أيام بجهة الجنوب وهي اليوم من مدن تونس. الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٣٨٢؛ الحميري: الروض المعطار، ص٤٧٧.

(٢) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ج٢٦، ص٩٨؛ ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله: بغية الطلب في تاريخ حلب، تح: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٨م، ج٩، ص٣٩٠٨، (سيشار إليه بـ ابن العديم: بغية الطلب).

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٤٥٨. القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص٢٣٨– ٢٤٠؛ ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٤٧– ١٤٨؛ القرشي، إدريس عماد الدين: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٩٨٥م، ص١٣٥، (سيشار إليه بـ القرشي: تاريخ الخلفاء).

خنزير، ثم عاد إلى رقادة ليقوم ببعض الأمور التنظيمية في مجال السياسة والدين والاقتصاد[١].

وبعد أن تم لأبي عبد الله الشيعي أمر إفريقية عين عليها أخاه أبا العباس واتجه إلى المغرب الأقصى، وتمكن من إخضاعه ليقضي على دولة بني رستم ومن بعدها دولة بني مدرار، ويعود الفضل في ذلك إلى الدعاة الذين أرسلهم باستمرار إلى الأقاليم المرشحة للغزو، للدعاية والتمهيد.

وهكذا أصبح أبو عبد الله صاحب السلطة المطلقة في المغرب الأوسط والأقصى، بعد أن تمكن من إزالة حكم دولة الأغالبة وبني مدرار وبني رستم. ورسم لنفسه سياسة تقوم على القوة واللين، وأصبح القائد المطلق في المغرب إلى أن جاء المهدي[٢].

٣. وصول عبد الله المهدي إلى شمال إفريقية وإعلان الخلافة الفاطمية:

قبل تتبع عن رحلة عبد الله المهدي، لابد من التعرف على نشأة هذا الرجل، ولد عبد الله المهدي في سلمية في بلاد الشام، وقيل ولد في بغداد سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م، ومات ودفن في المهدية سنة ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م، فيكون قد عمر ثلاثة وستين عاماً، أما مدة خلافته فكانت خمسة وعشرون عاماً، بدأت من سنة ٢٩٧/ ٩١٠م، واستمرت حتى وفاته[٣]، وهو أول خليفة تمكن من إقامة دولة في الشمال الإفريقي، عرفت **بالدولة الفاطمية** نسبة إلى فاطمة الزهراء ريحانة رسول الله ﷺ.

أما عن نسب خلفاء هذه الدولة، فلا يستطيع أحد القطع برأي حاسم في نسبهم، بسبب الاختلاف الكبير الذي أورده المؤرخون والنسابة وعلماء التاريخ، وهذا الاختلاف في قضية النسب أمر بالغ التعقيد والتناقض، وقد أصبحت قضية نسب الفاطميين لغزاً يتعذر على

---

(١) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٥١.

(٢) تامر: عبيد الله، ص٥٦– ٥٧.

(٣) ابن كثير: البداية، ج١٥، ص٨٥؛ الذهبي: سير، ج١٥، ص١٥١؛ ابن حماد، أبو عبد الله بن محمد بن علي: أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح: التهامي نقرة؛ وعبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، د. ت، ص٣٥، (سيشار إليه بـ ابن حماد: أخبار)؛ المقريزي: المقفى، ص٨١؛ تامر: عبيد الله، ص٤٢.

الباحث في التاريخ تفسيره تفسيراً معقولاً، ولا سيما قد وجدت عوامل كثيرة ذات صبغة دينية وسياسية واجتماعية كان لها الأثر العميق في هذه القضية، ولم يتمكن المؤرخون القدامى والمحدثون من إثبات صحة النسب أو بطلانه بشكل قطعي. وليس من شأن هذا البحث الدخول في تفاصيل هذه القضية الشائكة بل توجب ذكر النقاط الرئيسية التي تخدم البحث بشكل مختصر تحسباً من الوقوع في أشكال وخلافات يكون البحث بغنى عنها، حيث ذهب كل مصدر مذهباً خاصاً فرضته عليه ميوله المذهبية من جهة، والسياسية من جهة ثانية. فذهب فريق من المؤرخين والباحثين يؤيدون نسب عبد الله المهدي إلى علي بن أبي طالب وزوجته فاطمة الزهراء ﷺ [١]. وفريق آخر ينكر هذا النسب[٢].

ومهما يكن فإن موضوع البحث يعالج العلاقات السياسية والعسكرية الخارجية للدولة الفاطمية في المغرب العربي، أما عن موضوع النسب، فيعد مسألة شائكة وحساسة، كما أنها مسألة تشريف، سواء أكان الفاطميون من نسل إسماعيل بن جعفر الصادق، أو كانوا من نسل ميمون القداح، فإن ذلك لا ينقص من شأن أعمالهم السياسية والحضارية التي غدت مرحلة تاريخية مهم امتدت على مدى أكثر من قرنين ونصف من الزمن.

وقبل تتبع رحلة المهدي من سلمية إلى المغرب، لابد من معرفة الأسباب التي أجبرته على الرحيل، وترك مركز الدعوة الإسماعيلية، وهي على الشكل التالي:

١. وصول أخبار المهدي إلى العباسيين وافتضاح أمره من قبل والي سلمية التركي الذي استغل كرم المهدي له، فزاد في طلب الحوائج منه، مما جعل المهدي يرسل إلى الدعاة في بغداد

---

(١) أثبت هذا النسب مجموعة من المؤرخين، وعلى رأسهم القاضي النعمان، وابن الأثير في الكامل، ج٦، ص٤٤٦؛ والمقريزي في المقفى، ص٥٥؛ وابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٤٠؛ الذي يؤكد نسب الخلفاء الفاطميين من خلال قوله: " أن عبد الله المهدي بن محمد الحبيب بن جعفر الصادق بن محمد المكتوم بن جعفر الصادق. ولا عبره من أنكر هذا النسب من أهل القيروان وغيرهم ". القرماني، أحمد بن يوسف: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تح: أحمد حطيط؛ وفهمي سعد، عالم الكتب، ط١، بيروت، ١٩٩٢م، مج٢، ص٢٢٩، (سيشار إليه بـ القرماني: أخبار).

(٢) الذهبي، وابن كثير في البداية، وغيرهم الكثير من المؤرخين قدامى ومحدثين. ابن كثير: البداية، ج١٤، ص٧٧٢؛ الذهبي: سير، ج١٥، ص١٤١.

للعمل على عزل هذا الوالي حتى تم له ذلك، لكن الوالي التركي المعزول استطاع أن يُحرض الخليفة العباسي[١] في بغداد للقبض على عبد الله المهدي[٢].

٢. حدوث انقسام وانشقاقات في جسم الحركة الإسماعيلية، وقد أدى ذلك إلى قيام القرامطة بمهاجمة[٣] مركز الدعوة الفاطمية في سلمية.

٣. انتشار الدعوة الإسماعيلية بشكل واسع في كل من اليمن وبلاد المغرب، بالإضافة إلى ما حققه أبو عبد الله الشيعي من توسع مستفيداً من ضعف دولة الأغالبة في المغرب، وتأييد قبيلة كتامة له.

٤. إرسال الرسل الكتاميين إلى سلمية لإبلاغ عبد الله المهدي بما فتح الله عليهم، وأنهم ينتظرون حضوره إلى المغرب ليكون سيداً عليها[٤].

هذه الأسباب جعلت المهدي يترك سلمية سنة ٢٨٩هـ/ ٩٠٢م، ويخرج منها مصطحباً ابنه القائم الذي لم يتجاوز عشر سنوات، وداعي الدعاة فيروز[٥]، وأبا العباس محمد بن أحمد بن

---

(١) الخليفة هو المكتفي بالله أبو محمد علي بن المعتضد ٢٨٩- ٢٩٥هـ/ ٩٠٢- ٩٠٨م. العشماوي، محمد سعيد: الخلافة الإسلامية، دار سينا للنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م، ص١٥٨، (سيشار إليه بـ العشماوي: الخلافة).

(٢) اليماني، محمد بن محمد: سيرة الحاجب جعفر بن علي، تح: و. إيفانوف، نشر: مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، ١٩٣٦م، ص٤-٥، (سيشار إليه بـ اليماني: سيرة الحاجب).

(٣) القرامطة: من الباطنية ينتسبون إلى قرمط وقد اختُلف في اسمه وأصله، قيل: اسمه حمدان أو الفرج بن عثمان أو الفرج بن يحيى وقرمط لقبه أصله من خوزستان، وعرف في سواد الكوفة فكان يظهر الزهد والتقشف واستمال إليه بعض الناس. الزركلي: الأعلام، ج٥، ص١٩٤؛ زكار: أخبار القرامطة، ص٦- ١٠، ٢٥٥؛ بيطار: تاريخ العصر العباسي، ص٢٤٨.

(٤) الدشراوي: الخلافة الفاطمية، ص١٧٢؛ طقوش: تاريخ الفاطميين، ص٧٦.

(٥) فيروز: داعي الدعاة، وباب الأبواب إلى الأئمة، وصاحب أعظم منزلة عند المهدي، لكنه فارق المهدي عندما علم أنه متجه إلى المغرب بدلاً من اليمن، فتخلف في مصر ثم إتجه إلى اليمن. اليماني: سيرة الحاجب، ص٦؛ القرشي: عيون الأخبار، ج٥، ص٩٥.

زكريا أخا عبد الله الشيعي، وحاجبه جعفر بن علي صاحب السيرة، وبعض أتباعه وحاشيته[١]، وأوكل على أهل بيته أحد دعاته وهو أبو جعفر الجزري، ومملوكه أبا أحمد صعلوك[٢].

انطلق المهدي في رحلته والكل يعتقد أنه متجه إلى اليمن، لكن في الحقيقة لم تكن أوضاع اليمن مستقرة، وهنا غير وجهته نحو المغرب العربي بعد أن بشره الرسل القادمون من هناك، بما فتح الله عليهم وأنهم في انتظاره[٣].

خرج المهدي من سلمية ليلاً، ماراً بحمص وطرابلس الشام إلى أن وصل دمشق[٤]، فأقام بعض الوقت فيها، ثم سار إلى طبرية[٥] التي غادرها فوراً، لأسباب أمنية، بعد أن وصلتهم معلومات تؤكد أن الخليفة العباسي كلف والي دمشق بملاحقة المهدي والقبض عليه، لكن المهدي لم يتوقف في طبرية إلى أن وصل الرملة[٦]، ونزل عند عاملها الذي تشيع للمهدي،

---

(١) وهم: أبو يعقوب الكهرمان، وابن بركة الحاضن، ومحمد بن عزيزة ابن خالة جعفر الحاجب، وبعض الأتباع الكتاميين من رسل أبو عبد الله الشيعي، وقيل أنه لم يأخذ سوى ابنه أبي القاسم القائم، واثنين آخرين أحداهما جعفر الحاجب. النيسابوري، أحمد بن إبراهيم: استتار الإمام، نشر: إيفانوف، مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٣٦، مج٤، ج٢، ص٩٧، (سيشار إليه بـ النيسابوري: استتار).

(٢) أبا أحمد صعلوك: مملوك للمهدي، سماه جعفر وهو ابن خالة جعفر الحاجب، وكان له المقام الرفيع عند المهدي، وبعد قيام الدولة الفاطمية أرسله المهدي على رأس قوة تمكن من خلالها فتح مدينة بواري، وغنم غنائم عظيمة. اليماني: سيرة الحاجب، ص٦؛ القرشي: عيون الأخبار، ج٥، ص٩١.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٤٥٣؛ القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص١٥٩؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٤٤.

(٤) هنا لم يذكر النيسابوري أنه مر بدمشق خلال رحلته بل كانت رحلته من حمص إلى طرابلس إلى طبرية، ولكن جعفر الحاجب أصدق ربما لأنه كان مع المهدي في رحلته، حيث ذكر أنه مرُ بدمشق. النيسابوري: استتار، مج٤، ج٢، ص٩٧؛ اليماني: سيرة الحاجب، ص٧.

(٥) طبرية: مدينة تقع جنوب دمشق، بينهما ثلاثة أيام وكذلك بيت المقدس، وهي من أعمال الأردن، مطلة على بحيرة طبرية، وجبل الطور مطل عليها، وهي مستطيلة على البحر نحو فرسخ، بناها ملك الروم اسمه طباري. البغدادي: مراصد الاطلاع، ج٢، ص٨٧٨؛ القزويني: آثار، ص٢١٧– ٢١٨.

(٦) الرملة: مدينة عظيمة في فلسطين، بناها سليمان بن عبد الملك، مركز تجاري وزراعي مهم، وكانت رباطاً رباطاً للمسلمين. الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٦٩؛ موقع الإسلام: تعريف بالأعلام، ص١٧٨.

ورحب به، وجدد المهدي بيعته وأقام عنده لمدة سنتين من سنة ٢٨٩هـ/٩٠٣م، حتى أخفقت ثورة القرامطة الذين هاجموا سلمية بعد رحيل المهدي عنها[١].

تابع المهدي رحلته متجهاً صوب مصر، واستقبله داعي مصر الشيعي أبو علي، وطلب المهدي منه أن تكون إقامته عند رجل يثق به فاختار له ابن عياش الذي تمكن من تمويه أمر المهدي عن والي مصر عيسى النوشري الذي جاءته الكتب من الخليفة العباسي، تأمره بالقبض على عبد الله المهدي وعلى كل من يشبهه، وكان المهدي يستتر بزي التجار، وقد ساعده أنصاره ومن انضم معه خفية من عيون أتباع عيسى النوشري، إلى أن خرج من مصر متجهاً إلى طرابلس الغرب، بعد أن أصبحت الإقامة في مصر غير ممكنة[٢].

وفي الطريق اعترضه مجموعة من اللصوص في مكان يقال له الطاحونة[٣]، وسلبوا متاعه ومن بينها كتب وروايات وملاحم أبائه وأجداده، فكانت ضربة للمهدي هزت كيانه، لكن ابنه القائم تمكن من استرجاع هذه الكتب خلال حملته الأولى على مصر، من أولئك اللصوص بعد سنين[٤].

ولما وصل المهدي إلى طرابلس الغرب، تفرق من كان معه من أصحابه، ومنهم أبو العباس أخو أبي عبد الله الشيعي، حيث أرسله إلى القيروان ثم إلى كتامة ليستطلع له الأوضاع، لكن حدث عكس ما كان يخطط له المهدي، حيث وصل أبو العباس إلى القيروان ووصلت معه الكتب إلى زيادة الله الثالث – آخر حكام بني الأغلب – فأمره بالقبض على عبد الله المهدي الذي أفلت منهم في مصر، وبدأ زيادة الله يبحث عن مراده إلى أن تمكن من القبض على أبي

---

(١) الأنطاكي: يحيى بن سعيد: تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا، تح: عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس، ١٩٩٠م، ص٦٢، (سيشار إليه بـ الأنطاكي: تاريخ).

(٢) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص١٦١؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٤٥٣– ٤٥٤؛ المقريزي: المقفى، ص٨٣.

(٣) الطاحونة: تقع على بعد بضع مراحل عن الإسكندرية. الحميري: الروض المعطار، ص٣٨٠.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٤٥٤؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص٦١.

العباس، وبدأ بالتحقيق معه لكنه أنكر وقال: " إنما أنا رجل تاجر"[١]. فسجن وعذب على أن يعترف بمكان وجود المهدي لكنه لم يفعل، فوصل خبره إلى عبد الله المهدي الذي غير وجهته وسلك طريق الصحراء، خوفاً من زيادة الله الذي أرسل إلى والي طرابلس يأمره بالقبض على المهدي، أو أي تاجر قادم من مصر، لكن المهدي بحنكته وسخائه في دعم الولاة بالأموال تمكن من الإفلات بعد أن وصلته الأموال التي أرسلها له جعفر الحاجب لإحضاره من سلمية، فكان وصوله إلى طرابلس في الوقت المناسب، وبعدما حدث لأبي العباس في القيروان ما حدث، اضطر المهدي للتوجه إلى قسطيلية ثم إلى سجلماسة[٢]، ولم يتوقف المهدي طويلاً في المدن التي مر بها خوفاً من زيادة الله وعيونه الذين أخذوا يتتبعون أثره، فكانت رحلته من طرابلس إلى سجلماسة شاقة ومحفوفة بالمخاطر، وخاصة أن القتال مستمر بين الأغالبة والكتاميين من جهة، وفقدانه الاتصال المباشر بأنصاره كونه يسير في بلاد صحراوية قاحلة من جهة ثانية، لهذا أكثر من بذل الأموال لتسهيل وصوله بسرعة إلى سجلماسة، ولما وصلها أغرق الأموال على واليها اليسع بن مدرار كي يكسب وده ويأمن جانبه، واستمرت العلاقة ودية بين الرجلين مدة من الزمن، يسودها الصفاء والاحترام المتبادل، فتمكن المهدي خلال هذه المدة من الاتصال ببعض أهل القيروان ومعرفة ما يجري في إفريقية، ثم أرسل المهدي رسله إلى أبي عبد الله الشيعي ليخبروه بوجوده في سجلماسة، لكن كتب زيادة الله وصلت إلى اليسع بن مدرار يخبره بحقيقة ضيفه ويأمره بالقبض عليه، فما كان من اليسع إلا أن قبض عليه وأودعه السجن[٣].

في هذه الأثناء كان أبو عبد الله يخوض معارك مع زيادة الله وحقق النصر تلو الآخر، مما أجبر الثاني على الفرار إلى المشرق مع حاشيته وأهله وما استطاع حمله، وخلص أخاه أبا العباس من السجن، وسيطر على القيروان ثم رقادة سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م، ثم أستعد بعد ذلك ليخلص عبد الله المهدي من سجن اليسع في سجلماسة، واستخلف على إفريقية أخاه أبا

---

(١) اليماني: سيرة الحاجب، ص١٠- ١١؛ القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص١٦٣؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص٦١.

(٢) سرور: الدولة الفاطمية، ص٢٣.

(٣) المقريزي: المقفى، ص٥٨.

العباس وأبا زاكي تمام بن معارك، وعند وصول الداعي إلى سجلماسة استخدم أسلوب اللين واللطف مع اليسع، وأرسل إليه الرسل خوفاً على المهدي من القتل، لكن اليسع قام بقتل الرسل[١]، ثم حاول الداعي ملاطفة اليسع مرة ثانية، لكن دون جدوى من ذلك، إلى أن خرج اليسع وبدأت المعركة بين الطرفين واضطر اليسع إلى الهرب تحت جنح الظلام ولم يدخل الداعي المدينة ليلاً خوفاً من ردة فعل أهل المدينة، وعندما حل الصباح دخل المدينة وأخرج المهدي وابنه ومن معه من السجن، وقال للناس وهو يمشي بين يدي الإمام: " هذا مولاي ومولاكم أيها المؤمنون" ثمّ تمّ اللحاق باليسع والقبض عليه وضرب بالسياط حتى مات[٢].

أقام المهدي في سجلماسة أربعين يوماً، بعد أن بايعه الناس في مكان أطلق عليه السماء، ثم رحل إلى إفريقية لكنها لم تكن كرحلته الأولى من سلمية إلى سجلماسة التي عانى فيها الأمرين، بل كانت رحلة ممتعة تحفها العظمة والملك، متجهاً إلى بلاد وقفت معه وناصرته، إلى إيكجان وفج الأخيار، حيث دار الهجرة، والأموال التي جمعها الدعاة له، وأقام فيها مدة قصيرة ثم تابع إلى رقادة، فوصلها في ربيع الآخر سنة ٢٩٧هـ/٩١٠م، واستقر في قصر الصحن وتلقب بالمهدي أمير المؤمنين، وذكر اسمه على المنابر وأبطل ذكر اسم الخليفة العباسي في الخطبة، وزال ملك بني الأغلب في إفريقية، كما زال ملك بني مدرار في سجلماسة، وملك بني رستم في تاهرت، ونجح الشيعة الإسماعيليون في إقامة الدولة الفاطمية في شمال إفريقية[٣]، بفضل الداعي أبو عبد الله الشيعي المؤسس الحقيقي.

هذه الرحلة الطويلة والبعيدة، التي بدأت من المشرق وانتهت في المغرب، كانت شاقة ومحفوفة بالمخاطر والمحن، ومع ذلك تمكن عبد الله المهدي من تحقيق مراده والوصول إلى المغرب، على الرغم من المسافات التي قطعها خلال رحلته التي كانت في أرض الأعداء، فتمكن من النجاة والوصول إلى مراده ويعود ذلك **لعوامل عدة** منها:

١. بدأت رحلة عبد الله المهدي في بداية القرن الثالث الهجري / العاشر الميلادي، في الوقت الذي ساد البلاد حالة من الاضطراب والضعف في أوصال الدولة العباسية، وانهيار بعض

(١) ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٤٧؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص٦٥.

(٢) المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص٦٥؛ القرشي: عيون، ج٥، ص٩٩– ١٠٠.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٤٦١؛ حسن، وطه: عبيد الله، ص١٤٣.

الدول التابعة لها كالدولة الطولونية في مصر، ودولة الأغالبة في المغرب، وظهور حركات انفصالية دينية ذات أهداف سياسية كحركة القرامطة التي قامت بغزو الحجاز وبلاد الشام وخاصة سلمية مقر الدعوة الإسماعيلية.

٢. تميزت رحلة عبد الله المهدي بالتنظيم الدقيق من حيث السير المنظم للرحلة والسرية العالية والجاسوسية الدقيقة، حيث عرف بدقة تامة أخبار العباسيين وأخبار أتباعهم وتحركاتهم في معظم المناطق وخاصة المناطق الواقعة على خط سير رحلته، والفضل يعود إلى الدعاة الإسماعيليين المقيمين في هذه المناطق وما يقومون به من تنظيم وإيصال الأخبار إلى المناطق المطلوبة. كما استخدموا الحمام الزاجل كبريد جوي في هذا التنظيم مما مكن وصول الخبر بسرعة إلى المهدي وأتباعه قبل وصوله إلى عمال العباسيين في مختلف المناطق(١).

٣. انتشار التشيع بشكل واسع وخاصة في بلاد المغرب والمناطق التي مر بها المهدي خلال رحلته، وإيمان أهل تلك المناطق بظهور المهدي، بالإضافة إلى انجذاب الحكام والولاة للدعوة الإسماعيلية، فالكثير منهم ممن دخل في خدمة العباسيين وتظاهروا بأنهم يدينون بالعقائد السنية، فإذا بهم يدينون في الباطن بعقائد المذهب الإسماعيلي، ويشايعون الإمام المهدي المنتظر ويعملون على إنجاح دعوته، مما شكل قاعدة متينة ساعدت المهدي في رحلته وقيام دولته.

٤. ومن العوامل الأخرى لنجاح رحلة المهدي استخدام طرق التنكر والتخفي، فمرة يدعي أنه تاجر، وأخرى أنه من الأشراف الهاشميين، وإنكار أصحابه بكل ما يعرفونه عنه رغم التعذيب والسجن الذي تعرضوا له. بالإضافة إلى استخدام الأموال التي أنفقها خلال رحلته على الولاة وإسكاتهم، فلم يستطع العباسيون النيل منه طرفاً.

ومع دخول المهدي رقادة وإعلان الخلافة الفاطمية تنتهي المرحلة الأولى من نشاط الدعوة الإسماعيلية السرية، لتبدأ مرحلة البناء السياسي العلني.

---

(١) مفتاح، صالح مصطفى: ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، الشركة العامة للنشر، ط١، مصر، ١٩٧٨م، ص١٣٥- ١٣٦، (سيشار إليه بـ مفتاح: ليبيا).

وعلى هذا بدأ عبد الله المهدي عمله كحاكم مستقل، حيث وضع بيده كل مقاليد الحكم، وأصبح صاحب السلطة المطلقة، واعتمد سياسة الحزم والحسم، المبنية على حق شرعية الحكم المهدوي، ووضع تنظيمات سياسية وإدارية ودينية تكفل لدولته الجديدة النمو والاستقرار، فكان حريصاً على تثبيت أقدامه في الحكم وتسلم كافة الصلاحيات، وكان شخصية قيادية فقد سيطر سيطرة تامة على كافة مرافق الدولة، وجرد الولاة والقادة من النفوذ المتزايد وحد من صلاحياتهم، وجعلهم تحت السيطرة التامة، يرجعون إليه في كل كبيرة وصغيرة[١]، ومع ذلك فقد اعتمد على رجال كتامة والمقربين إليه في إدارة البلاد، وسهر على تنظيم المصالح الإدارية واختار لها من رجاله المخلصين، ومن جاء معه من بلاد الشام[٢]، كما استعان بأهل الخبرة والإدارة من رجال الدول السابقة[٣]، الذين مالوا للعهد الجديد، وبجماعة من أبناء العصبيات القوية[٤]، وبعض من كان يستعين به أبو عبد الله الشيعي سابقاً[٥]، ووضع المهدي لدولته نظاماً دقيقاً ساند به التنظيمات السياسية والإدارية التي اعتمدها، ومن خلال ذلك رفع شأن الحاكم بوصفه صاحب السلطة والإمام، وسلطته عامة تشمل جميع المسلمين وأحاط شخصه بكل مظاهر التقديس والإجلال، وتوجب على أتباعه الطاعة العمياء والإخلاص اللامحدود له[٦].

ثالثاً: الأوضاع السياسية والعسكرية في عهد الخليفة المهدي:

١. الصعوبات التي واجهت المهدي في بداية حكمه:

---

(١) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص٣٠٣- ٣٠٤.

(٢) ومن أهم الشخصيات التي وفدت مع المهدي من بلاد الشام: حاجبه جعفر بن علي المعروف بالحاجب، وأبو الحسن طيب بن إسماعيل المعروف بالحاضن، وأبو أحمد جعفر بن عبيد، وأبو سعيد عثمان بن سعيد المعروف بمسلم السجلماسي. ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٥٩.

(٣) أبو اليسر إبراهيم بن محمد الشيباني المعروف بالرياضي وأبو جعفر بن محمد بن أحمد بن هارون البغدادي، وأبو القاسم بن القديم. ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٥٩.

(٤) أبي جعفر الخزري، وعبدون بن حباسة، وأفلح بن هارون الملوسي. ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٥٩.

(٥) الحسن بن خنزير، ومحمد بن عمر المروزي. ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٥٩.

(٦) الحمد: قيام الدولة، ص٢١٤- ٢١٥؛ أحمد: تاريخ المغرب، ص١٣٣؛ العيد: حقوق الإنسان، ص١٤.

بعد أن انفرد عبد الله المهدي بأمور الحكم، وجمع الأموال التي احتفظوا بها أتباعه في إيكجان، بدأ يوزعها على أبناء كتامة، لينقلهم من البساطة والخشونة إلى حياة الترف ورفاه السلطة، وجرد كل من كان له الفضل في إنشاء الدولة من نفوذه وسلطته، وخاصة الداعي أبا عبد الله الشيعي، الذي بقي مع كل ذلك مخلصاً للمهدي، لولا تأليب أخيه أبي العباس وبعض زعماء كتامة على المهدي، بعد أن فقد أبو العباس السلطة التي مارسها في رقادة عند خروج أخيه أبي عبد الله إلى سجلماسة لتخليص المهدي من حاكمها اليسع بن مدرار، كما أنه كان يحتل مرتبة عالية في سلم الدعوة بسلمية، ومقرب من عبد الله المهدي، وربما يعرف من الحقائق ما جعله يثور ويتآمر على عبد الله المهدي[١]. ولعل عبد الله فعل ذلك لأنه أدرك خطورة الداعي أبي عبد الله على حكمه، لحب الناس له وافتتانهم به، مما أضعف مركزه فحد من صلاحيته، بعد أن احتل نفوذاً كبيراً في بلاد المغرب، وخاصة في قبيلة كتامة.

هذه السياسة التي اتبعها المهدي في بداية حكمه أوجدت معارضة تزعمها أبو العباس أخو الداعي أبي عبد الله، واجتمع المعارضون[٢] في مكان يقال له النور بالقرب من مدينة تنس[٣]، في شهر ذي الحجة ٢٩٧هـ/٩١٠م، وكان الاجتماع بعد عودة أبي عبد الله من جولته في بلاد المغرب عندما أرسله المهدي لمحاربة قبيلة زناته وإخضاع مناطقها للحكم الفاطمي الجديد، وكان الهدف من اجتماع المعارضين التخلص من المهدي بعد أن استبد بالحكم، وبدؤوا

---

(١) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص٣٠٧- ٣٠٨.

(٢) المعارضين هم: أبو العباس وأخيه أبو عبد الله الشيعي، مع العلم أن أبو عبد الله كان مخلصاً للإمام المهدي وتجلى هذا الإخلاص من خلال جهوده التي بذلها من أجل الدعوة الإسماعيلية والإمامة للمهدي، وتمهيد بلاد المغرب لقدوم الإمام إليها كما قام بإخراجه من سجن سلجماسة وبايعه إماماً وخليفة وقائداً لدولة الفاطمية، وأبي زاكي الأجاني، وهارون بن يونس المعروف بشيخ المشايخ، وعبد الله بن محمد المعروف بابن القديم، ومحمد بن أبي سعيد الميتي، ومحمد بن أبي رحال الباغائي، وغزوية بن يوسف وغيرهم من كبار كتامة. ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٦١- ١٦٤؛ عبد الحميد، سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، د. ت، ج٣، ص٦٥- ٦٦، (سيشار إليه بـ عبد الحميد: تاريخ المغرب).

(٣) تنس: مدينة تقع شمال إفريقية، مما يلي المغرب، بينها وبين وهران ثماني مراحل، وهي محصنة تقسم إلى تنس القديمة، وتنس الحديثة، التي أسسها وبناها البحريون من أهل الأندلس. الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤٨.

يشككون بصدقه كمهدي، وعندما وصلت أخبار هذه المؤامرة إلى المهدي عن طريق أحد أطرافها، وهو غزوية بن يوسف – هو بمثابة عميل مزدوج – تمكن المهدي من إخمادها وقتل المتآمرين وعلى رأسهم أبو عبد الله وأخوه أبو العباس.

ويروي المقريزي في الاتعاظ أن المهدي أرسل جماعة لقتل الأخوين، فلما وصلا إلى قصر أبي عبد الله حملوا عليه فقال لهم لا تفعلوا، فقالوا له: " إن الذي أمرتنا بطاعته أمرنا بقتلك"(١). كان مقتل أبي عبد الله وأخيه وأبي زاكي سنة ٢٩٨هـ/ ٩١١م، في رقادة، فصلى عليه المهدي، وقال: " رحمك الله أبا عبد الله وجزاك خيراً بجميل سعيك "(٢)، حيث كان يبادله المودة والاحترام، إلا أن غرور وحقد أبي العباس، وانفراد المهدي بالحكم أفسد العلاقة بين الرجلين إلى أن أصبح مصير الداعي كمصير أبي مسلم الخرساني(٣)، الذي يعود له الفضل في قيام الخلافة العباسية في بغداد(٤).

هذه السياسة الاستبدادية والتفرد بالحكم وقتل القادة وعلى رأسهم أبو عبد الله الشيعي أشعل الثورات ضد عبد الله المهدي في كل مكان، لتبدأ من القصر القديم في رقادة على يد عناصر أغلبية خشوا على أنفسهم، وتزعمهم شخص يدعى أبو الحسن بن أبي حجر، حيث بدؤوا بطرد كل الكتاميين الموالين للنظام الجديد في المدينة، وأعلنوا العصيان، لكن المهدي تمكن من تفريقهم وقتل بعضهم بعد مدة قصيرة(٥). ثم ثارت فتنة ثانية بين أهل القيروان والكتاميين أسفر عنها قتل خلق كثير من الكتاميين، ولم يتمكن عامل الفاطميين أحمد بن أبي

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ٤٦٣.

(٢) المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص٦٨؛ ابن كثير: البداية، ج١٤، ص٧٧٣؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٤٦٣؛ العبادي، أحمد مختار: في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت، د. ت، ص٢٣١، (سيشار إليه بـ العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي).

(٣) الخرساني: أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم، وقيل عثمان، القائم بالدعوة العباسية، وهازم جيوش الدولة الأموية، أصله من بلاد فارس. ابن خلكان: وفيات، ج٣، ص١٤٥.

(٤) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص٣١٤؛ ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٦٢؛ الخربوطلي: أبو عبد الله، ص٦١.

(٥) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص٣٢٠– ٣٢٢؛ القرشي: عيون الأخبار، ج٥، ص١٢٢.

خنزير من السيطرة على الثورة إلا بشق الأنفس، وانتقم عبد الله المهدي جراء هذه الثورة من فقهاء المالكية في القيروان شر انتقام بسبب مناهضتهم للمذهب الإسماعيلي[١].

أما كتامة التي اعترف عبد الله المهدي بفضلها في احتضان الدعوة الإسماعيلية، ووقوفها إلى جانب أبي عبد الله الشيعي في تأسيس الدولة، فعين منها الولاة والحكام والقضاة، وأغدق عليهم الأموال وشجعهم على ترك حياة البداوة والخشونة والتنعم بملذات الحياة، كما قرب بعضهم منه وأذل البعض الآخر، بل نفذ القتل بحق أبي زاكي زعيم قبيلة أجانه، وأبي عبد الله الشيعي محبوب كتامة وقائدها الروحي، فأثارت تدابيره موجه من القضب بين أبناء كتامة موجة من الغضب، فانطلقت ثورتهم من مدينة رقادة، فخرج المهدي ليتصدى لها بنفسه وامتدت الثورة إلى إقليم الزاب[٢]، وأعلن الكتاميون انفصالهم السياسي والمذهبي عن الدولة الفاطمية، وجلبوا طفلاً صغيراً وأطلقوا عليه اسم المهدي، ويعرف باسم كادو بن معارك المارطني أو الماوطنتي، وسيطروا على مدن عدة، منها ميلة وقسنطينة[٣]، وأصبحت ثورتهم تشكل خطراً كبيراً على دولة المهدي الجديدة، مما جعل المهدي يبادر فوراً إلى إخمادها قبل أن تشكل خطراً على دولته، ويصعب السيطرة عليها، فأرسل بعض قواده من رؤساء كتامة، فلم يتمكنوا من إخمادها، مما دفعه إلى إرسال ابنه القائم بأمر الله الذي تمكن من إحراز النصر عليهم سنة ٢٩٩هـ/ ٩١٢م، وأسر المهدي الطفل مع بعض أصحابه وقتلوا في إيكجان[٤].

ولم تقتصر الثورات ضد المهدي في رقادة والقيروان وكتامة بل شملت مناطق خارج حدود الدولة الجديدة، حيث ثارت القبائل البربرية وخاصة قبيلة زناته، بدافع العصبية والتنافس بينها وبين قبيلة كتامة، وزاد العداء عندما سقطت رقادة ووصل المهدي إليها، وبدأ يعتمد على أبناء كتامة في الإدارة، وخاصة عندما عين على مدينة تاهرت، عاصمة الرستميين سابقاً،

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٤٦٣؛ ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٦٦؛ القرشي: عيون الأخبار، ج٥، ص١٢٣.

(٢) الزاب: وهو الجزء الغربي من ولاية إفريقية، أي في منطقة المغرب الأوسط في الجزائر من إعمالها مدينة قسنطينة اليوم، يوجد موقع بنفس الاسم في العراق. موقع الإسلام: تعريف بالأعلام، ج١، ص٨٦.

(٣) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص٣٢٥؛ ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٦٦– ١٦٧.

(٤) القرشي: عيون الأخبار، ج٥، ص١٢٤؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص٦٨.

والمركز التجاري المهم لقبيلة زناتة ولاة كتاميين من بينهم أبو حميد دواس اللهيصي، ومصالة ابن حبوس المكناسي، وأصبحت مدينة تاهرت مركز المقاومة الزناتية التي لم تعترف بالوجود الفاطمي، فهاجموا تاهرت أكثر من مرة محاولين تخليصها من الحكم الفاطمي لكنهم اخفقوا بسبب القوة التي أرسلها عبد الله على زناته في شهر صفر سنة ٢٩٩هـ/ ٩١٠م، وكبدهم خسائر فادحة وارتكبوا جرائم بحق الرجال والنساء ونهبوا الأموال، حتى وصل عدد القتلى أكثر من ثمانية آلاف على رأسهم دواس بن حولات(١).

وقبل أن يقضي المهدي على ثورات زناته، اشتعلت ثورة أخرى في الجهة الجنوبية الشرقية من أفريقيا في منطقة طرابلس في أوائل سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م، قام بها الهواريون بمساعدة عناصر من قبيلة زناته ولمايه بزعامة هارون الهواري، قامت ضد الجنود الكتاميين الموجودين في طرابلس وعلى رأسهم والي طرابلس الفاطمي ماكنون بن ضبارة الأجاني الذي قتل ابن أخيه أبا زاكي بأمر من عبد الله المهدي، ونجحت الثورة في البداية، وطرد والي المدينة، وأغلقوا أبوابها(٢)، وقتلوا عدداً من الكتاميين، وعينوا أحمد بن نصر من باغاية(٣) والياً على طرابلس، يساعده رجل قرشي يدعى محمد بن إسحاق، لكن المهدي لم يترك طرابلس خارج سيطرته إذ أرسل جيشين الأول بري سار على رأسه ابنه القائم بأمر الله، بينما انطلق الجيش الثاني على متن أسطول بحري أنطلق بحراً، لكن أهل طرابلس تمكنوا من إحراق بعض سفنه، إلا أن هذا لم يثنِ القائم، بل استمر بمحاصرة المدينة، وتوجيه ضرباته إلى قبيلة هوارة التي كانت تمد طرابلس عن طريق البحر بالمساعدات والمؤن، واستمر الحصار ستة أشهر حتى تمكن من دخول المدينة والقبض على القادة(٤)، ومصادرة الأموال، وفرض الضرائب وتغريم أهل طرابلس

---

(١) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٦٦؛ الدشراوي: الخلافة الفاطمية، ص١٩٤- ١٩٥.

(٢) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٦٣؛ القرشي: عيون الأخبار، ج٥، ص١٢٤- ١٢٥؛ الصلابي، علي محمد: الدولة الفاطمية، مؤسسة إقرأ، ط١، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٥٩، (سيشار إليه بـ الصلابي: الدولة الفاطمية).

(٣) باغاية: مدينة شمال إفريقية أولية جليلة بقرب مسكيانة ذات أنهار وثمار ومزارع ومسارح، وهي على مقربة من جبل أوراس المتصل بالسوس. البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص٧١٠؛ الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٣٢٥؛ الحميري: الروض المعطار، ص٧٦.

(٤) القادة هم: محمد بن إسحاق القرشي، وأحمد بن نصر، ورجل يقال له الحوحجة. مفتاح: ليبيا، ص١٤٠.

بتكاليف الحرب، ثم عاد إلى رقادة واستخلف على طرابلس أبا مديني بن كناوة اللهيصي وعين نائباً له حباسة بن يوسف الملوسي[١]، وفي العام الثاني سنة ٣٠١هـ/ ٩١٤م، أرسل المهدي جيشاً بقيادة حباسة بن يوسف، وموسى بن عبد الرحمن الوادي إلى طرابلس، فتمكنا من السيطرة على برقة[٢]، التي قامت فيها ثورة ضد العباسيين وكان وراء إشعالها الفاطميين، كما سيطرا على عدة مناطق منها سرت[٣]، وأجدابيه[٤] ليصبح الطريق مفتوحاً إلى مصر[٥].

٢ـ التوسع الفاطمي في مصر:

اهتم الفاطميون بامتلاك مصر منذ قيام دولتهم في المغرب العربي، لأهميتها الجغرافية في قلب العالم العربي من جهة، كما أنها البوابة الرئيسة التي يمكن من خلالها الاستيلاء على المشرق العربي الإسلامي من جهة ثانية[٦].

لذا وجهوا إليها عدة حملات عسكرية بدأت في عهد الخليفة الفاطمي الأول عبد الله المهدي، وانتهت في عهد الخليفة الرابع المعز لدين الله الفاطمي، الذي تمكن من خلال قائده

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٤٨٣– ٤٨٦؛ القرشي: عيون الأخبار، ج٥، ص١٢٥؛ ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٦٩؛ القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص٣٢٥؛ الأنطاكي، تاريخ، ص٦٨.

(٢) برقة: أرض واسعة، تشمل عدة مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية، تقع اليوم في ليبيا على ساحل البحر المتوسط. الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٣٨٨؛ موقع الإسلام: تعريف بالأعلام، ج١، ص٣١٠.

(٣) سرت: مدينة ليبية كبيرة تقع على شاطئ البحر المتوسط، فيها جوامع وأسواق، ولها ثلاث أبواب، أهلها من أحسن خلق الله خلقاً، وأسواهم معاملة في التجارة. البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص٦٥١؛ اليعقوبي: البلدان، ص١٨٢؛ الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٠٦؛ العفيفي: موسوعة، ص٢٧٩.

(٤) أجدابية: مدينة في الصحراء، أرضها صفا، وآبارها منقورة في الصفا، طيبة الماء كثيرة البساتين، بنى فيها القائم الفاطمي مسجداً. الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٠٠؛ العفيفي: موسوعة، ص٣١.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٤٨٣؛ القرشي: تاريخ الخلفاء، ص١٩٢.

(٦)– المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي: إغاثة الأمة بكشف الغمة، تح: محمد مصطفى زيادة؛ وجمال الدين الدين الشيال، القاهرة، ١٩٥٧م، ص١٣– ١٥، (سيشار إليه بـ المقريزي: إغاثة الأمة)؛ ابن زولاق، الحسن بن إبراهيم: أخبار سيبوية المصري، نشر: محمد سعد وحسين الديب، القاهرة، ط١، ١٩٣٣م، ص٤٠، (سيشار إليه بـ ابن زولاق: أخبار سيبوية).

جوهر الصقلبي[١] السيطرة على مصر، ونقل مركز الدولة إليها[٢].

ـ الحملة الأولى ٣٠١ ـ ٣٠٢هـ /٩١٤. ٩١٥م:

استولى الفاطميون على مناطق استراتيجية في ليبيا، فاتخذ منها قاعدة لمواجهة الجيوش العباسية التي هاجمت الفاطميين ولم يكتف بذلك بل اتخذها مركزاً لمد نفوذه إلى مصر[٣]. وقد تم إعداد هذه الحملة سنة ٣٠١- ٣٠٢هـ /٩١٤- ٩١٥م، تحت أمرة ابنه وولي عهده القائم بأمر الله، وقائده حباسة بن يوسف الملوسي الكتامي، فتمكنت الحملة من السيطرة على برقة، البوابة التي يمكن من خلالها الدخول إلى مصر، حيث استولوا على مدينة الإسكندرية[٤] سنة ٣٠٢هـ/ ٩١٥م، وسيطروا عليها بالكامل، وتوغلوا في الوجه البحري ليتجه القائم إلى الفسطاط[٥]،

---

(١) جوهر الصقلي: القائد أبو الحسن، جوهر بن عبد الله المعزي السلافي، المعروف بالكاتب والرومي، ولد في جزيرة صقلية، من قادة المعز لدين الله الفاطمي، أخضع المغرب لطاعة الدولة الفاطمية، وفتح مصر سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م، وبنى مدينة القاهرة والجامع الأزهر، وأرسل الجيوش لفتح بلاد الشام، وأصبح حاكماً لمصر، إلى أن قدم مولاه المعز إليها سنة٣٦٢هـ/ ٩٧٣م، وتوفي سنة ٣٨١هـ/ ٩٩٢م. الذهبي: سير: ج١٣، ص٤٢٥؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٨، ص٥١٧؛ ابن خلكان: وفيات، ج١، ص٣٧٥؛ ابن تغرى بردى: النجوم، ج٤، ص٢٩؛ الزركلي: الأعلام، ج٢، ص١٤٨؛ حسن: تاريخ جوهر، ص٩- ١١.

(٢) سيمينوفا، ل. أ: تاريخ مصر الفاطمية، ترجمة: حسن بيومي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠١ م، ص٣٧، (سيشار إليه بـ سيمينوفا: تاريخ مصر).

(٣) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٧١؛ السعدي، عمر: محاولات الفاطميين الاستيلاء على مصر، مجلة دراسات تاريخية، العدد ٧، ص ٧٨- ٧٩، دمشق، ٢٠١٤م، (سيشار إليه بـ السعدي: محاولات الفاطميين).

(٤) الإسكندرية: مدينة مصرية، ثاني مدن مصر، تقع على البحر المتوسط بناها الإسكندر المقدوني عام ٣٢٣ق.م، وتنسب إليه، وكانت عاصمة ملوك البطالمة حتى الفتح الروماني، وهناك مدن كثيرة تحمل الاسم نفسه. المقريزي، أحمد بن علي: المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية)، تح: محمد زينهم؛ مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة، ١٩٩٧م، ج١، ص٤٠٦، (سيشار إليه بـ المقريزي: الخطط)؛ موقع الإسلام: تعريف بالأعلام، ج١، ص١٠٤؛ العفيفي: موسوعة، ص٤٧.

(٥) الفسطاط: مدينة بناها عمرو بن العاص، وجعلها معسكراً للعرب الذين فتحوا مصر، وقد اتسعت حتى أصبحت حاضرة مصر الإسلامية حتى أواسط القرن الثالث للهجرة. القزويني: آثار، ص٢٣٦؛ موقع الإسلام: تعريف بالأعلام، ج١، ص ٢٢٨.

ولكنه اضطر للانسحاب متجها إلى الإسكندرية[١]، بسبب تصدي القوات العباسية لها في مشتول[٢] بالقرب من الجيزة[٣]، وأرسل الخليفة العباسي المقتدر بالله أبو الفضل جعفر بن المعتضد ٢٩٥-٣٢٠هـ/ ٩٠٨-٩٣٢م جيشاً بقيادة مؤنس الخادم الذي انتصر على الجيش الفاطمي وأجبره على الانسحاب والعودة إلى المغرب سنة ٣٠٢هـ/ ٩١٥م. وهكذا انتهت الحملة الأولى بالإخفاق على الرغم من قوتها الظروف الجيدة المساعدة لها[٤].

. الحملة الثانية: ٣٠٦هـ/ ٩١٩م:

بعد إخفاق الحملة الأولى وانسحاب القائم بالله إلى رقادة، ثار أهل برقة على الحكم الفاطمي، مما جعل المهدي يرسل أبا مديني اللهيصي لقمع الثورة واسترجاع المدينة، وقد تمكن من ذلك بعد حصار دام ثمانية عشر شهراً[٥].

وبعد استرداد برقة القريبة من الحدود المصرية أرسل المهدي حملته الثانية بقيادة ابنه القائم وأمده هذه المرة بقوة بحرية سنة ٣٠٦هـ/٩١٩م[٦]، فتمكن القائم بأمر الله من دخول

---

(١) القرشي: عيون الأخبار، ج٥، ص١٢٨؛ ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٧١؛ الأنطاكي: تاريخ، ص٦٩. ابن الأبار، محمد بن عبدالله القضاعي: الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، ط٢، القاهرة، ١٩٨٥م، ج١، ص١٩٢، (سيشار إليه بـ ابن الأبار: الحلة)؛ ماجد، عبد المنعم: ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر، دار الفكر العربي، ط٤، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٨٩، (سيشار إليه بـ ماجد: ظهور الخلافة).

(٢) مشتول: إحدى مدن مصر تشتهر ببيوتها الجميلة وفيها الكثير من طواحين القمح. الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص١٣٢.

(٣) الجيزة: بلدة تقع غربي نهر النيل على الضفة الغربية، فيها آثار مهمة، كالأهرامات وأبو الهول، كما لهذا المكان قدسية مرتبطة بالكثير من الأنبياء. المقريزي: الخطط، ج١، ص٣٨٠؛ موقع الإسلام: تعريف بالأعلام، ج١، ص١٥٤.

(٤) المقريزي: الخطط، ج٢، ص٣٢؛ ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٧٢؛ مسكويه، أحمد بن محمد: تجارب الأمم، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د. ت، ج١، ص٣٦، (سيشار إليه بـ مسكويه: تجارب الأمم)؛ القرطبي: صلة، ص٥٢؛ ابن حماد: أخبار، ص٤٤؛ أحمد: تاريخ المغرب، ص١٣٦.

(٥) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٧٥؛ سيمينوفا: تاريخ مصر، ص٣٨.

(٦) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٨١؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص٥٠.

الإسكندرية، ثم أرسل فرقة من قواته بقيادة سليمان بن كافي، استولت على الفيوم[١] والأشمونيين[٢]، ليقطع طريق الإمداد الواصل إلى الفسطاط[٣]. فكان الرد العباسي سريعاً وقوياً، إذ أرسل الخليفة العباسي قوة بحرية تمكنت من تحطيم الأسطول الفاطمي، فأثرت هذه الهزيمة على نفسية الجيش الفاطمي البري الذي هزم أيضاً على يد جيش بري عباسي بقيادة مؤنس الخادم، فاضطر للانسحاب والعودة إلى إفريقية، لتكون المرة الثانية التي يخفق فيها القائم في السيطرة على مصر بفضل القائد العباسي مؤنس الخادم[٤].

ـ الحملة الثالثة ٣٢١هـ/٩٣٣م:

وقع خلاف بين المصادر حول تاريخ هذه الحملة، هل هي في عهد المهدي أم في عهد ابنه القائم، حيث انفرد الكندي[٥] وهو الأقدم، بأن هذه الحملة أرسلت في أواخر حياة المهدي سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م، وكانت بقيادة حبشي بن أحمد المغربي. في حين تجمع مصادر أخرى[٦] على أن هذه الحملة كانت في عهد القائم سنة ٣٢٣هـ/ ٩٣٥م، وكانت بقيادة خادمه زيدان.

---

(١) الفيوم: إقليم في مصر يقع غربي وادي النيل. موقع الإسلام: تعريف بالأعلام، ج١، ص٢٢٦.

(٢) الأشمونيين: من أعظم مدن الصعيد، يقال بناها أشمون بن مصر بن بيصر بن حام. المقريزي: الخطط، ج١، ص٤٤١.

(٣) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص٣٢٦؛ ابن الوردي: تتمة المختصر، ج١، ص٣٨٢؛ ابن أبي دينار: المؤنس، ص٥٤؛ الدشراوي، الخلافة الفاطمية، ص٢١٨؛ سرور، محمد جمال الدين: تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٦٠، (سيشار إلية بـ سرور: تاريخ الدولة الفاطمية).

(٤) القرشي: عيون الأخبار، ج٥، ص١٣٥– ١٣٦؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٤٩– ٥٠؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص٧١–٧٢؛ العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص٢٤٧.

(٥) الكندي، محمد بن يوسف المصري: الولاة والقضاة، تح: محمد حسن، وأحمد فريد، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ٢٠٠٢م، ص٢٠٣– ٢٠٧، (سيشار إلية بـ الكندي: الولاة والقضاة).

(٦) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص٣٢٦؛ ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٨١–١٨٢؛ ابن خلكان: وفيات، ج٥، ص١٩؛ ابن كثير: البداية، ج١٥، ص٩٥–٩٦؛ ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٩٨؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص٧٤؛ المقريزي: المقفى، ص٩٠؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٣٩؛ القرشي: تاريخ الخلفاء، ص٢٠٣–٢٠٧.

والأرجح أن المهدي قد نظم الحملة لكن وفاته أخرت مسيرها إلى ما بعد اعتلاء القائم الحكم.

ولم تحقق هذه الحملة ما كان يطمح إليه الفاطميون على الرغم من حدوث انشقاقات بين صفوف العباسيين وانضمامهم إلى الفاطميين[١]، وتمكن الفاطميون من إخضاع جزء لا بأس به من ولاية مصر العباسية، لكنهم لم ينعموا بالهدوء والراحة بسبب ظهور الإخشيديين بزعامة محمد بن طغج (الإخشيد)[٢]، الذي طردهم، من مصر وقتل عدداً كبيراً من جنودهم المغاربة، وأعاد البلاد إلى الحكم العباسي، وربما كان هذا النصر السبب في منح ولاية مصر لمحمد بن طغج، الذي أسس أسرة حاكمة فيها، وأخفقت المحاولات الثلاثة في إخضاع مصر للحكم الفاطمي، حيث بقيت مصر تابعة للخلافة العباسية حتى استلام الخليفة الفاطمي الرابع المعز لدين الله الحكم.

٣. فتح مصر على يد المعز لدين الله الفاطمي:

بعد أن أتم المعز لدين الله سيطرته على كامل المغرب العربي الإسلامي، ووصل إلى المحيط الأطلسي، باستثناء طنجة وسبتة، بدأ بالاستعداد لفتح مصر وبلاد المشرق العربي الإسلامي، مستفيداً من ضعف الخلافة العباسية، وما فيها من خلافات واضطرابات سياسية

---

(١) الكندي: الولاة والقضاة، ص٢٠٧.

(٢) الإخشيد: محمد بن طغج، أبو بكر الفرغاني التُركي، صاحب مصر، ولي ديار مصر سنة ٣٢١هـ/ ٩٣٣م، ولقب بالإخشيد، ثم ولي دمشق من قبل الراضي بالله سنة ٣٢٣هـ/ ٩٣٥م، إضافة إلى مصر، وهو مؤسس الدولة الإخشيدية، وأستاذ كافور الإخشيدي، والإخشيد بلسان الفرغانيين ملك الملوك، وأصله من أولاد ملوك فرغانة، ولد في بغداد وتوفي في دمشق في ذي الحجّة سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م، ونُقل فدفن في بيت المقدس، وكان يساعده أخوه الحسن. الكندي: الولاة والقضاة، ص٢٠٣- ٢١١؛ المقريزي: المقفى، ص١٣٠، ١٣٩؛ ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله: تاريخ دمشق، تح: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥م، ج٥٣، ص٢٨٥، (سيشار إليه بـ ابن عساكر: تاريخ دمشق)؛ الذهبي: سير، ج١٥، ص٣٦٥؛ الزركلي: الأعلام، ج٦، ص١٧٤.

وسوء أحوالها الاقتصادية من جهة، وانتشار الدعوة الفاطمية في مصر من جهة ثانية. إضافة إلى وفاة حاكم مصر كافور الإخشيدي[١]، وتأزم العلاقة بينه و بين القرامطة.

أعد المعز لدين الله حملة عسكرية كبيرة بقيادة جوهر الصقلبي سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٨م[٢]، بلغ تعدادها مئة ألف مقاتل، وأمن لها الأموال اللازمة، وخرج بنفسه لتوديعها، وفوض جوهر بكل السلطات العسكرية والمالية، وأضفى عليه هالة من الاحترام والتقدير[٣]، وقد حضر حفلة الوداع الشاعر المعروف محمد بن هانىء الأندلسي الذي قال:

رأيت بعيني فوق ما كنت أسمع وقد راعني يوم من الحشد أروع

غداة كـأن الأفـق ســد بمثله فعاد غروب الشمس من حيث تطلع

فلا عسكر من قبل عسكر جوهر تخب المطايا فيه عشرا و تخضع[٤]

انطلقت الحملة من إفريقية تسير ببطء باتجاه الإسكندرية في ربيع الآخر، ولم تصل إلى حدود مصر إلا بعد ثلاثة أشهر[٥]، ولما دخلت الإسكندرية، لم تلق مقاومة تذكر، و يعود ذلك

---

(١) كافور: هو كافور بن عبد الله الإخشيدي، أبو المسك، كان عبداً حبشياً اشتراه الإخشيدي ملك مصر، سنة ٣١٢هـ/ ٩٢٤م، فنسب إليه وأعتقه فترقى عنده، وما زالت همته تصعد به حتى ملك مصر سنة ٣٥٥هـ/ ٩٦٥م، وكان فطناً ذكياً حسن السياسة، دبر أمور المملكة في ولاية أبي القاسم ثم أبي الحسين بن الإخشيد، ثم تولاها مستقلاً، توفي في القاهرة وقيل حُمل تابوته إلى القدس فدفن فيها. الكندي: الولاة والقضاة، ص٢١٤؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٥٠، ص٤– ٨؛ الذهبي: سير، ج١٢، ص٢٤٩–٢٥٠؛ الزركلي: الأعلام، ج٦، ص١٧٤؛ ابن خلكان: وفيات، ج٤، ص٩٩– ١٠٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٣٠٩؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص١٠٢.

(٣) القرشي: تاريخ الخلفاء، ص٦٦٦ – ٦٦٧؛ القلقشندي، أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب الخديوية، القاهرة، ١٩١٥م، ج٣، ص٤٣٠، (سيشار إليه بـ القلقشندي: صبح).

(٤) ابن هانئ، محمد بن هانئ الأندلسي: ديوان ابن هانئ، المطبعة اللبنانية، بيروت، ١٨٨٦م، ص ٩٨ – ١٠٤، (سيشار إليه ابن هانئ : ديوان)؛ القصيدة: على البحر الطويل.

(٥) القرشي: عيون الأخبار، ج٦، ص١٣٩ .

إلى سوء أوضاع مصر، ونشاط الدعاة الفاطميين فيها[١]. وقد أدرك المسؤولون في مصر وعلى رأسهم الوزير جعفر بن الفرات[٢]، أنه لا طاقة لهم بمقاومة الجيش الفاطمي الجرار، وفضلوا التفاوض وطلب الأمان لأرواح المصريين وأملاكهم[٣]، فشكلوا وفداً لمفاوضة جوهر، حيث جرت بين الطرفين مباحثات اتفقا في نهايتها على إعطائهم الأمان مقابل دخول الجيش الفاطمي إلى حاضرة البلاد بأمان وتسهيل الطريق له، وأن يضمنوا له العبور من الجيزة إلى الفسطاط[٤]. ولم يرض بعض عناصر الجيش الإخشيدي في الفسطاط، على هذا الاتفاق، ولا على دخول جوهر إلى مصر دون قتال، فتصدوا للجيش الفاطمي، لكنهم هزموا وانسحبوا إلى بلاد الشام، ليعبر بعدها جوهر مع قواته من الجيزة إلى الفسطاط سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م، وعسكر شمال الفسطاط، بجوار جبل المقطم[٥]، وبعد دخول الجيش الفاطمي إلى مصر منتصراً، قرر جوهر الصقلي بناء حاضرة للدولة الفاطمية فوضع حجر الأساس لمدينة القاهرة التي سماها

---

(١) ابن حماد: أخبار، ص٨٣- ٨٤؛ حسن، وطه: عبيد الله، ص٨٥؛ سرور: تاريخ الدولة الفاطمية، ص٦٤.

(٢) جعفر بن الفرات: (٣٠٨- ٣٩٢هـ/ ٩٢١- ١٠٠٢م)، كان أبوه وزير المقتدر بالله الخليفة العباسي، ثم وفد إلى مصر، وأصبح وزيراً لآونوجور بن أبي بكر الإخشيد، ثم لأخيه أبي الحسن علي، ثم لكافور، وبقي وزيراً إلى إن انتهت الدولة الإخشيدية ودخل الفاطميون مصر، المقريزي: المقفى، ص٣٧٩- ٣٨٢؛ الذهبي: سير، ج١٦، ص٤٨٤- ٤٨٧.

(٣) ابن خلكان: وفيات، ج١، ص٣٧٧؛ القرشي: تاريخ الخلفاء، ص٢٧٣- ٢٧٤؛ مؤنس: معالم، ص١٥١. الدشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٣٨١- ٣٨٢.

(٤) المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص١٠٧- ١١٠؛ حسن، علي إبراهيم: تاريخ جوهر الصقلي، النهضة المصرية، ط٢، القاهرة، ١٩٦٣م، ص٣٠، (سيشار إليه بـ حسن: تاريخ جوهر)؛ سيمينوفا: تاريخ مصر، ص٣٩- ٤٠؛ أحمد، أحمد عبد الرزاق: تاريخ وآثار مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٩م، ص١٧٧- ١٧٩، (سيشار إليه بـ أحمد: تاريخ وآثار مصر).

(٥) جبل المقطم: في مصر، يمتد على جانبي النيل إلى النوبة، يشرف على مقبرة الفسطاط، وهو جبل مقدس مقدس عند المصريين، يوارون موتاهم فيه، وقيل هو الطور، أي الجبل الذي كلم الله فيه نبيه موسى عليه السلام، وقيل سمي بهذا الاسم نسبة إلى مقطم ابن بيصر بن نوح. القلقشندي: صبح، ج٣، ص٣٠٩- ٣١١؛ البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص٦١٣- ٦١٥؛ المقريزي: الخطط، ج١، ص٣٥٠- ٣٥٢.

في بداية الأمر المنصورية، إلى أن جاء المعز لدين الله وسماها القاهرة[١]، كما وضع أساس القصر الذي سمي بالقصر الشرقي الكبير، وسور المدينة بسور كبير من اللبن، وجعل لها أربعة أبواب: باب الفتوح، وباب النصر، وبابا زويلة[٢]، وأبطل الخطبة للخليفة العباسي، وجعلها للخليفة الفاطمي.

وهكذا انتقلت تبعية مصر من الخلافة العباسية إلى الخلافة الفاطمية، حيث أنهى جوهر كل ما يخص الدولة العباسية في مصر، وبدأ يبني الأرضية القوية لمولاه المعز لدين الله من خلال التغيرات المذهبية والإدارية والسياسية التي نمت ومهدت لقدوم المعز لدين الله إلى مصر.

وبعد أن استقر جوهر بمصر جهز حملة بقيادة جعفر بن فلاح الكتامي[٣] سنة ٣٥٩هـ/ ٩٧٠م، وأرسلها إلى بلاد الشام، تمكنت من دخول الرملة، ثم طبرية، حتى أصبح الطريق إلى دمشق مفتوحاً، حيث دخلها في العام نفسه بعد أن لقي مقاومة من بعض أهلها، وأمر بإقامة الخطبة في الجامع الأموي باسم الخليفة الفاطمي المعز لدين الله[٤].

٤ـ التوسع الفاطمي في المغرب العربي الأوسط والأقصى:

من المعروف أن الدولة الفاطمية تدين بظهورها لأبي عبد الله الشيعي، الذي وضع لها حجر الأساس في بلاد المغرب العربي. حين تمكن من إزالة دولة الأغالبة، وإخضاع جميع مناطق المغرب العربي لنفوذه، حيث أصبحت هذه البلاد تظهر الخضوع والطاعة له. ومع ذلك

---

(١) الكندي: الولاة والقضاة، ص٢١٥. ابن حماد: أخبار، ص٨٤. ابن خلكان: وفيات، ج١، ص٣٧٧-٣٧٩. ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٦١؛ الأنطاكي: تاريخ، ص٤٥٦؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج٤، ص٢٤-٢٨؛ حسن: تاريخ جوهر، ص٣٠- ٣٢.

(٢) باب زويلة: سمي بهذا الاسم نسبة إلى قبيلة زويلة البربرية التي جاءت إلى مصر مع جوهر من إفريقية، وكان لها دور في قيام الدولة الفاطمية. القلقشندي: صبح، ج١، ص٤٢٥.

(٣) جعفر بن فلاح: هو الأمير الذي ولي دمشق للمعز، وهو أول أمير عليها بعد دخول جوهر إليها، وفي سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧١م، قتل على يد الحسن بن أحمد القرمطي. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٧٢، ص١٤٣؛

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٨، ٢٥؛ ح، الصحفي القديم: الخليفة المعز لدين الله، د. ت، ص٧-١٠، (سيشار إليه بـ ح: الخليفة المعز).

تخلص منه الخليفة الفاطمي عبد الله المهدي عند اعتلاء العرش خوفاً من افتتان الناس به، وبمقتله تنتهي المرحلة الأولى من التوسع الفاطمي، لتبدأ المرحلة الثانية على يد المهدي وخلفائه من بعده الذي أخذ يعمل على ضم المغرب الأوسط والأقصى إلى دولته، بعد أن فشلت محاولاته في إخضاع مصر لنفوذه. فقد كلف المهدي عامله على تاهرت مصالة بن حبوس المكناسي، بإخضاع قبائل البربر وخاصة قبيلة صنهاجة، فتمكن من إخضاع نكور[١] وما حولها لسلطة الخليفة الفاطمي وذلك بعد صراع شديد مع هذه القبائل سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م، وقتل حاكمها سعيد بن صالح، وسيطر عليها سيطرة تامة، ثم عاد إلى تاهرت، وأخبر عبد الله المهدي بما حقق من نصر[٢].

أما بنو صالح، فقد التجؤوا إلى أمير الأندلس عبد الرحمن الناصر الأموي، الذي أكرمهم وأحسن نزلهم وساعدهم في استعادة عاصمتهم من الفاطميين، فتمكن صالح بن سعيد بن صالح، الذي احتمى بأمير الأندلس، من الرجوع إلى نكور وقتل عاملها الفاطمي الذي عينه عليها مصالة بن حبوس، وكان يقال له ذلول[٣].

لكن الرد الفاطمي كان سريعاً، حيث انطلق عامل تاهرت مصالة بن حبوس من جديد في سنة ٣٠٨هـ/٩٢٠م، وسيطر مرة ثانية على نكور، ثم توجه إلى الغرب ليلتقي بيحيى بن إدريس ابن عمر الإدريسي صاحب فاس بالقرب من مكناسة[٤]، فأوقع به هزيمة، أجبرت يحيى إلى

---

(١) نكور: تقع بالقرب من مليلة، بينها وبين البحر نحو عشرة أميال، أسسها قائد يمني يعرف بـ(العبد الصالح)، صالح بن منصور الحميري، دخل المغرب مع جيوش الفتح العربية، وفتح نكور واستقر بها، بعد أن أقطعه إياها الخليفة الوليد بن عبد الملك، وقد أسلم على يده عدد كبير من البربر، ونصبوه حاكماً عليها، ثم خلفه أبناؤه من بعده في حكمها. البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص٧٦٤- ٧٦٧؛ الحميري: الروض المعطار، ص٥٧٦؛ ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٧٥- ١٨١؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٦، ص٢٨٣- ٢٨٦.

(٢) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٧٥.

(٣) البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي: المُغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د. ت، ص٩٦.٩٧، (سيشار إليه بـ البكري: المغرب).

(٤) مكناسة: مدينة في المغرب العربي في بلاد البربر على البر الأعظم، بينها وبين مراكش أربع عشر مرحلة نحو الشرق، ويقال لها مكناسة الزيتون. البغدادي: مراصد الاطلاع، ج٣، ص١٣٠٢؛ العفيفي: موسوعة، ص٤٦٦.

طلب الصلح ودفع ما يفرض عليه من أموال، فأبقاه مصالة على فاس، وولى ابن عمه موسى ابن أبي العافية على سائر بلاد المغرب الأقصى، ومعروف عن هذا الأخير كرهه للأدارسة، مما جعله يقوم على يحيى بن إدريس وهزمه بالقرب من فاس، ثم أودعه السجن بعد أن أذاقه كافة أنواع الذل والتعذيب، لينتقل إلى المهدية ويموت فيها ذليلا[١].

تابع مصالة زحفه إلى سجلماسة ليتخلص من أميرها أحمد بن مدرار، ويعين عوضاً عنه أميراً من نفس العائلة مخلصاً للفاطميين اسمه المعتز بن محمد بن مدرار، ويعود مصالة بعدها إلى المهدية سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م[٢].

ولم يستمر التفوق الفاطمي في بلاد المغرب الأقصى طويلاً، حيث أتيحت الفرصة لتدخل الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر من خلال دعمه لأحد أمراء الأدارسة ويدعى الحجام بن إدريس[٣]، الذي تمكن من استرجاع فاس وطرد حاكمها الفاطمي ريحان الكتامي سنة ٣١٠هـ/٩٢٥م، وحكم الحجام فاس مدة عامين. كما ثارت زناته بقيادة محمد بن خزر على سلطة الفاطميين، وتمكنت من قتل مصالة بن حبوس حاكم تاهرت سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م، مما أغضب موسى بن أبي العافية، فهاجم فاس ونجح في استعادتها سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م[٤]، واستولى على المغربين الأوسط والأقصى، وربما كان الانتصار الذي حققه موسى قد أدخل الغرور في قلبه، فتطلع إلى الاستقلال، وخلع طاعة الخليفة الفاطمي، ودخل في طاعة الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر، الطامع في مد نفوذه إلى بلاد المغرب[٥]. وفي ظل هذه الظروف

---

(١) السلاوي: الإستقصا، ج١، ص٨٠؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٢١. حسن، وطه: عبيد الله، ص١٩٤.

(٢) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٨٥.

(٣) الحجام: وهو الحسن بن محمد بن القاسم بن إدريس، عرف بالحجام لأنه كان بينه وبين عمه أحمد بن القاسم بن إدريس حرب، فحمل الحسن على فارس من أصحاب عمه فطعنه في موضع الحاجم، ثم فعل ذلك بثان وثالث، حتى قال عنه عمه أن ابن أخي الحجام، وفي ذلك يقول بعضهم:

وسميت حجاماً ولست بحاجم ولكن لطعن في مكان المحاجم

السلاوي: الإستقصا، ج١، ص٨٠. ابن أبي الزرع: الأنيس ، ص٨٢.

(٤) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٨٩؛ السلاوي: الإستقصا، ج١، ص٨١؛ حسن؛ وطه: عبيد الله، ص١٩٧؛ القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص٣٢٨– ٣٢٩.

(٥) حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص٨٩.

من تقلبات سياسية وصراعات عسكرية، اضطر الخليفة الفاطمي إلى إرسال ابنه القائم على رأس حملة إلى المغربين الأوسط والأقصى سنة ٣١٥هـ/ ٩٢٧م[١]. وعند سماع محمد بن خزر هرب إلى منطقة الصحراء، ولم يلحق به القائم، وتمكن قائد تاهرت الجديد حميد بن مصال الذي خلف عمه في حكم تاهرت من تحقيق انتصار على موسى بن أبي العافية، وبدأ بالتقدم القائم حتى أخضع مناطق واسعة من المغرب وعلى رأسها زناتة وصنهاجة، وعاد القائم بعد هذه الحملة التأديبية إلى المهدية ليحتفل هناك بما تم تحقيقه من نصر[٢].

ومن خلال مجريات الأحداث تبين أن ما قام به الخليفة الفاطمي من سياسة توسعية في المغرب الأقصى يدل على حماية مركز الخلافة، كما أسفرت هذه السياسة عن نتائج هزيلة، فقد اعترضها عقبتان: الأولى تمرد القبائل البربرية وعلى رأسها زناتة، والثانية سياسة عبد الرحمن الناصر التوسعية الهادفة إلى مد نفوذه إلى المغرب والقضاء على دولة الفاطميين المعادية له، ومع ذلك ورغم الحملات الفاطمية الكثيرة على المغرب نجد المهدي يقبل بتمركز الخليفة الأموي في مناطق من المغرب الأقصى، لأن المهدي لا ينظر إلى السياسة التوسعية التي قام بها على أنها ترمي إلى إلحاق المغرب الأقصى بالخلافة الفاطمية، ولا إلى فتح الأندلس والقضاء على حكم الأمويين فيها، بل يرى أنها حرب نفوذ وتهدف من جهة إلى تخويف القبائل البربرية وإخضاعها، ومن جهة ثانية إلى مقاومة نفوذ الخليفة الأموي في الأندلس، ومع ذلك أصبح وضع الفاطميين في المغرب الأقصى متردياً، حيث اشتعلت الثورات في المغربين الأوسط والأقصى كثورة موسى بن أبي العافية في المغرب الأقصى، الذي هاجم فاس وقتل عاملها الفاطمي حامد بن حمدان، مما جعل القائم يرسل حملة سنة ٣٢٣هـ/ ٩٣٥م، بقيادة ميسور الصقلبي، الذي حاصر فاس وتمكن من دخولها، أما موسى فقد توجه إلى نكور واستولى عليها، ولما علم القائم بذلك أرسل إليه حملة ثانية بقيادة صندل الفتى الذي

---

(١) القرشي: عيون الأخبار، ج٥، ص١٤٠؛ كريم، الحبيب: عبيد الله المهدي وتكوين الدولة الفاطمية، وزارة الثقافة التونسية، تونس، ٢٠٠٥م، ص١٧٩-١٨١، (سيشار إليه بـ كريم: عبيد الله).

(٢) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٩١- ١٩٤؛ القرشي: عيون الأخبار، ج٥، ص١٤٥-١٥٠.

سيطر على المدينة وعين عليها حاكماً من قبله ثم تابع ليلتحق بجيش ميسور الصقلبي في فاس[١].

كما اشتعلت ثورة أخرى بقيادة محمد بن خزر الزناتي في مدينة تاهرت ووهران، ولم يستطع القائم إرسال قائده ميسور إلى تاهرت للقضاء على الثورة، إلا بعد أن عقد صلحاً مع سكان فاس[٢]، وتحالف مع زعيم قبيلة صنهاجة زيري بن مناد ضد أعدائه الزناتيين. كما عزز سلطة حليفه علي بن حمدون صاحب المسيلة، وانضم بنو محمد الأدارسة إلى الفاطميين، فانطلق بعد ذلك ميسور من فاس لمحاربة موسى بن أبي العافية حليف الأمويين، فهرب الأخير بعد المواجهات التي جرت بين الطرفين إلى منطقة تازا الجبلية، وأسر أحد أبنائه[٣]، ثم توجه ميسور نحو إفريقية بعد أن ترك البلاد التي سيطر عليها بأيدي الأدارسة من بني محمد، وفي طريقه سيطر على مدينة أرشكول ووهران، وتمكن من دخول تاهرت، وقضى على ثورة قام بها أبو القاسم بن مصالة، ثم عاد إلى القيروان سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٦م[٤].

لكن الأمور لم تستقر في هذه المنطقة لصالح الفاطميين، بسبب انشغالهم بإخماد ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي[٥]، الذي هدد الحكم الفاطمي في مقره في المغرب الأدنى

(١) ابن عذاري: البيان، ج١، ص٢٠٥- ٢٠٩؛ السلاوي: الإستقصا، ج١، ص٢٤٤- ٢٤٦.

(٢) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص٢٦١.

(٣) ابن خلدون: تاريخ، ج٦، ص١٧٨؛ ابن عذاري: البيان، ج١، ص٢١٤.

(٤) السلاوي: الإستقصا، ج١، ص٨٢.

(٥) هو مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث الزناتي النكاري أبو يزيد الخارجي، من قبيلة بني يفرن الزناتية، ثائر على الدولة الفاطمية، ومن زعماء الإباضية وأئمتهم، بربري الأصل ساعده رجل خارجي من الإباضية من توزور، يقال له أبو عمار الأعمى: كنار بن عبد الحميد، والتف حولهم عدد كبير من الخوارج، ونشر دعوته في مناطق جبال الأوراس، فنجحت دعوته، ووعد أتباعه بالغنائم الكثيرة وبإقامة نظام إسلامي يقوم على الإجماع والشورى بين الجماعة البربرية، واتخذ لقب شيخ المؤمنين، وكان عمره لا يقل عن ستين عاماً، كان شيخاً بسيطاً يلبس ثوباً قصيراً ضيق الأكمام، ويركب حماراً أشهب أهداه إياه أحد أتباعه في مرماجنة، فأطلق عليه الناس صاحب الحمار، اتصف بالزهد والتقشف، ولد ونشأ في قسطيلة من مدائن توزر – سيأتي الحديث عنه وعن ثورته ضد الفاطميين وعلاقته بقرطبة لاحقاً- توفي سنة ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م. ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٥٢- ٥٣؛ ابن خلكان: وفيات، ج١، ص٢٣٥؛ الجوذري، أبي علي منصور العزيزي: سيرة الأستاذ جوذر، تح: محمد كمال حسين، ومحمد شعيرة، دار الفكر العربي، مصر، د. ت، ص٤٨-٥٠، (سيشار إليه بـ

وحاصر المهدية قرابة عشرة أشهر، مما فتح المجال لازدياد النفوذ الأموي في المغرب الأقصى والأوسط، حتى وصل إلى أعلى اتساع له في عهد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر[١]، وفي ظل هذه الأحداث توفي الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٦م، وخلفه ابنه إسماعيل الملقب بالمنصور بنصر الله، الذي لم يعلن عن وفاة والده إلا بعد أن قضى على ثورة أبي يزيد سنة ٣٣٥هـ/٩٤٧م. وفي الوقت الذي بدأ فيه المنصور التوجه إلى القيروان، وصلته أخبار عن حصول اضطرابات في تاهرت، حيث تحالف حميد بن مصال المكناسي، حاكم تاهرت السابق مع عبد الرحمن الناصر، وحاول استعادة المدينة مستغلاً حالة الفوضى التي أحدثتها ثورة أبي يزيد، فضرب عليها حصاراً أكثر من ستة أشهر[٢] إلى أن انطلق المنصور من المسيلة سنة ٣٣٦هـ/ ٩٤٨م، لنصرة تاهرت وفك الحصار عنها، وعندما علم حميد بن مصال بذلك فك الحصار واتجه إلى الأندلس، أما المنصور فلم يواصل زحفه إلى المغرب الأقصى لبسط نفوذه هناك، وربما يعود السبب إلى الحروب التي خاضها جيشه مع أبي يزيد، فأصبح منهكاً. إضافة لمرض شديد أصيب به المنصور فشل حركته، كما قامت بعض حركات التمرد في المناطق الجنوبية[٣].

وبعد وفاة المنصور تولى ابنه المعز لدين الله الحكم، فأعلن من بداية حكمه الحرب على من خرج عن طاعة الفاطميين، فأرسل حملة عسكرية لبسط سيطرته على جبل الأوراس معقل الهواريين الذين ساندوا ثورة أبي يزيد وتمكن منهم، ليبدأ بعدها بعمليات عسكرية واسعة النطاق لبسط سيطرته على المغربين الأوسط والأقصى، بعد أن زاد نفوذ خصمه الأموي فيها، حيث ملك الأخير أجزاء من بلاد المغرب، وبايعته قبائل زناتة وفاس، وخطب له على المنابر من

=الجوذري: سيرة)؛ المقريزي: المقفى، ص١٢٠؛ ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص١٨٨- ١٨٩؛ التجاني: رحلة، ص٣٢٤- ٣٢٥؛ القرشي: عيون الأخبار، ج٥، ص١٧٢- ١٧٣.

(١) ابن خلدون: تاريخ، ج٧، ص٨٨.

(٢) القرشي: عيون الأخبار، ج٥، ص٣١٣.

(٣) ابن حماد: أخبار، ص٧٧- ٧٩؛ وردة، زينب: الخلافة الفاطمية في عهد المنصور إسماعيل، رسالة ماجستير لم تنشر، إشراف: فايزة كلاس، جامعة دمشق، ٢٠١٠م، ص٩٢- ٩٣، (سيشار إليه بـ وردة: الخلافة).

تاهرت إلى طنجة، باستثناء سجلماسة[١]، وحتى يقف المعز لدين الله أمام هذه الأحداث، ويدعم موقفه لمواجهة خصمه تقرّب من قبيلة صنهاجة وكلف زعيمها زيري بن مناد بحكم المناطق الواقعة بين الزاب وتاهرت، كما أعلن الجهاد والانضمام إلى جيشه لمحاربة الخارجين على طاعته، وبدأ حملته الكبيرة لاستعادة النفوذ الفاطمي في المغرب والحد من النفوذ الأموي، وعهد بقيادتها إلى قائده المخلص جوهر الصقلي، فانطلقت الحملة سنة ٣٤٧هـ/٩٥٨م، رافقه عدد من زعماء البربر، ولم تمض ست سنوات على خلافة المعز حتى تمكن من بسط سيطرته على المغرب باستثناء سبتة وطنجة[٢]. وهذا الامتداد الواسع للفاطميين أخاف عبد الرحمن الناصر، فكثف استعداداته الدفاعية على السواحل الجنوبية للأندلس[٣]. ويبدو أن هذه الحملة لم تنه متاعب الفاطميين في المغرب، وإنما نجحت في إضعاف الأدارسة، الذين كانوا مرة يتحالفون مع الفاطميين ومرة أخرى مع الأمويين، حسب مقتضى الحال. وقد تراجع النفوذ الفاطمي في المغربين الأوسط والأقصى مع مر السنين، بسبب انشغال الدولة الفاطمية بحروب مستمرة في الحوض الغربي للبحر المتوسط من جهة، وانشغالهم بالتوسع شرقاً والحصول على مصر من جهة ثانية، بالإضافة إلى الانتصارات التي أحرزها القرامطة في المشرق[٤].

وبعد وفاة الخليفة الأموي الناصر تسلم الخلافة ابنه الحكم المستنصر الذي تمكن من استقطاب حلفاء إلى جانب الدولة الأموية، من زناتة وعلى رأسهم محمد بن خزر الزناتي الذي شن غارات عدة على مناطق النفوذ الفاطمي، وخاصة تاهرت، مما أقلق المعز الذي كلف بدوره حليفه الصنهاجي بلكين بن زيري بالتصدي لابن خزر، وتمكن بلكين من تحقيق النصر سنة ٣٦٠هـ/٩٧١م، وكبد الزناتيين خسائر فادحة، أدت إلى انتحار محمد بن خزر[٥].

---

(١) السلاوي: الإستقصا، ج١، ص٢٥٢.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٦١؛ عبد الحميد: تاريخ المغرب، ج٣، ص٢٢٥؛ حسن: تاريخ جوهر، ص١٦.

(٣) الدشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٣٤٦.

(٤) طقوش: تاريخ الفاطميين، ص١٥٣.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٣٢٧؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٦٣.

لم يتوقف الزناتيون بعد مقتل زعيمهم، بل تحالفوا مع جعفر بن علي بن حمدون، صاحب المسيلة والزاب، والحليف الفاطمي السابق، الذي خرج على طاعة الفاطميين بسبب العداوة بينه وبين بلكين بن زيري الحليف المدلل والوريث في أملاك الفاطميين في المغرب[١]، وسيتم الحديث عن هؤلاء بشكل موسع لاحقاً.

٥ـ دور المهدية في حماية الدولة الفاطمية:

كان معروفاً لدى مؤسسي الدول الإسلامية في المشرق والمغرب بناء عاصمة جديدة تكون مقراً لحكمهم، ودلالة على العهد الذي يحاولون فرض معالمه، لذا رأى المهدي أن يؤسس عاصمة لدولته الجديدة تكون مركزاً لحكمه، وحصناً يدافع به عن دولته، ويصد من خلالها أي هجوم داخلي أو خارجي. فرفض الإقامة في جبل إيكجان الذي اتخذه الداعي أبو عبد الله الشيعي مركزاً لنشر الدعوة الإسماعيلية، بسبب عزلته وصعوبة الاتصال مع باقي أرجاء الدولة.

كما رفض أيضاً الإقامة في رقادة أو القيروان، مدركاً أنهما لا تصلحان كعاصمة لدولته، لأنهما لا تحققان أغراضه السياسية والدينية، فالمدينتان تعجان بأنصار الأغالبة المعادين للفاطميين[٢]. كما أن المدينتن لا تتصلا بالبحر وهذا لا يناسب المهدي الذي كان يهدف عسكرياً إلى إنشاء مدينة ساحلية يتمكن من خلالها بسط سيطرته على الحوض الغربي للبحر المتوسط، وإقامة علاقات تجارية بحرية[٣]، يضاف إلى ذلك ما كان ينويه المهدي من إيجاد مدينة تكون مركزاً للدعوة الإسماعيلية، ومركزاً يجتمع فيها أنصاره ومؤيدوه.

لذا بدأ المهدي البحث عن موقع صالح لتحقيق أهدافه السياسية والعسكرية والدينية، فوقع اختياره على مكان متصل بالبحر المتوسط على بعد ستين ميلاً من القيروان إلى جهة الجنوب

---

(١) الدشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٣٥٢؛ ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٣٢٧– ٣٢٨.

(٢) حسن؛ وطه: عبيد الله، ص٢٠٤. طقوش: تاريخ الفاطميين، ص٩١.

(٣) الحمد: قيام الدولة، ص٢٢٠؛ الصغير، أجفان: المؤسسات الإدارية في الدولة الفاطمية، رسالة دكتوراه غير منشورة، إشراف: سهيل زكار، جامعة دمشق، ٢٠٠٢م، ص٨٠– ٨٢، (سيشار إليه بـ الصغير: المؤسسات).

الشرقي[١]، وعن تونس مائتي كيلو متر[٢]، ويحيط بها البحر من جهاتها الثلاثة، فتكون بذلك شبه جزيرة متصلة بالبر من الجهة الغربية فقط، لتكون على شكل كف وزند، وعرف هذا الموقع قبل بناء المهدية بجزيرة الخلفاء[٣]، وأطلق عليها ابن حماد جزيرة القار[٤].

وبعد اختيار الموقع بدأ المهدي أعمال البناء للمدينة التي عرفت بالمهدية نسبة إليه[٥]. وكان ذلك سنة ٣٠٠هـ /٩١٢م[٦]، وأخذ المهدي يبني مدينته من الصخر الصلب لتكون قوية،

---

(١) الفقي: تاريخ المغرب والأندلس، ص١٧٩؛ كريم: عبيد الله، ص١٩٤– ١٩٥.

(٢) البكري: المغرب، ص٢٩؛ القزويني: آثار، ص٢٧٦؛ أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل: المختصر في أخبار البشر، مكتبة المتنبي، القاهرة، د. ت، ج٢، ص٦٨، (سيشار إليه بـ أبو الفداء: المختصر)؛ ليون الإفريقي، الحسن بن محمد الوزان: وصف إفريقية، ترجمة: محمد صبحي؛ ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط٢، بيروت، ١٩٨٣م، ج٢، ص٨٥، (سيشار إليه بـ ليون الإفريقي: وصف إفريقية)؛ تامر، عارف: تاريخ الإسماعيلية، رياض الريس للنشر، ط١، لندن،١٩٩١م، ج١، ص٢٣٦، (سيشار إليه بـ تامر: تاريخ الإسماعيلية).

Lezine: Mahdiya, Recherc has D'archealagie Islamique klmcksieck, 1965 p.

(٣) الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٣٠؛ الكلاس، فايزة محمد: السياسة البحرية الفاطمية في المرحلة المغربية، مجلة دراسات تاريخية، العدد ١٢٧–١٢٨، ص٢٤٦– ٢٤٧، دمشق، ٢٠١٤م، (سيشار إليه بـ الكلاس: السياسية البحرية).

(٤) ابن حماد: أخبار، ص٤١.

(٥) ورد في جميع المصادر والمراجع العربية بأن المهدية تنسب إلى عبد الله المهدي، إلا حسن إبراهيم حسن في كتابه عبيد الله المهدي رفض ذلك، ويذكر أن تسمية المهدية لم يقصد بها الانتساب إلى عبد الله المهدي وحده بل إنها مدينة الأئمة من الخلفاء الفاطميين، لأن كلا من هؤلاء الخلفاء إمام مهدي عند الإسماعيلية. حسن، وطه: عبيد الله، ص٢٠٨.

(٦) اختلف المؤرخين في السنة التي وضع فيها المهدي أساس مدينته، فيرى البكري في المغرب، ص٢٩، أن البناء قد تم في سنة٣٠٠هـ/٩١٢م، ويتفق معه في هذا الرأي كل من الحموي في معجمه، ج٥، ص٢٣٠؛ وابن عذاري في البيان، ج١، ص١٦٩؛ أما ابن الأثير في الكامل، ج٦، ص٤٨٩؛ يرى أن البناء بدأ في سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م، ويؤيده ابن الأبار في الحلة السيراء، ج١، ص١٩٢؛ والمقريزي في اتعاظ الحنفا، ج١، ص٧٠؛ والأصح رواية البكري كونه الأقدم من بين الروايات من جهة، والمدة الزمنية التي استغرقها البناء والتشييد في بداية التأسيس سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م، حتى انتقال المهدي إليها سنة ٣٠٨هـ/٩٢١م، كافية لاستكمال مرافق الدولة.

وسوَرها بسور متين طوله نحو ميلين، وعرضه يسع فارسين يمشيان عليه، وكان السور مزود بقلاع وفتحات يطلق منها النار للدفاع عن المدينة، وأبراج للمراقبة[١]، ثم جعل لمدينته بابين من الحديد زنة الواحد ألف قنطار، وطوله ثلاثون شبراً، وزين البابين ببعض صور الحيوانات[٢].

ووصف ابن حوقل أبواب المهدية التي شاهدها بقوله: " ليس لهما فيما رأيته شبيه ولا نظير غير البابين اللذين على سور الرافقة، وعلى مثالهما عملاً، ومثل شكلهما اتخذا... "[٣]. وبنى عبد الله المهدي لنفسه قصراً، وآخر لابنه القائم، كما بنى مسجداً كبيراً يختلف طراز بنائه عن غيره من المساجد في المشرق والمغرب، إذا كانت واجهة هذا المسجد أشبه بواجهة إحدى القلاع[٤]. وأمر بحفر مرسى المدينة في الصخر، وجعله حصناً لمراكبه الحربية، ويسع هذا المرسى أكثر من ثلاثين مركباً، وجعل له سلاسل من حديد ترفع لدخول السفن، وأقام إلى جانب المرسى داراً لصناعة السفن يتسع أكثر من مئتي سفينة، ولهذه الدار قبوان كبيران لحماية السفن من المطر وأشعة الشمس[٥].

وسرعان ما ازدهرت المدينة الجديدة وكثرت بها الأسواق ودور السكن ومعسكرات الجند، وازدهرت فيها الصناعات، وخاصة الصناعة النسيجية، كما أمر بحفر خزانات المياه (المواجل)، وبلغ عددها ٣٦٠ خزاناً، وبنى الحمامات ومخازن الطعام، وسعى جاهداً لتوفير كل أسباب الراحة والطمأنينة لعاصمته إلى جانب توفير أسباب العمران المادي والبشري، حتى

---

(١) البكري: المغرب، ص٢٩؛ الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٣٠؛ القلقشندي: صبح، ج٥، ص١٠١. القاضي النعمان، أبو حنيفة النعمان بن محمد: المجالس والمسايرات، تح: الحبيب الفقي، وآخرون، دار المنتظر، ط١، بيروت، ١٩٩٦م، ص٥٤٢، (سيشار إليه بـ القاضي النعمان: المجالس).

(٢) الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٣١؛ حسن: تاريخ الإسلام، ج٣، ص٤٢٣.

(٣) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٧٢.

(٤) التجاني، عبد الله بن محمد بن أحمد: رحلة التجاني، تقديم: حسن حسين عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨١م، ص٣٢٢، (سيشار إليه بـ التجاني: رحلة).

(٥) البكري: المغرب، ص٣٠؛ الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٣١؛ عبد الحميد: تاريخ المغرب، ج٣، ص٩٦.

أصبحت من عجائب الدنيا[١]، ولشدة حرصه على أمن حكمه، قام ببناء مدينة زويلة[٢] إلى جانب المهدية، وسورها بسور له أبواب، ونقل إليها عامة الناس وأصحاب الحوانيت وأهاليهم، بهدف تأمين نفسه من غدر الرعية، وشرح المهدي الدوافع لهذا العمل قائلاً: " إنما فعلت ذلك لأمن عائلاتهم، وذلك أن أموالهم عندي وأهاليهم هناك. فإن أرادوني بكيد وهم بزويلة كانت أموالهم عندي، فلا يمكنهم ذلك، وإن أرادوني بكيد وهم بالمهدية خافوا على حرمهم هناك، وبنيت بيني وبينهم سوراً وأبواباً، فأنا أمن منهم ليلاً ونهاراً، لأني أفرق بينهم وبين أموالهم ليلاً، وبينهم وبين حرمهم نهاراً..."[٣]. ويروى أيضاً أن المهدي بعد أن انتهى من بناء سور المدينة، أمر رامياً يرمي بالقوس سهماً إلى ناحية الغرب، فرمى سهمه فانتهى إلى موضع المصلى، فقال إلى موضع هذا يصل صاحب الحمار[٤]. ثم أمر أن تقاس مساحة موضع الرمية بالذراع فبلغ مئتين وثلاثة وثلاثون ذراعاً، فقال المهدي: هذا عدد ما تقيم المهدية من سنين[٥]. وبعد أن فرغ من معظم أعمال البناء في المدينة، سارع بالانتقال إليها وشجعه على ذلك سوء الأحوال الجوية في القيروان ورقادة من المطر والعواصف التي هدمت الكثير من المنازل.

ولم يشعر عبد الله المهدي بالأمان على بيته وملكه إلا بعد أن انتقل إلى المهدية مع أهله وأمواله وجنده سنة ٣٠٨هـ/ ٩٢١م، وأعرب عن ذلك بقوله: (الآن أمنت الفاطميات)[٦].

---

(١) التجاني: رحلة، ص ٣٢٣؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص٧٣.

(٢) زويلة: مدينة في إفريقية، بناها عبد الله المهدي إلى جانب المهدية، سميت زويلة نسبة إلى قبيلة زويلة، تكرياً لهذه القبيلة التي كان لها دور في قيام الدولة الفاطمية. الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١٦٠؛ العفيفي: موسوعة، ص٢٦٨.

(٣) الحموي: معجم البلدان ، ج٥، ص٢٣١.

(٤) هو مخلد بن كيداد أبو يزيد الخارجي.

(٥) القرشي: تاريخ الخلفاء، ص٢١٠؛ التجاني: رحلة، ص٣٢١؛ الكلاس: السياسية البحرية، ص ٢٤٧.

(٦) ابن الوردي: تتمة المختصر، ج١، ص٣٨٠؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٤٨٩؛ القزويني: آثار، ص٢٧٦؛ ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٨٤؛ تامر: تاريخ الإسماعيلية، ج١، ص٢٣٧؛ الصغير: المؤسسات، ص٨٣؛ الكلاس: السياسية البحرية، ص ٢٤٨.

وربما هنا لا يقصد المهدي بالفاطميات بناته، إنما يقصد أبعد من ذلك أي يقصد توطيد أركان الدولة والاطمئنان إلى المقدرة على مواجهة الخصوم. وبمناسبة انتقال المهدي إلى المهدية امتدحه شعراء إفريقية بقصيدة، هذه بعض أبياتها:

ليهنك أيها الملك الهمـــام قدوم فيه للدهر ابتسـام

حططت الرحل في بلد كريم رعته لك الملائكة الكرام

لقد عظمت بأرض الغرب دار بها الصلوات تقبل والصيام[١]

ومن هنا يتضح أن المهدي لم يجعل من المهدية عاصمة لدولته فقط بل جعل منها قلعة ودرع يحتمي بها من هجمات الأعداء، ومركز حربي لإرسال الجيوش للقتال شرقاً وغرباً. فكانت المهدية القلعة الحصينة الصامدة التي حمت كيان الدولة ووطدت أركانها.

رابعاً: الأوضاع الداخلية في عصر خلفاء المهدي في المغرب العربي:

توفي المهدي في المهدية في شهر ربيع الأول سنة ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م، وعمره ٦٢ سنة،

أمضى منها ٢٥ سنة في الحكم، خلف من الأولاد الذكور ستة، من البنات ثمانية[٢]، كان حاكماً حازماً وماهراً في إدارة الأمور، فرض سيطرته على شمال إفريقية، ووضع حداً لخطر الخوارج، وأخضع القبائل البربرية المناهضة لنظامه، وتمكن من تجهيز جيش قوي، تمكن من خلاله تحقيق انتصارات على المستوى الداخلي والخارجي، وبنى مدينة حصينة جعلها عاصمة لدولته الناشئة، فنجح في تأسيس دولة امتد نفوذها فيما بعد من المحيط الأطلسي غرباً إلى بلاد العراق شرقاً، ومن جبال طوروس شمالاً إلى بلاد السودان جنوباً[٣]، وبعد وفاة المهدي

---

(١) ابن عذاري : البيان، ج١، ص١٨٤. القصيدة: في بحر الوافر.

(٢) أبنائه: أبا القاسم محمد، وأبا علي أحمد، وأبا طالب موسى، وأبا الحسن عيسى، وأبا عبد الله الحسين، وأبا سليمان داوود. والبنات: آمنة، وزينب، وفاطمة، وأم الحسن، وأم الحسين، وسكينة، وأم علي، ورشيدة. المقريزي: المقفى، ص٩٣– ٩٤؛ ابن حماد: أخبار، ص٥٢.

(٣) ابن عذاري: البيان، ج١، ص٢٠٨؛ القرشي: عيون الأخبار، ج٥، ص١٥٥؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص٧٣؛ الذهبي: سير، ج١٥، ص١٥١؛ ابن الأبار: الحلة، ج١، ص١٩٠– ١٩٣.

بايع الدعاة وكبار رجال الدولة ولي عهده أبا القاسم القائم بأمر الله، الذي أخفى خبر الوفاة مدة مائة يوم حتى تمكن من تثبيت أقدامه في الحكم.

والقائم هو محمد بن عبد الله أبو القاسم[١]، ولد في السلمية في بلاد الشام سنة ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م، رافق والده خلال رحلته إلى المغرب[٢]. وعندما استقامت الدولة لعبد الله المهدي عهد إلى القائم بولاية العهد، كما جعله قائد جيوشه وأرسله على رأس عدة حملات لإخماد الثورات التي قامت في أنحاء المغرب العربي، كما قاد الحملات العسكرية المتجهة إلى مصر[٣]. وتسلم القائم الخلافة وله من العمر سبع وأربعون سنة، اتبع خلال خلافته سياسة والده، وعاش حياته متقشفاً، لم يرتبط اسمه بأي عمل بارز، ومرت المصادر مروراً عابراً على عهده الذي استمر اثني عشر عاماً في السلطة، اكتسب خبرة في الشؤون الإدارية والمهام العسكرية، من خلال قيادة الحملات العسكرية وغيرها، لكن كثرة الثورات المناهضة للفاطميين، وعلى رأسها ثورة أبي يزيد، التي عكرت الهدوء الذي شهدته الدولة قبل وفاة المهدي، وباتت تشكل خطراً عظيماً كاد أن يزيل الدولة الفاطمية من المغرب[٤]. مرت هذه الثورة بمراحل خلال حكم القائم، المرحلة الأولى: ٣٢٣- ٣٣٣هـ/ ٩٣٥- ٩٤٤م، وتميزت بتقدم أبي يزيد عسكرياً حتى وصل إلى أسوار المهدية، في حين تميزت المرحلة الثانية: ٣٣٣- ٣٣٤هـ/ ٩٤٤- ٩٤٥م بتعادل القوتين، حيث أصبحت الحرب سجالاً بين الطرفين[٥].

---

(١) هناك جدل وخلاف حول نسبه واسمه بشكل عام، لكن ابن حماد في كتابه: أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، يؤكد أن اسمه محمد على خلاف من يقول أن اسمه عبد الرحمن. ابن حماد: أخبار، ص٥٣؛ ابن الأبار: الحلة، ج١، ص٢٨٥- ٢٨٦؛ الذهبي: سير، ج١٥، ص١٥٢؛ المقريزي: الخطط ج٢، ص٣٢- ٣٣؛

(٢) المقريزي: المقفى، ص١١٣؛ القرماني: أخبار، ج٢، ص٢٣١؛ أيوب، إبراهيم: التاريخ الفاطمي السياسي، الشركة العلمية للكتاب، لبنان، ١٩٩٧م، ص٢٧، (سيشار إليه بـ أيوب: التاريخ الفاطمي).

(٣) ابن عذاري: البيان، ج١، ص٢٠٩.

(٤) القاضي النعمان: المجالس، ص٢١٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص١٨٩- ١٩٦؛ الدشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٢٣٩- ٢٤١.

(٥) القرشي: عيون الأخبار، ج٥، ص٢٠٢- ٢١٦.

وفي الوقت الذي كانت فيه ثورة أبي يزيد مشتعلة توفي القائم في المهدية سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٦م، تاركاً الدولة تمر في ظروف صعبة جداً، فتسلم الحكم المنصور بالله إسماعيل بن القائم[١]، وقد تجاوز الثلاثين من عمره، وكتم خبر وفاة والده خوفاً من حدوث اضطرابات في أمور الحكم، وحتى لا يصل الخبر إلى أبي يزيد فيستفيد من ذلك. ولم يُحدث المنصور أي تغيير في الأمور الإدارية للدولة، بل تركها كما كانت في عهد والده، وتفرغ لمواجهة ثورة أبي يزيد هذا على الصعيد الداخلي، أما على الصعيد الخارجي فأخذ بمواجهة المتربصين والمتآمرين على دولته[٢]. فبدأ حكمه بالاستعداد لمحاربة أبي يزيد، حيث جهز حملتين: الأولى بحرية بقيادة يعقوب بن إسحق نزلت على سواحل سوسة[٣]، وتمكنت من هزيمة أبي يزيد الذي تراجع إلى القيروان[٤]. هذا الانتصار جعل المنصور يخرج بنفسه لمطاردة أبي يزيد، وسلم أمور السلطة وسائر أنحاء المملكة لحاجبه جوذر، لكن أصحابه أقنعوه بالعدول عن الزحف بنفسه على خصمه، فعهد إلى كبون بن تصولا بقيادة الحملة، لتكون حملته البرية الثانية[٥].

---

(١) هو إسماعيل بن محمد، الملقب بالمنصور بالله أبو الطاهر، ولد في رقادة أو القيروان سنة ٣٠١هـ/ ٩١٣م، عاش خلال مدة حكم والده في قصر الخلافة، واتصف بالخصال الحميدة، وكان في غاية من الفصاحة والبلاغة، يرتجل الشعر والخطب. ابن خلكان: وفيات، ج١، ص٢٣٤؛ الذهبي: سير، ج١٥، ص١٥٦؛ المقريزي: المقفى، ص١٤٢؛ الصفدي: الوافي، ج٩، ص١٢٢؛ أيوب: التاريخ الفاطمي، ص٢٩-٣٠؛ القرماني: أخبار، ج٢، ص٢٣٢؛ الأنطاكي: تاريخ، ص٥٧.

(٢) الجوذري: سيرة، ص٤٦- ٤٧؛ سرور: تاريخ الدولة الفاطمية، ص٣١.

(٣) سوسة: من مدن تونس القديمة، الواقعة على الساحل الشرقي، تبعد عن القيروان ستة وثلاثين ميلاً، وعن تونس مائة ميل، أحاط بها البحر من ثلاث جهات، خرج منها محدثون وفقهاء وأدباء. الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٨١- ٢٨٢؛ البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص٦٨٨؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص٧٤؛ الحميري: الروض المعطار، ص٣٣١؛ الفاسي: وصف أفريقيا، ج٢، ص٨٣.

(٤) التجاني: رحلة، ص٣٢٧؛ القرشي: عيون الأخبار، ج٥، ص٢٣٢- ٢٣٤.

(٥) الجوذري: سيرة، ص٤٤؛ الدشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٢٨١؛ سالم، عبد العزيز؛ وأحمد مختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب العربي والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٩م، ص٦٦، (سيشار إليه بـ سالم والعبادي: تاريخ البحرية).

وعندما أدرك أبو يزيد قوة خصمه، غير خطته العسكرية متبعاً أسلوب الكر والفر، وأرسل غارات استطلاعية، كما أرسل يستعين بالخليفة الأموي في الأندلس[١]. فجرت بين الطرفين معارك استمرت أكثر من شهرين كانت نتيجتها تراجع أبي يزيد عن القيروان، حيث أخذ يشن غارات على ضواحي سوسة والمهدية والقيروان، إلى أن جرت معركة ضارية بين الطرفين سنة ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م، سميت بمعركة المشاعل انتصر فيها المنصور، وفر أبو يزيد إلى المغرب[٢].

وبعد عدة انتصارات حققها المنصور على أبي يزيد قرر أن يعيد تنظيم أمور البلاد بعد أن ساءت أحوالها جراء ويلات الحروب والثورات. وأمر أيضاً بتأسيس مدينة في الموضع الذي انتصر فيه على خصمه على مقربة من القيروان وسماها المنصورية[٣]،

واتخذها حاضرة له[٤]. وتابع المنصور مطاردة أبي يزيد الذي أخذ يتحصن في المعاقل والحصون والقلاع في الجبال – حصن أبي يزيد – بحيث تكون مرتفعة ومعقدة ومع ذلك تمكن المنصور من التقدم وفرض حصار على كافة القلاع التي تحصن بها خصمه، ومنع وصول الإمدادات المادية والعسكرية إليه، مما جعل الكثير من أتباع أبي يزيد يضطرون للاستسلام دون قتال[٥]، ويبدو أن أبا يزيد كان على علم تام بتحركات المنصور، فكان يغادر مكانه قبل وصول المنصور ليتحصن في مكان أكثر منعة، مما أتعب المنصور فوجه إلى أبي يزيد إنذاراً يطلب منه الاستسلام، لكن الأخير رفض وفضل متابعة القتال، مدركاً أن الجيش الفاطمي أتعبته عملية المطاردة في المناطق الجبلية الوعرة وفي ظروف طبيعية قاسية، حتى أن

---

(١) القرشي: عيون الأخبار، ج٥، ص٢٣٧– ٢٣٨؛ عبد الحميد: تاريخ المغرب، ج٣، ص١٨٦.

(٢) القرشي: عيون الأخبار، ج٥، ص٢٣٩؛ الدشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٢٨٦.

(٣) المنصورية: مدينة تقع قرب القيروان بناها المنصور وجعل قصره في وسطها، وسورها بسور عظيم، وانتقل إليها سنة ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م، وأصبحت تعرف بالمنصورية نسبة إلى المنصور إسماعيل، ولم تزل هذه المدينة دار ملكهم إلى أن انتقلوا إلى مصر. الحميري: الروض المعطار، ص٣٥٤؛ البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص٦٧٦؛ الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٣٩١؛ تامر، عارف: المنصور بالله، دار الجيل، ط١، بيروت، ١٩٨٠م، ص٨٠– ٨١، (سيشار إليه بـ تامر: المنصور بالله).

(٤) ابن عذاري: البيان، ج١، ص٢١٩؛ وردة: الخلافة، ص٨٠– ٨١.

(٥) ابن عذاري: البيان ، ج١، ص٢٢٠؛ تامر: المنصور بالله، ص٦٩–٧٠.

المنصور أصيب بمرض نتيجة المشقة التي عاناها في هذه الحرب[١]. وبعد أن شفي خاض حرباً شبه نهائية في مدينة أدنه[٢]، ومني أبو يزيد بهزيمة نكراء، وفر مجدداً إلى الجبال فطارده زيري بن مناد الصنهاجي، الذي كان حارب إلى جانب المنصور، ولم يتمكن منه إلى أن جرت معركة حاسمة بين الطرفين سنة ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م، جرح في نهايتها أبو يزيد في كتفه وتمكن من الهرب، وقتل صاحبه أبو عمار الأعمى، وفي اليوم التالي تعقب رجال المنصور أبا يزيد في الصحراء وقبضوا عليه، وأمر المنصور بوضعه في السجن تحت حراسة شديدة، وكان ينوي الاحتفاظ به حياً، عند رجوعه إلى إفريقية، ليكون رمزاً لانتصاره، لكن أبا يزيد توفي متأثراً بجراحه، ثم أمر بسلخه وحشي جلده بالتبن والقطن، وجعله في صندوقين مع قردين يلعبان عليه، ووضع على باب المهدية الجنوبي[٣].

ولم يكن القضاء على ثورة أبي يزيد نهاية لحالة الاضطرابات والفتن التي واجهتها الدولة الفاطمية، بل تجددت الثورات، وكان منها ثورة أبي الفضل بن أبي يزيد التي تغلب عليها المنصور بشق الأنفس، وثورة أهل تاهرت الذين تحالفوا مع الخليفة الأموي في الأندلس[٤]. وقد جعلت هذه الأحداث المنصور في حالة قلق دائم، حيث فكر في تلك الساعات بأنه لابد من اتخاذ التدابير والخطوات للزحف إلى المغرب والانضمام إلى الصنهاجيين، وإنهاء الحرب المستمرة، ولكن العمر لم يمهله، فمات قبل أن ينفذ برنامجه كاملاً، ويعيد هيبة الدولة وينظم البلاد، مع أنه حقق إنجازات عسكرية وعمرانية عظيمة.

---

(١) القرشي: عيون الأخبار، ج٥، ص٢٧٢؛ تامر: المنصور بالله، ص٧٢.

(٢) أدنه: مدينة صغيرة تقع بالقرب من مدينة المسيلة على بعد إثني عشر ميلاً. طقوش: تاريخ الفاطميين، ص١٣٩.

(٣) ابن عذاري: البيان، ج١، ص٢٢٠؛ ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٠١؛ ابن حماد: أخبار، ص٧٩. النويري: نهاية الأرب، ج٢٨، ص١١٧؛ الذهبي: سير، ج١٥، ص١٥٧؛ ابن الخطيب، محمد بن عبد الله لسان الدين: رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، ١٣١٦هـ، ص٣١، (سيشار إليه بـ ابن الخطيب: رقم الحلل).

(٤) القرشي: عيون الأخبار، ج٥، ص٣١٣.

توفي المنصور إسماعيل سنة ٣٤١هـ/ ٩٥٣م، في المنصورية،[١] بعد أن بلغ تسعاً وثلاثين سنة، إذ جاءه القدر مبكراً، ليتولى الخلافة ابنه المعز لدين الله، أبو تميم، في شوال٣٤١هـ/ آذار٩٥٣م، وعمره اثنان وعشرون عاماً، وكان مولده في رمضان سنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م، وعاش حياته في المهدية والمنصورية[٢]، وعاصر من سبقوه في الحكم، وفاقهم في العلم والسياسة والحرب والأدب، وبلغت الدولة في عهده أقصى اتساع لها، وشجع النهضة العلمية والثقافية، فعظمت دولته ونعمت بالرخاء[٣]. ومع أن المعز لدين الله الفاطمي في بداية حكمه خشي من المنافسة الداخلية من قبل إخوته وأعمامه وأعمام أبيه، حيث احتدمت الخلافات داخل الأسرة الفاطمية، وكثرت الاضطرابات الداخلية التي رافقها تآمر خارجي أيضاً[٤]، تمكن من نشر الأمن داخل بلاده وخارجها، حيث بسط نفوذه على جبل الأوراس معقل الهواريين، وتمكن من إخضاع القبائل الثائرة ضد الحكم الفاطمي[٥]. ومن أجل إحكام سيطرة المعز على المغرب الأوسط تقرب من الصنهاجيين، فاستقبل رئيسهم زيري بن مناد[٦] الصنهاجي في المنصورة، وكلفه بحكم المناطق الممتدة من الزاب حتى تاهرت، ليضمن ولاء الصنهاجيين وتبعيتهم له[٧].

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٤١– ٢٤٢؛ الأنطاكي: تاريخ، ص٨١؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٥٨؛ الذهبي: سير، ج١٥، ص١٥٨– ١٥٩؛ المقريزي: المقفى، ص١٨٩– ١٩٠؛ ابن الوردي: تتمة المختصر، ج١، ص٤٢٥.

(٢) ابن عذاري: البيان، ج١، ص٢٢١؛ المقريزي: الخطط، ج٢، ص٣٤؛ ح: الخليفة المعز، ص٤.

(٣) ابن عذاري: البيان، ج١، ص٢٢١؛ ابن حماد: أخبار، ص٨٣؛ ابن خلكان: وفيات، ج٥، ص٢٢٤– ٢٢٥؛ القرماني: أخبار، ج٢، ص٢٣٣؛ الدشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٣٢٧؛ عبد الحميد: تاريخ المغرب، ج٣، ص٢٢١؛ الصلابي: الدولة الفاطمية، ص٦٨؛ سرور: تاريخ الدولة الفاطمية، ص٣٢؛ رجب: الدولة العبيدية، ص١١؛ تامر، عارف: المعز لدين الله الفاطمي، دار الآفاق الجديدة، ط١، بيروت، ١٩٨٢م، ص٦٧، (سيشار إليه بـ تامر: المعز).

(٤) الجوذري: سيرة، ص٧٣؛ الدشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٣٣٠.

(٥) الجواذي: سيرة، ص٧٤–٧٥؛ ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٤١– ٢٤٣؛ القرشي: عيون الأخبار، ج٦، ص٢٤– ٢٥.

(٦) زيري بن مناد: الحميري الصنهاجي، أول من ملك من الصنهاجيين بالمغرب الأوسط، وهو الذي بنى مدينة أشير وحصنها، الواقعة بالقرب من المسيلة من بلاد الزاب، كان موالياً للفاطميين شجاعاً حسن السيرة. ابن خلكان: وفيات، ج٢، ص٣٤٣؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٨، ص١٤٢؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص١٠٨؛ الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٢٠٢؛ الزركلي: الأعلام، ج٣، ص٦٣.

له[1]. أما في نواحي المغرب الأقصى، فبدأ المعز لدين الله بأعداد حملة كبيرة لإعادة سلطة دولته وهيبتها، وانتزاعها من النفوذ الأموي، وعهد بقيادتها إلى أحد كبار رجال الدولة، وهو جوهر الصقلي.

انطلقت الحملة في سنة ٤٣٧هـ/ ٩٥٨م، وتمكن جوهر من وضع بلاد المغرب الأوسط في يد زيري بن مناد الصنهاجي، حليف الفاطميين، ثم تابع زحفه إلى فاس حاضرة الأدارسة، فحاصرها لكنه انسحب بسبب دفاع حاكمها أحمد بن بكر الجذامي الموالي للأمويين في الأندلس، فعاد إلى تافيلات ليهاجم سجلماسة عاصمة الشاكر بالله محمد بن الفتح بن واسول، وتمكن من دخول المدينة والسيطرة عليها دون قتال[2]، ليتوجه بعدها إلى فاس التي حاصرها عدة أشهر وتمكن من دخولها عنوة سنة ٣٤٨هـ/٩٥٩م، وأسر حاكمها الجذامي ليصبح المغرب الأقصى باستثناء سبتة[3]، وطنجة[4]، تحت النفوذ الفاطمي. ويبدو أن جوهر فضل العودة إلى إفريقية، وعدم المغامرة للاستيلاء على الثغرين سبتة وطنجة، بسبب ضعف إمكاناته المادية والعسكرية، وصعوبة الظروف التي كانت تمر بها الدولة الفاطمية[5].

---

(١) ح: الخليفة المعز، ص٥.

(٢) القاضي النعمان: المجالس، ص٣٨٩- ٣٩٠؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٥٩؛ الدشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٣٤٤.

(٣) سبتة: مدينة مطلة على مضيق جبل طارق، تقع شمال المغرب الأقصى، وهي عبارة عن شبه جزيرة تحيط بها الجبال من ناحية الجنوب، وهذا الوضع جعل اتصالها بالأندلس قوياً، ولهذا نجدها في العصور الوسطى امتازت بطابع أندلسي، إذ خضعت للدولة الأموية في الأندلس، ثم سيطر عليها بنو حمود الأدارسة في عصر ملوك الطوائف، ثم دخلت في طاعة المرابطين والموحدين في المغرب. الحموي: معجم البلدان، ح٣، ص١٨٢؛ القزويني: آثار، ص٥٣٣؛ موقع الإسلام: تعريف بالأعلام، ج٢، ص٣٩.

(٤) طنجة: مدينة قديمة بالمغرب الأقصى، تقع عند الطرف الغربي من مضيق جبل طارق، وتعرف بالبحيرة، بالبحيرة، خضعت للأدارسة ثم الأمويين في الأندلس، ثم للدول التي تعاقبت على حكم المغرب. البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص٧٨١؛ موقع الإسلام: تعريف بالأعلام، ج٢، ص١٣٢.

(٥) ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٥٩-٦٠؛ الدشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٣٤٦؛ سيد، أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية، ط١، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٦٣- ٦٤، (سيشار إليه بـ سيد: الدولة الفاطمية).

إضافة إلى أن المعز لدين الله كان يميل في توسيع دولته إلى المشرق العربي إلى مصر والشام، ومن المحتمل أن جوهر الصقلي فضل التوسع شرقاً بسبب كثرة الفتن والاضطرابات التي دوخت الدولة الفاطمية في المغرب من جهة، وطبيعة سكان المغرب، ورفض غالبيتهم المذهب الإسماعيلي من جهة ثانية. وعندما غادر القائد جوهر على رأس الحملة التي أرسلها المعز لدين الله إلى مصر سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م، ثارت قبائل عدة في المغرب منها قبائل الزناتيين وخرجت عن طاعة الفاطميين. مما جعل المعز لدين الله يكلف القائد الصنهاجي بلكين بن زيري بردع المتمردين، بعد أن قتل الزناتيين والده زيري، فزحف بلكين في أواخر سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧١م. إلى مناطقهم، وقتل الكثير وسبى آخرين، ثم سار نحو الغرب في اتجاه تاهرت، وطارد أمير الزناتيين الحسين بن محمد وتمكن من قتله، ثم عاد إلى إفريقية منتصراً، فاستقبله المعز لدين الله وأكرمه، وعينه نائباً عنه في حكم المغرب بعد أن انتقل المعز لدين الله إلى مصر[١].

خامساً- الجيش والأسطول الفاطمي:

معروف أن الجيش هو عماد قوة الدول به تقاس عظمتها وقوتها، وعن طريقه تكتسب هيبتها وبه توسع رقعتها، وكلما كان الجيش مدرباً ومنظماً ازدادت هيبة الدولة، وأوجب على الدول الأخرى احترامها وتقديرها، مما جعل الحكومات والدول منذ القديم تولى الجيش العناية والاهتمام، لأن وجود الدول مرتبط بقوة جيوشها التي توفر لها دوراً على مسرح السياسة الدولية.

لذا منذ بداية نشأة الدولة الفاطمية اهتمت بتكوين الجيش بشقيه البري والبحري، لحماية كيانها السياسي والدفاع عن مصالحها في الداخل والخارج، فكان له الدور الرئيسي في إخماد الثورات الداخلية التي قامت ضد الدولة الفاطمية، وتوسيع رقعة الدولة التي شملت كامل الشمال الإفريقي من المحيط الأطلسي غرباً إلى مصر شرقاً، بل تعداها إلى بلاد الشام وشبه الجزيرة العربية فيما بعد[٢].

---

(١) الدشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٣٥٢- ٣٥٤.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٣٦، ٢٦١، ٣٠٩؛ ابن أبي دينار: المؤنس، ص٦٢. ٦٤.

وتكون الجيش الفاطمي من عناصر مختلفة[١]، اختلفت قوة هذه العناصر حسب كل مرحلة من مراحل الخلافة من جهة، وحسب اعتماد الخليفة الفاطمي على بعض العناصر دون أخرى من جهة ثانية، وقد شكلت قبيلة كتامة نواة الجيش الفاطمي وعصبته، فأيدوا هؤلاء بدعوة الداعي أبو عبد الله الشيعي، ووقفوا إلى جانبه ضد خصومه[٢]، وتضاعف عددهم وزادت قوتهم مما جعل الداعي يقوم بتقسيمهم إلى أسباع، وجعل على كل سبع مقدماً، وأطلق بكل موضع داعياً، وسمى المقدمين والدعاة المشايخ[٣]، فأصبح الجيش الفاطمي منظماً، وزاد عددهم عند دخوله رقادة والقضاء على دولة الأغالبة فتراوح عدد أفراد جيشهم ما بين مائتي ألف إلى ثلاث مائة ألف جندي[٤]. ولما تسلم عبد الله المهدي أمور الدولة سارع إلى تشكيل الجيش من جديد سنة ٣٠٠هـ / ٩١٢م، وبدأ يتزايد نشاطه في البر والبحر ويتوسع على حساب جيرانه.

وبما أن الدولة الفاطمية تسعى إلى التوسع والسيطرة، فقد أولت الجيش اهتمام خاص، وقدمت للجندي الفاطمي الإغراءات المادية والمعنوية لتنفيذ مخططاتها وأهدافها السياسية البعيدة، فعليه عبء حماية وتثبيت مركزها، كما عليه تحقيق الآمال الواسعة نحو حكم كل

---

(١) تألف الجيش الفاطمي من عناصر مختلفة. أولها: قبيلة كتامة نواة الجيش الفاطمي، أول من ناصر الدعوة الإسماعيلية ودافعوا عنها، وله يعود الفضل في قيام الدولة والقضاء على بعض الثورات كثورة أبي يزيد الخارجي، والعنصر الثاني قبيلة صنهاجة التي وقفت مع الفاطميين بقيادة زيري بن مناد ضد حركة أبي يزيد الخارجي، وضد قبيلة زناتة العدو التقليدي، وزاد شأن هذه القبيلة أيام الخليفة المعز لدين الله إلى أن سلمها حكم المغرب بعد أن رحل إلى مصر. أما العنصر الثالث الصقالبة حيث شاركوا في الجيش كجند مرتزقة وكان لهم حضور واسع وفعال وبرز منهم قادة قادوا جيوش الفاطميين في البر والبحر، والعنصر الرابع الروم الذين قدموا أدوار مهمة في الجيش، وأكبر مثال على ذلك القائد جوهر الرومي الصقلبي قائد المعز وفاتح مصر. بالإضافة إلى عناصر أخرى شاركت منها السودانية وغيرها. الدرجيني: طبقات المشايخ، ص٥٣- ٥٤؛ الجوذري: سيرة، ص٥٩؛ القاضي النعمان: المجالس ، ص٤٣٥- ٤٣٦؛ حسن: تاريخ، ص١٤- ١٦.

(٢) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص٥٤؛ بوراس، رفيق: الأوضاع الاجتماعية بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية ٢٩٦- ٣٦٢هـ/ ٩٠٨ - ٩٧٢م، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة منتوي قسنطينة، الجزائر، ٢٠٠٨م، ص٤٩- ٥١، (سيشار إليه بـ بوراس: الأوضاع الاجتماعية).

(٣) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص١٢٤- ١٢٥؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص٦٢- ٦٣.

(٤) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص١١٧- ١١٨.

البلاد الإسلامية، فأعطي الجندي رواتب عالية[١]، وسمحوا له بالحصول على أقطاعات واسعة[٢]. وزادت نفقات الجيش ومصروفاته، مما جعل الخليفة المهدي يقوم بإنشاء ديوان خاص بالجيش، أطلق عليه ديوان العطاء، مهمته إدارة شؤون الجيش[٣].

وبما أن الدولة الفاطمية تشرف على سواحل طويلة على البحر المتوسط ولها أعداء هددوها من جهة البحر، هذا الأمر حتم عليها إنشاء أسطول بحري لحمايتها من هذه التهديدات ويقودها إلى مناطق جديدة، ويجعل من البحر المتوسط بحيرة فاطمية بامتياز، ولحسن حظ الفاطميين فقد ورثوا عن الأغالبة أسطولاً كبيراً[٤]، إضافة إلى اهتمامهم بالأسطول وإنشاء دور لصناعة السفن على اختلاف أحجامها وأشكالها واستخداماتها، فتنوعت السفن الحربية فمنها

(١) الجوذري: سيرة، ص٩٢؛ ابن أبي دينار: المؤنس، ص٦٢؛ هندي، إحسان: الجيش العربي في عصر الفتوحات، طبع القيادة العامة للجيش، دمشق، ١٩٧٣م، ص١٨، (سيشار إليه بـ هندي: الجيش العربي).

(٢) الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٣١؛ البكري: المغرب، ص٢٩- ٣٠.

(٣) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص٣٠٣. ٣٠٤؛ الدشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٥٣٠؛ جمال الدين، عبد الله محمد: الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩١م، ص٥٨، (سيشار إليه بـ جمال الدين: الدولة الفاطمية)؛ أيوب: التاريخ الفاطمي، ص١٤٠.

(٤) العدوي، إبراهيم أحمد: الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د، ت)، ص١١٥، (سيشار إليه بـ العدوي: الأساطيل العربية)؛ تامر: تاريخ الإسماعيلية، ج١، ص٢٦٥.

الشواني[١]، والحراريق[٢]، والطرائد[٣]، والشلنديات[٤]، والحمالات[٥]، وغير ذلك من السفن الفاطمية[٦].

وظل الاهتمام بالأسطول الفاطمي متواصلاً في عهد الخلفاء الفاطميين ليصل إلى ذورته في عهد الخليفة المعز لدين الله. حيث نهض بالجيش والبحرية، مما كان له أثر بعيد المدى على فتوحات الفاطميين ومواجهة خصومهم الأندلسيين، وما تم تحقيقه من توسيع رقعة الدولة في مصر وبلاد الشام وصولاً إلى الحجاز.

(١) الشواني: جمع شونة، وهي من أهم السفن الحربية تمتاز بأبراج دفاعية وهجومية، كما يوجد فيها خزانات تحتوي على الطعام والحبوب والماء. مدحت، أحمد: سفن الأسطول الإسلامي، د. ت، ص٣٦١، (سيشار إليه بـ مدحت: سفن الأسطول).

(٢) الحراريق: جمع حراقة وهي مراكب حربية كبيرة يحملون فيها المدافع والمنجنيقات التي ترمي العدو بالنفط والسهام. مدحت: سفن الأسطول، ص٣٦٢؛ سرور: تاريخ الدولة الفاطمية، ص١٣٤.

(٣) الطرائد: سفن كبيرة مخصصة لحمل الخيل وغيرها. مدحت: سفن الأسطول، ص٣٦٣.

(٤) الشلنديات: سفن حربية كبيرة تستخدم لحمل العتاد والجند. مدحت: سفن الأسطول، ص٣٦٣.

(٥) الحمالات: مراكب حربية تحمل الذخيرة وزاد الرجال، كما تحمل صناع المراكب لإصلاحها عند الزوم. مدحت: سفن الأسطول، ص٣٦٤.

(٦) المقريزي: الخطط، ج١، ص٣٩٦؛ بوراس: الأوضاع الاجتماعية، ص٤٨.

الفصل الثاني

الصراع الفاطمي الأموي في الحوض الغربي للبحر المتوسط

الفصل الثاني

الصراع الفاطمي الأموي في الحوض الغربي للبحر المتوسط

أولاً- أوضاع الأندلس قبيل قيام الدولة الفاطمية

ثانياً- الطرق التي استخدمها الفاطميون في صراعهم مع الأمويين

١. محاولات الفاطميين نشر المذهب الإسماعيلي في الأندلس

٢. إعلان الخلافة الأموية في الأندلس وأثرها في الصراع

٣. دعم الفاطميين للثورات التي قامت في الأندلس ضد الأمويين

٤. محاولات الفاطميين السيطرة على بلاد المغرب (الأوسط والأقصى)

ثالثاً- الأساليب التي استخدمها الأمويون في صراعهم مع الدولة الفاطمية

١- إعلان الخلافة الأموية في الأندلس وأثرها في الصراع

٢- بناء قوة بحرية

٣- موقف الأمويين لمن خرج عن طاعة الفاطميين في المغرب العربي

٤- تأييد الأمويين للثائرين على الفاطميين في بلاد المغرب العربي

٥- السيطرة على الثغور المغربية المطلة على مضيق جبل طارق

٦- تحالف الناصر مع أعداء الدولة الفاطمية

رابعاً- الصراع البحري بين الفاطميين والأمويين

الفصل الثاني

الصراع الفاطمي الأموي في الحوض الغربي للبحر المتوسط

أولاً- أوضاع الأندلس قبيل قيام الدولة الفاطمية:

يُعدّ فتح الأندلس (إسبانيا والبرتغال اليوم)، مرتبطاً بفتح شمال إفريقية الذي استغرق فتحه حوالي سبعين سنة، أي من سنة ٢٣ – ٨٩ هـ/ ٦٤٣- ٧٠٧م، وجاء هذا الفتح تتويجاً لجهاد العرب الطويل من جهة، ومتصل بالظروف السياسيّة والاجتماعيّة والدينيّة التي عاشتها إسبانيا قبل الفتح من جهة ثانية(١).

ويعود الفضل في فتح الأندلس للقائد موسى بن النصير(٢)، ومولاه طارق بن زياد(٣)، سنة ٩٢هـ/ ٧١١م، وقد تمت مراحل الفتح بدقة وتنظيم، وهذا يدل على أن فكرة الفتح الشامل للأندلس كانت موجودة فعلاً عند العرب منذ بدايات الفتح العربي في المغرب(٤).

---

(١) ابن عذاري: البيان، ج١، ص٤٣ – ٤٤؛ الغامدي، خالد بن ناصر: الصراع العقائدي في الأندلس، مكتبة الكوثر، ط١، الرياض، ١٤٢٩هـ، ص٢٩، (سيشار إليه بـ الغامدي: الصراع).

(٢) موسى بن النصير: هو موسى بن عبد الرحمن بن زيد اللخيمي، أبو عبد الرحمن، فاتح الأندلس، أصله من وادي القرى بالحجاز، كان أبوه نصير حارساً لمعاوية بن أبي سفيان، نشأ موسى في دمشق، وولي غزو البحر فغزا قبرص ثم إفريقية وفتح الأندلس، توفي سنة ٩٧هـ/ ٧١٥م. ابن خلكان: وفيات، ج٥، ص٣١٨- ٣١٩؛ الحميدي: محمد بن أبي نصر: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية، القاهرة، ١٩٦٦م، ص٣٣٨، (سيشار إليه بـ الحميدي: جذوة المقتبس)؛ الزركلي: الأعلام، ج٧، ص٣٣٠.

(٣) طارق بن زياد: الليثي بالولاء، أصله بربري أسلم على يد موسى بن النصير، وكان من أقوى رجاله، أرسله إلى الأندلس وتمكن من فتحها، ولما اكتمل الفتح ولاه موسى على طنجة. الضبي، أحمد بن يحيى: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م، ص٣٢٨، (سيشار إليه بـ الضبي: بغية الملتمس)؛ الزركلي: الأعلام: ج٣، ص٢١٧.

(٤) البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى: فتوح البلدان، تح: عبد الله الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٨٧م، ص٣٢٣، (سيشار إليه بـ البلاذري: فتوح البلدان)؛ كولان، ح. س: الأندلس، تر: إبراهيم خورشيد؛ وآخرون، دار الكتاب اللبناني، ط١، بيروت، ١٩٨٠م، ص١١٣- ١٦٦، (سيشار إليه بـ كولان: الأندلس).

وقد أدى الفتح إلى تغيير الأوضاع السياسيّة والعسكريّة والاقتصاديّة والإدارية والدينية في الأندلس تغييراً جذرياً، وحصل المسلمون على إقليماً جديداً أضافوه إلى رقعة الدولة الإسلامية، ناقلين هذا الإقليم من مرحلة مضطربة إلى مرحلة أكثر أمناً واستقراراً[١].

بعد إتمام فتح الأندلس عاد موسى بن نصير إلى المشرق سنة ٩٥هـ/ ٧١٣م، وترك على الأندلس ابنه عبد العزيز بن موسى، ليكون أول والٍ حكم الأندلس بعد الفتح. وبدأ في الأندلس ما يعرف بعصر الولاة: ٩٥ – ١٣٨هـ/ ٧١٤ – ٧٥٥م، وفي هذا العصر كانت الأندلس ولاية عربية تابعة للخلافة الأموية في الشام، وتعاقب في حكمها حوالي عشرين والياً، أولهم عبد العزيز بن موسى بن النصير، وآخرهم يوسف بن عبد الرحمن الفهري[٢].

وشهد هذا العصر أوضاعاً داخلية مضطربة، لأن الفتح حمل في طياته البذور الجنينية للخلافات الخطيرة، بما انضوى تحته من عناصر ذات أهواء وميول متنافرة من عربية وبربرية ومولدين[٣]

---

(١) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢٨٩– ٢٩٠؛ زيتون، محمد: المسلمون في المغرب والأندلس، دار الكتب، القاهرة،١٩٩٠م، ص١٨١– ١٨٦، (سيشار إليه بـ زيتون: المسلمون)؛ الغامدي: الصراع، ص٣٠– ٣٣.

Dozy: R. Histoire des Musulmans, d hglv; f hgthans D'Espagne, (Leyden –1932), Vol.2, Pp228– 230.

(٢) ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله: فتوح مصر والمغرب، تح: عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د. ت، ج١، ص٢٧٥–٢٨٠، (سيشار إليه بـ ابن عبد الحكم: فتوح مصر).

(٣) المولدون: هم مجموعة من سكان الأندلس الذين اعتنقوا الإسلام، وهذا الجيل ظهر نتيجة الزواج بين الغرب والأندلسيين، فأما أن يكون الأب عربي والأم أندلسية أو بالعكس، فأنجبوا جيل المولدين، وعوملوا معاملة المسلمين في الحقوق والواجبات، وهؤلاء قاموا بثورات أدت إلى قيام دول الطوائف الأولى. السامرائي، خليل؛ وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، الكتاب الجديد، ط١، ليبيا، ٢٠٠٠م، ص١٢١، (سيشار إليه بـ السامرائي: تاريخ العرب)؛ عنان، محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، ط٤، القاهرة، ١٩٩٧م، ج١، ص٢٧، (سيشار إليه بـ عنان: دولة الإسلام)؛ أحمد، علي: دور المولدين في الدولة العربية بالأندلس، مجلة دراسات تاريخية، العدد ١٢٥–١٢٦، ص٩٥– ١١٤، دمشق، ٢٠١٤م، (سيشار إليه بـ أحمد: دور المولدين).

ومستعربين[١].

يضاف إلى ذلك أن سيطرة الخلافة الأموية على الأندلس خلال عصر الولاة كانت اسمية حتى أن كثيراً من الولاة قتلوا أو عزلوا أو تسلموا الولاية بدون أمر الخلافة[٢].

وعندما سقطت الخلافة الأموية في دمشق، خرجت شمال أفريقيا والأندلس من يد الأمويين لتخضع للخلافة العباسية في بغداد سنة ١٣٢هـ /٧٤٩م[٣].

وأخذ العباسيون يتعقبون أفراد البيت الأموي بشتى الطرق، ولم يفلت من قبضتهم إلا القليل، ومنهم عبد الرحمن بن معاوية[٤]. الذي عبر نهر الفرات متجهاً إلى فلسطين ومنها إلى مصر ثم إفريقية، وأخذ يتنقل من برقة إلى تاهرت إلى مكناسة، حتى استقر به المطاف أخيراً عند أخواله من قبيلة نفزة القاطنة بين سبتة وطنجة[٥]، وفي هذا المكان القريب من الأندلس أخذ

---

(١) المستعربون: وهم من سكان الأندلس الذين لم يغادروا المناطق التي آلت للمسلمين مع احتفاظهم بدينهم وهم أهل الذمة، وسموا كذلك لامتزاجهم بالحضارة الإسلامية. السامرائي: تاريخ العرب، ص١٢٣؛ عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٢٧٠؛ أحمد: دور المولدين، ص ٩٥- ١٠٠.

(٢) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص٢٣- ٢٤؛ زيتون: المسلمون، ص١٩١؛ الشطشاط، على حسين: تاريخ الإسلام في الأندلس، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠١م، ص٦١، (سيشار إليه بـ الشطشاط: تاريخ الإسلام).

(٣) ابن الخطيب: رقم الحلل، ص٤١؛ الشطشاط: تاريخ الإسلام، ص٨٧.

(٤) عبد الرحمن الداخل: هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أبي أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، ولد بدير حنين بدمشق سنة ١١٢هـ/٧٣٠م، توفي أبوه وهو طفل فكفله جده هشام، ثم عمه سليمان، كان شاعراً فصيحاً وفارساً شجاعاً، وهو أول من ملك الأندلس، وبقي في الحكم حوالي ثلاثاً وثلاثين سنة، عرف بعدة ألقاب، منها: عبد الرحمن الأول، وعبد الرحمن الداخل، وصقر قريش، دخل الأندلس سنة ١٣٨هـ / ٧٥٥م، توفي سنة ١٧٢هـ/ ٧٨٨م. ابن عذاري: البيان، ج٢، ص٤٠-٤١؛ ابن الأبار: الحلة، ج١، ص٣٥- ٣٨؛ الذهبي: سير، ج٨، ص٢٤٤-٢٤٥؛ المقري: نفح الطيب، ج٣، ص٢٧؛ مؤلف مجهول: ذكر بلاد الأندلس، تح: لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، ١٩٨٣م، ج١، ص١٠٩، (سيشار إليه بـ مؤلف مجهول: ذكر بلاد الأندلس)؛ الصفدي: الوافي، ج١٨، ص١٦٧؛ الصوفي، خالد: تاريخ العرب في الأندلس (عصر الإمارة)، منشورات جامعة قار يونس، ط٢، ١٩٨٠م، ص٤٣-٤٤، (سيشار إليه بـ الصوفي: تاريخ العرب).

(٥) مؤنس، حسين: موسوعة تاريخ الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، القاهرة، ١٩٩٦م، ج١، ص٤٧-٤٨، (سيشار إليه بـ مؤنس: موسوعة)؛ السامرائي: تاريخ العرب، ص٨٧-٨٩؛ زكار، سهيل: الموسوعة=

عبد الرحمن بمراقبة الأوضاع في ظل الصراع الدامي بين القيسية واليمانية، ثم أخذ يدعو لنفسه في البلاد، حين أرسل مولاه بدراً إلى كل من يوالي بني أمية في الأندلس، وذلك لأجل إقامة دولة أموية جديدة فيها. وحين طلب بدر المساعدة من زعيم القيسية الصميل[١]، اعتذر عن قبول عرضه، في حين لاقى قبولاً واستعداداً للمساعدة من قبل اليمنية[٢].

وبعد اتفاق بدر مع زعماء اليمنية، وعلى رأسهم أبو عثمان عبيد الله بن عثمان، عقد اللواء لبني أمية في الأندلس بقيام دولتهم من جديد، حيث أعطى اليمنية لبدر سفينة ومبلغاً من المال توجه بهما إلى سبتة، حيث ينتظره عبد الرحمن بفارغ الصبر، وما إن علم بما حصل عليه بدر، وما حقق من نجاح ودعم في الأندلس حتى عجل عبد الرحمن في ترك المغرب والتوجه إلى الأندلس، راكباً البحر إلى بلادٍ لم تطأها قدماه من قبل، وعندما وصل إلى ميناء المنكب[٣]، سنة ١٣٨هـ/ ٧٥٠م، استقبل هناك من قبل مناصريه والراغبين بحكمه، وعلى

=الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، (المغرب والأندلس والبحر المتوسط)، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥م، ج٢، ص٦٤، (سيشار إلية بـ زكار، الموسوعة).

(١) الصميل: هو الصميل بن حاتم بن عمر بن جذع بن شمر بن ذي الجوشن الضبابي، شيخ المضرية في الأندلس، قدم الأندلس في أمداد الشام أيام بني أمية، أصبح وزيراً لآخر ولاة الأندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهري، واستطاع الصميل أن يقود حرباً على الوالي أبي الخطار حسام بن خرار الكلبي، انتهت بمقتل الأخير، وهزيمة مؤيدية، الذين ينتمون إلى القبائل اليمنية. ابن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني: الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢٤هـ، ج٣، ص١١، ٢٦٤، (سيشار إليه بـ ابن الخطيب: الإحاطة)؛ الزركلي: الأعلام، ج٣، ص٢٠٩.

(٢) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص٤٢- ٤٣؛ المقري: نفح الطيب، ج٣، ص٣٠؛ زيتون: المسلمون، ص٢٤٢- ٢٤٣.

(٣) المنكب: بلد على ساحل جزيرة الأندلس الجنوبي الشرقي، من أعمال البيرة، بينه وبين غرناطة أربعون ميلاً، وهي اليوم مصيف مدينة غرناطة. الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢١٦؛ البغدادي: مرصد الاطلاع، ج٣، ص١٣٢٤؛ الحميري: محمد بن عبد المنعم: صفة جزيرة الأندلس (منتخبه من كتاب الروض المعطار)، تصحيح: ليفي بروفنسال، دار الجيل، ط٢، بيروت، ١٩٨٨م، ص١٨٦، (سيشار إليه بالحميري: صفة)؛ خطاب، محمود شيت: قادة فتح الأندلس، دار منار، ط١، د. م، ٢٠٠٣م، ج١، ص٧٧، (سيشار إليه بـ خطاب: قادة فتح الأندلس)؛ موقع الإسلام : تعريف بالأعلام، ج١، ص٢٦٤.

رأسهم أبو عثمان عبيد الله، وصهره عبيد الله بن خالد، فنقلاه بعد وصوله إلى قرية طرش[١]، وهناك توالت عليه الوفود الأموية، ثم أخذ يعد العدة للدخول إلى قرطبة[٢]، بعد أن أخذ البيعة من جنود الأردن، وحمص، وفلسطين، والبربر، ومن يوالي بني أمية[٣].

وحين علم الصميل ويوسف الفهري والي الأندلس بالاستعدادات التي كان يقوم بها عبد الرحمن، حاولوا الوقوف بوجهه مستخدمين كافة الوسائل لإخضاعه وجعله تحت إمرتهم، لكن عبد الرحمن كان يدرك ما كان يخطط له هؤلاء من زرع الفتنة والرغبة في التخلص منه، كما أدرك عبد الرحمن بنظرته الثاقبة أن الأندلس قد عاشت ظروف صعبة في ظل واليها يوسف الفهري، فكثرت الاحتجاجات الداخلية التي كانت رافضة لحكمه، فضلاً عن تقاعس جيشه الذي أنغمس في الملذات، ولم يكن مستعداً لحمل السلاح للدفاع عن يوسف الفهري[٤].

في هذه الأثناء تمكن عبد الرحمن من تكوين جيش، وقد عسكر في طرش ثم اتجه صوب قرطبة وعلى مشارفها التقى الطرفان، حيث جرت بينهما مداولات حول الصلح، لكن عبد الرحمن أعلن أن لا صلح بدون إعلانه أميراً على بلاد الأندلس، فقامت الحرب بين الطرفين في شهر ذي الحجة سنة ١٣٨هـ/ أيار ٧٥٦م، عند المصادرة[٥]، وانتهت المعركة بنصر حاسم

---

(١) طرش: منطقة في الأندلس تضم مجموعة من القرى. الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٢٩؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، ج٢، ص٨٨٤.

(٢) قرطبة: هي عاصمة الأندلس الأموية، تقع في وسط الأندلس على ضفاف نهر الوادي الكبير، تعد مركزاً ثقافياً وسياسياً واقتصادياً، وإليها ينسب الكثير. البغدادي: مراصد الاطلاع، ج٣، ص ١٠٧٨؛ القزويني: آثار، ص٥٥٢؛ الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٣٢٤.

(٣) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص٤٤- ٤٦؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٢٧- ٣٢٨؛ مؤلف مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ج١، ص١١١- ١١٢؛ مؤنس: موسوعة، ج١، ص٤٩- ٥٠؛ الصوفي: تاريخ العرب، ص٢٧- ٣١.

(٤) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص٤٥- ٤٦؛ المقري: نفح الطيب، ج٣، ص٢٩ -٣١؛ الصوفي: تاريخ العرب، ص٣٠- ٣٢؛ نعنعي، عبد المجيد: تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، (التاريخ السياسي)، دار النهضة العربية، بيروت، د. ت، ص١٤٣- ١٤٤، (سيشار إليه بـ نعنعي: تاريخ الدولة الأموية).

(٥) المصادرة: هي الأميدة، والأميدة: تعني بالإسباني شجر الصفصاف أو الحور، تقع في الجنوب الغربي من قرطبة على الوادي الكبير. موقع الإسلام: تعريف بالأعلام، ج١، ص٦١.

لعبد الرحمن وخسارة الصميل ويوسف الفهري، ودخل عبد الرحمن الداخل قرطبة معلناً نفسه أميراً على الأندلس[١].

أصبح عبد الرحمن صقر قريش[٢] أميراً للأندلس كلِّه دون منازع، وانتهى على يديه العصر الأول ألا وهو عصر الولاة، ليؤسس عصراً جديداً عرف بعصر الإمارة، وتعاقب عليه عدد من الأمراء[٣]، واستمرت هذه الإمارة حتى سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٩م، كانت الأندلس خلالها مستقلة سياسياً وإدارياً عن الخلافة العباسية في المشرق، بل توترت العلاقات بينهما أحياناً[٤].

أما الأمراء الذين جاؤوا بعد عبد الرحمن الداخل لم يكونوا جميعاً على مستوى واحد من القدرة والتمكين في أمور السياسة والحكم، فمنهم من قام بدورٍ كبير في مرحلة التأسيس والتوطيد لهذا العصر، كالأمير عبد الرحمن الداخل، وابنه هشام وحفيده الحكم الأول[٥]، كما

---

(١) مؤلف مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ج١، ص١١٣- ١١٤؛ مؤنس: موسوعة، ج١، ص٤٩؛ الشطشاط: تاريخ الإسلام، ص٩١- ٩٤؛ الصوفي: تاريخ العرب، ص٤١.٣٦؛ نعنعي: تاريخ الدولة الأموية، ص١٤٥- ١٤٧.

(٢) صقر قريش: لقب أطلقه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور على عبد الرحمن بن معاوية، لما فيه من الشجاعة والذكاء والأفعال الحميدة، فقد جعل أعدائه يمدحونه قبل أصدقائه. ابن عذاري: البيان، ج٢، ص٥٩- ٦٠؛ السويدان، طارق: الأندلس التاريخ المصور، الإبداع الفكري، ط١، الكويت، ٢٠٠٥م، ص٨٦، (سيشار إليه بـ السويدان: الأندلس).

(٣) هم: عبد الرحمن الداخل: ١٣٨- ١٧٢هـ / ٧٥٥- ٧٨٨م، هشام الأول بن عبد الرحمن: ١٧٢- ١٨٠هـ /٧٨٨- ٧٩٦م، الحكم الأول بن هشام: ١٨٠- ٢٠٦هـ / ٧٦٩- ٨٢٢م، عبد الرحمن الثاني بن الحكم: ٢٠٦- ٢٣٨هـ /٨٢٢- ٨٥٢ م، محمد الأول بن عبد الرحمن: ٢٣٨- ٢٧٣هـ /٨٥٢- ٨٨٦م، المنذر بن محمد: ٢٧٣- ٢٧٥هـ /٨٨٦- ٨٨٨م، عبد الله بن محمد: ٢٥٧- ٣٠٠هـ /٨٨٨- ٩١٢م، وأخيراً عبد الرحمن الثالث بن محمد: ٣٠٠- ٣٥٠هـ /٩١٢- ٩٦١م، وفي عهده أعلنت الخلافة الإسلامية في الأندلس عام ٣١٦هـ/ ٩٢٨م. الشطشاط: تاريخ الإسلام، ص٢٢٣؛ العسيري، أحمد معمور: موجز التاريخ الإسلامي، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، الدمام، ١٩٩٦م، ص١٩٨، (سيشار إليه بالعسيري: موجز).

(٤) المراكشي، محي الدين عبد الواحد: تاريخ الأندلس، المسمى: المعجب في تلخيص أخبار الأندلس، مطبعة السعادة، مصر، د. ت، ص١١-١٢، (سيشار إلية بـ المراكشي: تاريخ الأندلس).

(٥) المراكشي: تاريخ الأندلس، ص١٣.

امتاز عبد الرحمن الثاني بالحكمة ورجاحة العقل، وأوصل البلاد إلى الاستقرار والازدهار السياسي والحضاري والاقتصادي[١].

بينما انشغل الأمراء الآخرون بالفتن والثورات التي كانت تقوم من قبل مختلف الشرائح الاجتماعية التي تعيش في البلاد، وسميت هذه الحقبة بعصر دويلات الطوائف الأولى، حيث تميزت بكثرة الاضطرابات السياسيّة، وقيام الثورات في أنحاء الأندلس، وانحسار سلطة المركز على قرطبة، وتمزق وحدة الأندلس، وعدم التجانس بين السكان، هذه التحديات الداخلية أعطت التحديات الخارجية فرصة سهلة لتحقيق ما كانت تطمح إليه من التوسع على حساب سيادة الأندلس[٢].

هذه الظروف العصيبة التي عاشتها الدولة العربية في الأندلس جعلت كل شخصيات بني أمية الطامعين بالحكم وغيرهم، تواقين بالإجماع ودون اتفاق مسبق إلى مساندة كل شخصية يرون فيها الخصال التي تعيد مكانة الدولة السابقة داخلياً وخارجياً، فكان عبد الرحمن الثالث[٣] أقرب الشخصيات إلى هذه المواصفات، فتمت بيعته في نفس اليوم الذي توفي فيه جده عبد الله ابن محمد سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م[٤].

---

(١) حسن: تاريخ الإسلام، ج٢، ص١٩٧.

- Levi- Provencal: Histoire des Musulmans, de l'Espagne, (Publiee en Espagnol Par, R. Menendez Pidal dans " Historia de Espana" T IV et V, Madrid, 1957). p. 129.

(٢) العبادي: في التاريخ العباسي والأندلسي، ص٣٦٦.

(٣) عبد الرحمن الثالث: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، كنيته أبو المطرف، لقبه الناصر لدين الله، ولد سنة ٢٧٧هـ/ ٨٩١م، قتل أبوه فكفله جده عبد الله، واسكنه معه دار الإمارة فبرع في الأدب والعلوم الدينية، وفي فنون الحرب والقتال. وهو أول من تسمى خليفة من ملوك الأندلس، وقد استتب له الأمر، ودانت له البلاد وازدهرت في عهده. ابن عذاري: البيان، ج٢، ص١٥٦؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٤٧٦- ٤٧٧؛ العسيري: موجز، ص١٩٧؛ نعنعي: تاريخ الدولة الأموية، ص٣١٥؛ زيدان، جرجي: عبد الرحمن الناصر، دار الهلال، القاهرة، ١٩٨٤م، ص ٥- ٦، (سيشار إليه بـ زيدان: عبد الرحمن).

(٤) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص١٥٧.

اعتلى الأمير عبد الرحمن الثالث عرش الأندلس، وكانت البلاد مضطربة بسبب كثرة الثائرين، وممتلئة بالفتن والاضطرابات، لهذا أصدر عبد الرحمن منشوراً عاماً وجهه إلى الثائرين والخارجين على السلطة[١]، أكد فيه على التسامح وإسقاط كافة الجرائم التي اقترفت بحق الدولة، والعودة إلى الجماعة، والخضوع للسلطة المركزية، وإعادة كافة الحقوق المشروعة لأصحابها، في الوقت نفسه هدد وتوعد بالحرب كل من يرفض العودة إلى حضن الدولة، ويبقى يعبث بأمن البلاد ويتحالف مع القوى الأجنبية ضد الدولة[٢].

فأرسل الكتب إلى العمال في جميعا أرجاء الأندلس يطلب منهم تنفيذ ما جاء في المنشور، فقد جاء المنشور في الوقت المناسب، عندما ملت الناس الفتن والحروب الداخلية الطويلة التي أوقعت البلاد بأزمات كثيرة، لذلك سارع الكثيرون إلى الخضوع لعبد الرحمن، بينما بقيت جماعات أخرى متمردة لم تعلن خضوعها، وعلى رأسهم بني حفصون[٣].

وما أن مضى على استلام الناصر السلطة عدة أيام حتى بدأ يرسل الكتائب، ويقود الحملات، ويفتح الحصون، ويقضي على الثورات، واستمر في ذلك حتى أعاد للأندلس وحدتها وسيادتها، وأعاد الأمن والاستقرار للبلاد[٤].

---

(١) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص١٥٨- ١٦١؛ السويدان: الأندلس، ص١٦٨؛ مسعد، سامية مصطفى: العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية، عين للدراسات، ط١، مصر، ٢٠٠٠م، ص٢٠، (سيشار إليه بـ مسعد: العلاقات).

(٢) ابن الخطيب، محمد بن عبد الله: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الأندلس (تاريخ إسبانيا الإسلامية)، تح: إ . ليفي بروفنسال، دار المكشوف، ط٢، بيروت، ١٩٥٦م، ص٢٨- ٣٠، (سيشار إليه بـ ابن الخطيب: أعمال)؛ الفقي: تاريخ المغرب والأندلس، ص١٩٤- ١٩٥.

(٣) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص١٥٧؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص١٧٦؛ العبادي: المغرب والأندلس، ص١٨٠؛ طقوش، محمد سهيل: تاريخ المسلمين في الأندلس، دار النفائس، ط١، بيروت،٢٠٠١م، ص٣١١- ٣١٣، (سيشار إليه بـ طقوش: تاريخ المسلمين)؛ محمد، محمد الأمين؛ ومحمد الرحماني: المفيد في تاريخ المغرب، دار الكتاب، الدار البيضاء، د. ت، ص٧٩، (سيشار إليه بـ محمد: المفيد).

(٤) ابن الخطيب: رقم الحلل، ص٤٢؛ الحميدي: جذوة المقتبس، ج١، ص١٢- ١٣؛ مسعد: العلاقات، ص٢٣؛ سالم، عبد العزيز: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٥م، ص١٤- ١٥، (سيشار إليه بـ سالم: في تاريخ)؛ عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٣٧٥- ٣٧٦.

توفي الناصر سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م، وأستلم من بعده ابنه الحكم المستنصر الذي اتسم عهده بالسلام، إذ لم يحدث في عهده من القلاقل والاضطرابات ما حدث في عهد أبيه، وذلك لأن هيبة والده ظلت عالقة بأذهان الناس، فبلغت الأندلس أعظم درجات الرقي والحضارة، وقويت العلاقات بالدول الأجنبية، وتقدمت البلاد في كل المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية ...الخ[١].

ثانياً- الأساليب التي استخدمها الفاطميون في صراعهم مع الأمويين:

اتسمت العلاقات بين الدولة الأموية في الأندلس والدولة الفاطمية في المغرب العربي بالعدائية، وهذه العلاقة استمرار للنزاع القديم الذي قام في المشرق بين العلويين والأمويين، كما أن الأسرتين الفاطمية والأموية قد وفدتا من المشرق إلى بلاد المغرب، وبدأ كل طرف يسعى للدفاع عن ذاته عن طريق التوسع في مناطق الطرف الآخر، مستخدماً كل الطرق والأساليب لتحقيق أهدافه.

ولا شك بأنّ قيام دولتين متجاورتين على أُسس مذهبيّة مختلفة كان كافياً بأن يسبب صداماً سياسيّاً وعسكريّاً وفكريّاً وثقافيّاً بينهما، وحسب رواية القاضي النعمان فإن الصراع الفاطمي الأموي يتصف بصفتين: الأولى عسكرية، والثانية دعائية سياسية مذهبية، فقد استخدم الفاطميون في هذا الصدام طرقاً مختلفة منها:

١. محاولات الفاطميين نشر المذهب الإسماعيلي في الأندلس:

من المعروف أن الدولة الفاطمية منذ قيامها أو قبل ذلك، اعتمدت على الدعاة المهرة الذين تم اختيارهم من العلماء لنشر مذهبها الإسماعيلي، في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وخاصة في الشمال الإفريقي والأندلس، فكانت تعتمد بالدرجة الأولى على الدعاية من جهة، والجاسوسية من جهة ثانية، لمعرفة الأحوال السياسية والاقتصادية والدينية للبلد الذي تنوي السيطرة عليه، وهؤلاء الدعاة والجواسيس كانوا يخفون أهدافهم الحقيقية بستار مشروع، كالعلم

(١) ابن الأبار: الحلة، ج١، ص٢٠٠- ٢٠١؛ ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٧٠؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٨٢؛ الحميدي: جذوة المقتبس، ج١، ص١٣؛ زكار: الموسوعة، ج٢، ص١٠٠.

أو التجارة أو السياحة. ويتمتعون بالمهارة والخبرة، وهذا ما أبعد عنهم عيون الجاسوسيّة، وأدى لتمكينهم من تحقيق أهدافهم[١].

ومن بين الدعاة والجواسيس الذين تم إرسالهم إلى الأندلس من قبل الدولة الفاطمية أبو اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني، المعروف بالرياضي[٢]، كان بارعاً في كل فنون العلم، دخل الأندلس في عهد أميرها محمد بن عبد الرحمن، وأظهر حبه وولاءه لبني أمية، وجلب معه كتاباً مفتعلاً على لسان أهل الشام، قدمه للأمير محمد، لكن الأمير كشف حقيقة نواياه، عندها أدرك أبو اليسر الرياضي أن وجوده في الأندلس أصبح خطيراً [٣]، فغادرها هارباً إلى مصر، وهناك قبض عليه حاكمها أحمد بن طولون ٢٥٤- ٢٧٠هـ / ٨٦٨- ٨٨٣م، عندما علم أنه يعمل لصالح المذهب الإسماعيلي (الفاطمي) وأودع السجن[٤]، وبعد خروجه غادر مصر إلى القيروان، وفيها شغل منصب الكتابة في عهد أميرها إبراهيم بن أحمد بن الأغلب وابنه عبد الله، وتولى إلى جانب الكتابة شؤون بيت الحكمة في عهد زيادة الله الثالث آخر أمراء الأغالبة[٥]. كما أنه شارك أبو عبد الله الشيعي خلال نشاطه الدعوي والعسكري في الشمال الإفريقي، حيث خرج معه إلى سجلماسة لإطلاق سراح عبد الله المهدي من سجن بني

---

(١) العبادي: دراسات، ص٦٥؛ مكي، محمود علي: التشيع في الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٢٤، (سيشار إليه بـ مكي: التشيع في الأندلس).

(٢) الرياضي: أبو اليسر، إبراهيم بن أحمد، من أهل بغداد، تنقل في الشمال الإفريقي وفي الأندلس ثم استقر في القيروان، لقي كثير من المحدثين والفقهاء والنحويين كالجاحظ والمبرد وابن قتيبة، ولقي من الشعراء أبا تمام والبحتري ودعبل وغيرهم، كان عالماً وأديباً وذو خط حسن، له عدة مؤلفات منها: سراج الهدى، لقيط المرجان، قطب الأدب. المقري: نفح الطيب، ج٣، ص١٣٤؛ الفيروزأبادي، محمد بن يعقوب: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، دار سعد الدين، ط١، د. م، ٢٠٠٠م، ص٥٧، (سيشار إليه بـ الفيروزأبادي: البلغة)؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج١، ص١٠.

(٣) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٦٢ – ١٦٣.

(٤) لم تذكر المصادر كيف ومتى تم إطلاق سراحه من السجن، لكن ربما كان أحد رجال العلم في مصر قد توسط له عند ابن طولون فأطلق سراحه. الباحث.

(٥) المقري: نفح الطيب، ج٣، ص١٣٤؛ ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي: التكملة لكتاب الصلة، مطبعة الشرقية للأخوين، الجزائر، ١٩١٩م، ص٢١٠- ٢١١، (سيشار إليه بـ ابن الأبار: التكملة).

مدرار[١]، ولإخلاصه وخدماته التي قدمها للفاطميين جعله عبد الله المهدي كاتبه حتى مات سنة ٢٩٨هـ /٩١٠م.

لم يحقق الرياضي نجاحاً كبيراً في مهمته، إلا أنه نقل إلى الأندلس بعض المؤلفات الأدبية والشيعية التي تأثر بها كثير من أبناء الأندلس[٢].

وبعد موت أبو اليسر الرياضي استعان الفاطميون بداعية آخر هو: أبو جعفر محمد بن أحمد بن هارون البغدادي، سافر عدة مرات إلى الأندلس بستار العلم، ويبدو أنه وفق في مهمته أكثر من أبي اليسر الرياضي[٣]، فقد حصل على معلومات مهمة تتعلق بالأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية في الأندلس، ويظهر أن المهدي أوكل إليه وظيفة ديوان البريد إلى جانب ما كان يتولاه من الكتابة لتجربته ونفعه في أمور الدعوة. هذا النفوذ الزائد لأبي جعفر، جعل بعض كبار الموظفين يشكون من ذلك. وبقي أبو اليسر يتولى المناصب في عهد المهدي وابنه القائم إلى أن توفي[٤].

ولهذا الرجل يعود الفضل في نشر تعاليم الشيعة الفاطميين وأفكار المعتزلة في الأندلس، وأخذ عنه بعض رجال العلم في الأندلس منهم: أحمد بن عبد الله القرشي، ومحمد بن عمر بن عبد العزيز، ونقل كتب أبي عثمان عمرو بن الجاحظ، وأبي محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة[٥].

كما استعان الفاطميون برجل من قرطبة، واسمه محمد بن عبد الله بن مسرة أبي عبد الله القرطبي، ولد سنة ٢٩٦هـ / ٨٨٢م، وغادر الأندلس فاراً إلى المشرق، تفقه على يد المعتزلة

---

(١) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٥٢.

(٢) المقري: نفح الطيب، ج٣، ص١٣٥؛ مكي: التشيع في الأندلس، ص٢٦.

(٣) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٦٣.

(٤) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٩٦.

(٥) ابن الفرضي، عبد الله بن محمد بن يوسف: تاريخ علماء الأندلس، مكتبة الخانجي، ط٢، القاهرة، ١٩٨٨م، ج١، ص٧٤- ٧٥، (سيشار إليه بـ ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس).

والكلاميين وأهل الجدل، ثم عاد إلى الأندلس، كان على اتصال مع الفاطميين الذين طلبوا منه أن ينشئ تنظيماً سرياً لهم في الأندلس، والتف حوله عدد كبير من الأتباع والأصحاب[١].

ومن الدعاة الفاطميين الذين قاموا بدور مهم في الأندلس الرحالة ابن حوقل محمد بن حوقل النصيبي البغدادي الموصلي أبو القاسم، المتوفى سنة ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م، رحالة وجغرافي، رحل إلى بغداد والمغرب وصقلية والأندلس، عرف بالتاجر الموصلي، ودخل الأندلس بحجة التجارة[٢].

ويبدو أن ابن حوقل اهتم بشكل كبير بإقليم الأندلس من خلال ما كتبه عنه في تقريره الموجه إلى الفاطميين، مبيناً فيه أحوال البلاد وأوضاعها السياسيّة والاقتصاديّة والعسكريّة، متحدثاً عن خيرات الأندلس الزراعية والمعدنية والمالية، وواصفاً أهلها وجيشها بالضعف، وعدم القدرة على الدفاع عن وطنهم، وهذا بعض ما جاء في التقرير: ((... وما يقبض من الأموال الوافرة على المراكب الواردة إليهم والصادرة عنهم، والرسوم على بيع الأسواق. ومن أعجب أحوال هذه الجزيرة، بقاؤها على من هي في يده، مع صغر أحلام أهله، وضعف نفوسهم، ونقص عقولهم، وبعدهم من البأس والشجاعة، والفروسية، والبسالة، ولقاء الرجال ومراسي الأنجاد، والأبطال، وعلم موالينا عليهم السلام بمحلها في نفوسها ومقدار جبايتها، ومواقع نعمها، ولذاتها...[٣]. وليس لجيوشهم حلاوة في العين لسقوطهم عن أسباب الفروسية وقوانينها، وإن شُجعت ومرنوا بالقتال فإن أكثر حروبهم تتصرف على الكيد والحيلة، وما رأيت ولا أرى

(١) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج٢، ص٤١؛ الحميدي: جذوة المقتبس، ص٦١؛ حسن؛ وطه: عبيد الله، ص١٥٤- ١٥٥.

(٢) الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٢٦٢؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج٣، ص٥٠٨؛ الزركلي: الأعلام، ج٦، ص١١١.

(٣) ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٠٤- ١٠٥؛ دوزي، زينهرت: المسلمون في الأندلس، تر: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م، ج٢، ص١٢، (سيشار إليه بـ دوزي: المسلمون في الأندلس).

غيري بها إنساناً قط جرى على فرسٍ فارهٍ أو برذون هجين ورجلاه في الركابين ولا يستطيعون ذلك، ولا بلغني عن أحد منهم لخوفهم السقوط وبقاء الرجل في الركاب على قولهم ...))[١].

ومن خلال هذا التقرير يبدو أن هدف ابن حوقل تشجيع الفاطميين على دخول الأندلس لكثرة خيراتها وضعف أهلها عن الدفاع عنها، ولكن يظهر أن مشروعه لم يجد العناية الكافية والتأييد المطلق من جانب الخلافة الفاطمية[٢].

ويتضح من هذا النص مبالغة ابن حوقل في وصف أهل الأندلس، عندما أبعد عنهم الشجاعة والفروسية، علماً أنهم هم أهل الفروسية والحروب، ووصفهم بنقص العقول، وصغر الأحلام، ولو أن أحلامهم صغيرة لما حولوا دولتهم من إمارة إلى دولة خلافة، اعتبروا أنفسهم هم من يمثل الإسلام والمسلمين، فليس من المعقول أن تصل أمه من الأمم إلى هذا المستوى من التخاذل، مع العلم أن الأندلس في المرحلة التي يتكلم عنها ابن حوقل – عصر الخلافة – قد وصلت إلى أعلى درجات التقدم والرقي، وغدت مقصد طلاب العلم من كافة أنحاء العالم، بل وأصبحت مركز للإشعاع العلمي والحضاري آنذاك[٣].

ومما سبق يظهر أن الدعاية الفاطمية في الأندلس لم تحقق النجاح المطلوب، ويعود ذلك ربما إلى:

– ضعف التنظيم السري الفاطمي في الأندلس.

– انتشار المذهب المالكي المتأصل في نفوس الناس.

– انتعاش الحياة الاقتصادية مما جعل الدعاة لا يستفيدون من تردي الأوضاع الاقتصادية، كما جرت العادة أن يستغلوا سخط الناس من تردي الأوضاع لتأليبهم على ولاتهم وإثارة نقمتهم.

---

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٠٨.

(٢) دوزي: المسلمون في الأندلس، ص١٣.

– Levi– Provencal: Histoire des Musulmans, T.2. p. 90.

(٣) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢١٢.

ومع ذلك استطاع الدعاة الفاطميون أن يكسبوا إلى صفوفهم بعض رجال الفكر والشعر[١]، وبعض الثائرين على الحكم الأموي، مثل ابن حفصون، وعلي بن حمدون الجذامي، وغيرهم[٢].

أما الحكومة الأموية في الأندلس لم تقف مكتوفة الأيدي أمام تحركات الفاطميين في المغرب والأندلس، إذ كان لها هي الأخرى عيون وجواسيس منتشرون في أرجاء المغرب، يوافون حكومتهم بما يهمها من أخبار ومعلومات تخص هذه البلاد[٣]، فالخليفة عبد الرحمن الناصر، كان له عيون داخل مقر الخلافة الفاطمية، والدليل على ذلك معرفته بموت الخليفة القائم بأمر الله الفاطمي بعد شهرين من الحدث، على الرغم من إخفاء ولي عهده المنصور خبر وفاته[٤].

٢. إعلان الخلافة الأموية في الأندلس وأثره في الصراع:

منذ أن قامت الدولة الأموية في الأندلس على يد عبد الرحمن الأول المعروف بالداخل، ما تجرأ أحدٌ من بني أمية على منافسة بني العباس في ألقاب الخلافة، بل اكتفوا بلقب الإمارة على الرغم من قوة دولتهم التي أصبح بإمكانها منافسة الدول الإسلامية الكبرى آنذاك في مجال القوة والتقدم.

---

(١) من هؤلاء: ابن أبي المنظور، الذي دخل في خدمة الخليفة الفاطمي المنصور، وابن هانئ الأندلسي الشاعر المعروف الذي طرد من الأندلس ربما لتأييده للفاطميين، والظاهر أنه كان متشبعاً بأفكار المذهب الإسماعيلي، ويدل على ذلك شعره في مدح الخليفة المعز لدين الله الفاطمي وغيرهم. مكي: التشيع في الأندلس، ص٢٨- ٢٩.

(٢) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص٢٤٣.

(٣) بدر: تاريخ المغرب، ص١٥٦- ١٥٧.

(٤) ابن الأبار: الحلة، ج٢، ص٣٩٠- ٣٩١؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص٢١٣؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص٨٢.

ولعل الأمويين رغم تمسكهم بالخلافة، اعتبروا أنفسهم أصحاب الحق دون غيرهم، إلا أنهم رأوها تراثاً لآل البيت ولمن يملك الحرمين، حيث الأماكن المقدسة في مكة والمدينة، كما أنها وحدة لا تتجزأ ولا تتعدد وأن الخروج عنها عصيان[١].

والواضح أنها سياسة حكيمة تميز بها هؤلاء خشية من إثارة الفتنة والخلافات الدينية والمذهبية في العالم الإسلامي، مكتفين بلقب أطلقوه على أنفسهم " أبناء الخلائف" بهدف تبرير أحقيتهم بالخلافة[٢] ومع بداية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وبعد الانتصارات العظيمة التي حققها عبد الرحمن الثالث في إعادة وحدة الأمة، واستعادة هيبة الدولة، والقضاء على الثائرين والمتمردين، ارتفعت مكانته، وكثر مؤيديه وأتباعه، وبدأ الناس ينظرون إليه نظرة البطل الذي حقق لهم ما لم يحققه غيره من الأمراء الأمويين، فاستحق أن يتميز عنهم[٣]، كما وجد عبد الرحمن الثالث أن اللقب الذي توارثه عن أسرته وأجداده لم يعد يتسع لطموحه الكبير، فأعلن نفسه خليفة المسلمين تيمناً بأجداده الأمويين خلفاء دمشق، وأرسل بذلك إلى أقاليم الدولة كافة، يأمرهم بالدعاء له على المنابر باسم أمير المؤمنين الناصر لدين الله[٤]، وعهد إلى صاحب الصلاة الفقهية القاضي أحمد بن مخلد بالدعاء له بالخلافة على منبر المسجد الجامع بقرطبة، وذلك ابتداءً من يوم الجمعة من شهر ذي الحجة سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م، وبذلك انتهى عصر

---

(١) ابن أمير المؤمنين، إسماعيل بن إبراهيم: تاريخ الأندلس من الفتح حتى السقوط، تح: أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص٥٢، (سيشار إليه بـ ابن أمير المؤمنين: تاريخ الأندلس)؛ الحسن، حمزة السر محمد: الصراع الأندلسي الفاطمي في بلاد المغرب، المجلة الليبية العالمية، العدد ١٤، ص٤، ليبيا، ٢٠١٧م، (سيشار إليه بـ الحسن: الصراع).

(٢) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢١٣؛ حسن: تاريخ الإسلام، ج٣، ص٢٦٠.

(٣) ابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن حبيب الأندلسي: العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ، ج٥، ص٢٤١– ٢٤٢، (سيشار إليه بـ ابن عبد ربه: العقد الفريد)؛ العبادي: أحمد مختار: في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت، د. ت، ص٣٧٩، (سيشار إليه بـ العبادي: في التاريخ العباسي والأندلسي).

(٤) ابن الأبار: الحلة، ج١، ص١٩٨– ١٩٩؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص١٩٨ح زيدان: عبد الرحمن، ص١– ٢؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٥٣.

الإمارة وبدأ عصر الخلافة الذي استمر في عهده وعهد خلفه من بعده، حتى انتهت دولتهم سنة ٤٢٢هـ/ ١٠٣١م[١].

أما نص الوثيقة الرسمية التي صدرت بخلافة عبد الرحمن الناصر، فقد جاء فيه: " بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على نبيه محمد الكريم، أما بعد: فإن أحق من استوفي حقه، وأجدر من استكمل حظه، ولبس من كرامة الله تعالى ما ألبسه، فنحن للذي فضلنا الله به. أظهر أثرتنا فيه، ورفع سلطاتنا إليه، ويسر على أيدينا دركه، وسهل بدولتنا مراحه، وللذي أشاد في الآفاق من ذكرنا، وأعلى في البلاد من أمرنا، وأعلن من رجاء العالمين بنا، وأعاد من انحرافهم إلينا، واستبشارهم بدولتنا والحمد لله ولي النعمة بما أنعم به، وأهل الفضل بما تفضل علينا فيه وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين، وخروج الكتب عنا وورودها علينا بذلك، إذ كل مدعو بهذا الاسم غيرنا منتحل له، ودخل فيه، ومتسم بما لا يستحقه، وعلمنا أن التمادي على ترك الواجب لنا من ذلك حق أضعناه، واسم ثابت أسقطناه... "[٢].

وهكذا اتخذ عبد الرحمن الناصر سمة الخلافة عن يقين بأفضلية وأولوية حقه وحق أسرته، وتسمى بأمير المؤمنين الناصر لدين الله، هذا القرار الخطير الذي أعلنه عبد الرحمن الناصر كان نتيجة مستجدات القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، السياسية والجغرافية، فضلاً عن عوامل داخلية وخارجية أخرى منها:

– رغبة أهل الأندلس منح أميرهم لقب الخلافة تقديراً لجهوده في توحيد البلاد، وخاصة بعد وجود خلافتين في العالم الإسلامي، فلا مانع من قيام خلافة ثالثة في الأندلس[٣].

---

(١) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص١٥٧؛ ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف: المقتبس لابن حيان القرطبي، نشر: ب. شالميتا، تح: ف. كورينطي؛ وآخرون، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، ١٩٧٩م، ج٥، ص٢٤١– ٢٤٢، (سيشار إليه بـ ابن حيان: المقتبس)؛ مؤنس: معالم، ص٣٧٢. مصطفى، شاكر: الأندلس في التاريخ، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٠م، ص٤٣، (سيشار إليه بـ مصطفى: الأندلس).

(٢) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص١٩٨؛ مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ط١، تونس، ١٩١١م، ص٢٠، (سيشار إليه بـ مؤلف مجهول: الحلل الموشية)؛ سالم: في تاريخ، ص٣٢٣– ٣٢٤؛ عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٤٣٠.

(٣) الذهبي: سير، ج٨، ص٢٦٥– ٢٦٦.

– أن لقب الخلافة يعطي للعاصمة قرطبة دوراً أكثر مركزية، لما له من أهمية في اشتداد قبضتها على أطراف الدولة، وقمع أي تحرك انفصالي بالسرعة القصوى، لأنه يعد خروجاً على طاعة أمير المؤمنين.

– استعادة وحدة الأندلس السياسيّة والوطنيّة بعد الكفاح الطويل الذي انتهى بالقضاء على جميع الثائرين والمتمردين، وإن لقب الأمير لم يعد له حرمة بعد أن تلقب به معظم الخارجين على السلطة الأموية، وبذلك ضعفت مكانة الأمير الأموي السياسيّة والدينيّة، وأصبحت الحاجة ملحة لرفع هذه المكانة من خلال اتخاذ لقب الخلافة(١).

– إدراك عبد الرحمن الناصر بأحقيته بالخلافة، وأنه قادر على إحياء الخلافة الأموية المشرقية باعتباره الوريث الشرعي لها(٢).

– ضعف الخلافة العباسية في بغداد، وتحكم العناصر الأجنبية بها، حيث سيطر الأتراك على السلطة، وأصبحوا أصحاب الكلمة النافذة في الدولة غير مهتمين بالخلافة بوصفها لقباً له حرمته، ولا بالخليفة بوصفه صاحب سلطة دينيّة وزمنيّة، هذا الأمر أدى إلى استقلال بعض الأقاليم عن الدولة، وقيام دول مستقلة في المشرق والمغرب(٣).

– قيام الدولة الفاطمية في المغرب العربي سنة ٢٩٧هـ /٩٠٩م، وسيطرتها على مناطق واسعة وإعلانها الخلافة، وتلقب عبد الله المهدي الفاطمي بأمير المؤمنين وإمام المسلمين، لينافس

---

(١) العبادي: أحمد مختار: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٩م، ص٦٠، (سيشار إليه بـ العبادي: دراسات).

(٢) بيضون، إبراهيم: الدولة العربية في إسبانيا، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠م، ص٣٠٦، (سيشار إليه بـ بيضون: الدولة العربية).

(٣) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٥٣؛ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: تاريخ الخلفاء، تح: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ٢٠٠٤م، ص٣٦٦، (سيشار إليه بـ السيوطي: تاريخ الخلفاء)؛ زكار: الموسوعة، ج٢، ص٩٦.

الخلافة العباسية في بغداد[١].

هذه العوامل شجعت عبد الرحمن الناصر على إعلان الخلافة الأموية في الأندلس، وبذلك يكون قد خرج عن الأصل النظري للخلافة الإسلامية القائل بأن الخلافة لا يمكن أن تتجزأ، لكن عبد الرحمن وضع مسألة الخلافة موضع الاجتهاد، وأجاز الفقهاء المسلمون بتعدد الخلافة، مادام هناك مصلحة عامة للمسلمين، شرط أن تكون المسافة كبيرة بين الخلافتين حتى لا يحدث صدام بينهما[٢].

ونظام الخلافة الأموية في الأندلس يقوم على أساس التوريث، ويستند على السياسة والدين، وهذا النظام يتوافق مع الخلافتين العباسية في بغداد والفاطمية في القيروان، ويختلف عن نظام الخلافة الراشدية الذي يقوم على أساس الشورى والانتخاب.

وتبدو الخلافة الأموية أكثر ديمقراطية من غيرها، فالخليفة الأموي إنسان عادي قد يخطئ وقد يصيب[٣]، وهو معرض للنقد من قبل العامة، أما الخلافة العباسية تقوم على التفويض

---

(١) مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص١٨– ١٩؛ ابن سعيد، علي بن موسى المغربي: المُغرب في حُلى المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، ط٣، القاهرة، ١٩٥٥م، ج١، ص١٨٢، (سيشار إليه بـ ابن سعيد: المغرب).

(٢) العبادي: دراسات، ص٥٩؛ السامرائي: تاريخ العرب، ص٣٦٢.

(٣) والدليل على ذلك ما جرى بين الخليفة عبد الرحمن الناصر، وقاضي قرطبة المنذر بن سعيد البلوطي، عندما أسرف عبد الرحمن في الإنفاق على بناء مدينة الزهراء من أموال الدولة، هذا ما جعل القاضي المنذر ينكر على الخليفة في خطبة الجمعة ما بذله من أموال، وأوضح بأن هذه أموال المسلمين، والخليفة كان حاضراً الخطبة فغضب من ذلك، وقال: " والله لقد تعمدني منذر بخطبته، وما عني بها غيري، فأسرف على وأفرط في تقريعي، ولم يحسن السياسة في وعظى فزعزع قلبي، وكاد بعصاه يقرعني ...". ثم أقسم الناصر بألا يصلي خلفه، وصار يصلي وراء أحمد بن مطرف صاحب الصلاة بقرطبة. النبهاني، علي بن عبد الله بن محمد: تاريخ قضاة الأندلس، (المرقبة العليا)، تح: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، ط٥، بيروت، ١٩٨٣م، ص٧٠، (سيشار إليه بـ النبهاني: تاريخ قضاة الأندلس)؛ السويدان: الأندلس، ص١٦٦.

الإلهي[١]، بينما الخلافة الفاطمية تستند على أن الخليفة إمامٌ معصومٌ، ورث العلوم الدينية عن النبي﴿ﷺ﴾ عن طريق الإمام علي بن أبي طالب﴿رضي الله عنه﴾، ثم أبنائه من بعده[٢].

إعلان الخلافة الأموية في الأندلس أغضب الفاطميين واعتبروا هذا العمل تعدياً على حق من حقوق أئمتهم، ولهذا فرضوا قتال الأمويين، واستحلوا دم الخليفة الأموي، فاشتد الصراع بين الطرفين أكثر مما كان عليه قبل إعلان الخلافة الأموية في الأندلس.

وفي ذلك هاجم الخليفة الفاطمي المعز لدين الله الخليفة الأموي في خطاب وجهه إلى الأندلس جاء فيه: " ... يزعم أنه أمير المؤمنين، كما تسمى دون سلف من أبنائه، وإمام الأمة بدعواه وانتحاله. ونحن نقول: إننا أهل ذلك دونه ودون من سواه، ونرى أن فرض الله علينا محاربة من انتحل ذلك دوننا وادعاه، مع بين أسلافنا وأسلافه، ومن مضى من القديم والحديث من أبنائنا وآبائه، من العداوة القديمة الأصلية والبغيضة في الإسلام والجاهلية .."[٣].

ومن خلال هذه الرسالة يتبين قوة التنافر والتناحر بين الخلافتين، وقد ازداد هذا التناحر من خلال محاولة الفاطميين إثارة الاضطرابات وزعزعة أمن الأندلس.

٣. دعم الفاطميين للثورات التي قامت في الأندلس ضد الأمويين:

لم يتوقف نشاط الدولة الفاطمية على بث الدعاة والعيون، لنشر مذهبهم داخل الأندلس أو خارجه، بل فتحوا أبواب مدنهم أمام اللاجئين، والمتمردين من الأندلس ومن مناطق نفوذ الأمويين في المغرب. فدخل في خدمتهم بعض رجال العلم والشعر، وعلى رأسهم الشاعر ابن هانئ[٤]، الذي هرب من الأندلس واحتمى بالفاطميين بسبب ميوله الإسماعيلية، وقد دخل ابن

---

(١) وهذا في خطاب الخليفة أبو جعفر المنصور عندما قال: " ... إنما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه وتسديده وتأييده...)) وهذه النظرية تشبه نظرية الحق الإلهي في الحكم التي كانت سائدة بين الفرس قديماً. ابن كثير: البداية، ج١٣، ص٤٦١؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص١٩٦.

(٢) ابن خلدون: تاريخ، ج١، ص٢٤٦؛ العبادي: دراسات، ص٦٢.

(٣) القاضي النعمان: المجالس، ص١٦٨.

(٤) ابن هانئ: محمد بن هانئ بن محمد بن سعدون الأزدي الأندلسي، أبو القاسم، يتصل نسبة بالمهلب بن أبي صفرة، من أبدع شعراء المغرب والأندلس، ولد في إشبيلية، وحظي عند صاحبها بمكانة رفيعة، اتهمه أهل إشبيلية بمذهب الفلاسفة، وخرج إلى المغرب، ولقي جوهر مولى المنصور الفاطمي فامتدحه، ثم ارتحل إلى=

هانئ في خدمة الخليفة المعز لدين الله، وأصبح شعره في مدح الخليفة وثيقة مهمة تضمنت الكثير من المبادئ الإسماعيلية[١]. كما قدم الفاطميون الدعم العسكري والمادي لكل ثائر تمرد على الدولة الأموية داخل الأندلس وخارجها، فكان من أخطر الثائرين ابن حفصون[٢]، الذي أعلن ثورته على الحكم الأموي سنة ٢٦٧هـ /٨٨٠م، واتخذ من حصن ببشتر[٣] مقراً لثورته، وسيطر على مناطق واسعة في الجنوب[٤]، وعاصر في ثورته أربعة من الأمراء الأمويين، بدأ بالأمير محمد بن عبد الرحمن، وحتى الخليفة عبد الرحمن الناصر، ولاقت حركته ترحيباً من قبل أعداد كبيرة من سكان تلك المناطق، وخاصة من المولدين والمستعربين، وأصبح يشكل خطراً كبيراً على الدولة الأموية، وخاصة عندما اعترف ابن حفصون بزعامة الخليفة الفاطمي

=بني حمدون في المسيلة، ثم توجه إلى المعز وأصبح شاعره المفضل، إلى أن ارتحل المعز لدين الله إلى مصر فشيعه ابن هانئ، ورجع إلى المغرب لأخذ عائلته واللحاق به، لكنه مات في ظروف غامضة سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٣م، ولما وصل خبر وفاته إلى المعز تأسف عليه وقال: هذا الرجل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق. الصفدي: الوافي، ج١، ص٢٦٠؛ ابن خلكان: وفيات، ج٤، ص٤٢١– ٤٢٤؛ ابن هانئ: ديوان، ص٢– ٣.

(١) ابن هانئ: ديوان، ص٤– ٩.

(٢) ابن حفصون: عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر بن شتيم بن دميان بن فرغلوش، أول الثائرين على الحكم الأموي في الأندلس نعته المؤرخون بألقاب عدة منها: اللعين والخبيث ورأس الفتنة، قام بثورته في عهد محمد بن عبد الرحمن ٢٣٨–٢٧٣هـ /٨٥٢– ٨٨٦م، سنة ٢٦٧هـ/ ٨٨٠م، كان نصرانياً فأسلم، ثم ارتد عن الإسلام وأعلن النصرانية، فانفض عنه الكثير من المسلمين، واستمر بثورته إلى أن مات سنة ٣٠٥هـ/ ٩١٧م، واستكمل أبنائه الثورة حتى قضى عليها الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م. ابن عذاري: البيان، ج٢، ص١٠٤– ١٦١؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص١٧٢– ١٧٦؛ ابن الخطيب: أعمال ، ص٣١؛ عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٢٨٨؛ الزركلي: الأعلام، ج٥، ص٤٤.

(٣) ببشتر: مدينة حصينه تقع في الثغر الأعلى من إسبانيا على نهر سينكا من كورة رية، محصنة تبعد عن مدينة سرقسطة حوالي ستين كيلو متر تقريباً، وقد ورد في بعض المصادر بربشتر. الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٣٧٠؛ الحميري: صفة، ص٣٩؛ موقع الإسلام: تعريف بالأعلام، ص٣٠٢.

(٤) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص١٣١–١٣٢؛ ابن الخطيب: أعمال، ص٣١.

عبد الله المهدي، الذي أمد ابن حفصون بالسلاح والذخيرة[١]، وأرسل له داعيين أقاما عنده، وأخذ يحرضانه على التمسك بطاعة الفاطميين، والدعوة لهم في مساجد بلاده.

لكن ابن حفصون لم يكن مخلصاً إخلاصاً تاماً للدعوة الفاطمية، بل اتخذها وسيلة لدعم ثورته ضد الأمويين، ثم بإمكانه الاستغناء عن الدعاة بعد تحقيق غايته وأهدافه عندما هادن عبد الرحمن الناصر، والتزم بالولاء والطاعة للسلطة المركزية في قرطبة، وبقي على ذلك إلى أن توفي سنة ٣٠٥هـ/ ٩١٧م[٢].

بعد وفاة عمر بن حفصون تسلم ابنه جعفر قيادة الثورة، الذي أعلن الحرب على الأمويين من بداية استلامه القيادة، ولم يطل عهده، حيث قتله أنصاره سنة ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م، وولوا أخوه سليمان مكانه، الذي قارع الأمويين في عدة معارك، وقتل في إحداها سنة ٣١٤هـ/ ٩٢٦م، واستلم أخوه حفص سنة ٣١٥هـ/ ٩٢٧م، لكن الناصر تمكن بعد تضييق الحصار عليه من اقتحام قلعة ببشتر وإنهاء ثورة ابن حفصون، وأبنائه من بعده[٣].

أما الثائر الثاني: علي بن حمدون الجذامي المعروف بابن الأندلسي[٤]، ويبدو أن هذا الرجل حظي باحترام وتقدير وإعجاب عبد الله المهدي، وأصبح من المقربين إليه واعتبره بمرتبة ابنه

---

(١) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص١٣٩- ١٧١؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص١٧٣- ١٧٦.

(٢) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص١٧١؛ ابن الخطيب: أعمال، ص٣٢.

(٣) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص١٩٢؛ ابن الخطيب: أعمال، ص٣٣- ٣٤؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص١٨٠.

(٤) ابن الأندلسي: هو علي بن حمدون بن سماك بن منصور بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الحميد الجذامي، جاء جده عبد الحميد من بلاد الشام ونزل بكورة البيرة (غرناطة)، ثم انتقل حفيده حمدون إلى المغرب، ونزل مدينة بجاية في الجزائر، ولعل حمدون كان يعمل في الأندلس لصالح المذهب الإسماعيلي، بشكل خفي، أما ابنه علي فقد كان عمله واضحاً في نشر الدعوة الإسماعيلية، وتوطيد أركان الدولة الفاطمية، من خلال مرافقته أبا عبد الله الداعي، ودخوله مذهبه وإعجابه بشخصية الداعي، ولشدة العلاقة بين الرجلين قام الداعي بأرسال علي بن حمدون مع وفد كتامة لاصطحاب الإمام الفاطمي عبد الله المهدي من مدينة سلمية. ابن عذاري: البيان، ج٢، ص٢٤٢؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص١٠٧؛ ابن الأبار: الحلة، ص٣٠٥؛ ابن حماد: أخبار، ص٤٦. الجوذري: سيرة، ص ١٧٥.

القائم حتى أنه أمر بتربية أبنائه جعفر ويحيى في البلاط الفاطمي[١]، وعندما خرج ولي العهد القائم بأمر الله إلى المغرب خرج معه علي بن حمدون على رأس حملة، لإخضاع قبائل زناتة حلفاء الأمويين في المغرب الأوسط، وأجبروا زعيمها محمد بن خزر على الفرار أمامهم نحو الصحراء، وتابع القائم إلى المغرب الأقصى باسطاً سيطرته على مناطق واسعة.

وأثناء العودة إلى إفريقية، منح القائم لعلي بن حمدون منطقة الزاب وكلفه ببناء مدينة المسيلة[٢] سنة ٣١٣هـ/ ٩٢٥م، وأطلق عليها اسم المحمدية تيمناً باسم القائم بأمر الله محمد بن المهدي[٣]، وربما كان السبب في إنشاء هذه المدينة لتكون مركزاً دفاعياً لمحاربة النفوذ المتزايد للدولة الأموية من جهة، ومراقبة حركات القبائل البربرية الخارجة عن طاعة السلطة الفاطمية من جهة ثانية، كما أصبحت هذه المدينة نقطة انطلاق وإمداد للجيوش الفاطمية نحو المغربين الأوسط والأقصى[٤]. وعندما قامت ثورة أبي يزيد مخلد الخارجي في جبال الأوراس، وأصبح يهدد المهدية أرسل الخليفة القائم بأمر الله إلى علي بن حمدون طالباً منه المساعدة والقدوم بقبائل البربر لمواجهة أبي يزيد، وبالفعل أتى ابن حمدون واصطدمت قواته مع قوات أبي يزيد وحققت عليه انتصارات باهرة سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م[٥].

ونظراً لما أبداه علي بن حمدون من ولاء وخدمة مطلقة للفاطميين، كافأه الخليفة المنصور الفاطمي إذ عين أبنائه (جعفر ويحيى) على حكم المسيلة والزاب، وأصبحت المسيلة بعد أن

---

(١) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٢٤٣؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٤٢؛ ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف: المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تح: عبد الرحمن الحجي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م، ص٣٤، (سيشار إليه بـ ابن حيان: المقتبس، تح: الحجي).

(٢) المسيلة: تقع على طريق الرابط بين إفريقية والمغرب، وسط أراضي بني برزال وبني كهلان، على مقربة من هوارة، في إقليم الزاب في المغرب الأوسط، بالقرب من قلعة بني حماد، وهي مدينة كثيرة الخيرات. ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٩٠؛ الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٦٤- ٦٥؛ مراكشي: الاستبصار، ص١٧١- ١٧٢.

(٣) ابن حماد: أخبار، ص٤٦. أحمد، نهلة شهاب: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٩م، ص١٢٥، (سيشار إليه بـ أحمد: دراسات في تاريخ المغرب).

(٤) ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص١٠٧؛ أحمد: دراسات في تاريخ المغرب، ص١٢٥.

(٥) الجوذري: سيرة، ص١٧٥؛ ابن حماد، أخبار، ص٥٥- ٥٦.

استكملت تحصيناتها ومرافقها المركز التجاري والحضاري لعموم المنطقة المجاورة لها، وقد قصدها العلماء والشعراء أمثال شاعر الأندلس محمد بن هانئ[١]، والشاعر أحمد بن محمد المروزي[٢].

وزحف حليف الأمويين في المغرب عبد الله بن خزر[٣] سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م، لمحاصرة المسيلة القاعدة الفاطمية الجديدة التي اخفق في اقتحامها والإمساك بحاكمها، لكنه نجح في نيل تأييد بعض القبائل الضاربة حول المدينة، هذا الأمر شجعه على مهاجمة تاهرت قاعدة الفاطميين في المغرب الأوسط وقطع خط الإمداد عنها.

هذه العملية التي قام بها بنو خزر أتاحت الفرصة ليعلى بن محمد اليفرني[٤] حليف الفاطميين للرجوع عن ولائه لهم، والدخول في ولاء الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر سنة ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م، هذا الانقلاب في المواقف ربما يعود لمصالح شخصية، فكان رد الخليفة الفاطمي قوياً حيث أرسل جيشاً أوكل قيادته لأبرز قادته ومناصريه وهم: جوهر الصقلبي، وجعفر بن علي بن حمدون، وزيري بن مناد، تمكن هؤلاء القادة من قتل يعلى بن محمد اليفرني وأسر ابنه يعدد، وتفرق بنو يفرن وزناتة بعد مقتل أميرهم[٥]، وواصل جوهر تقدمة إلى

---

(١) استقر هذا الشاعر في المسيلة قبل أن ينتقل إلى المهدية، وأخذ يمدح جعفر بن علي حاكم المسيلة بقوله:

المدفنان من البرية كلها وجسمي وطرف بابلي أحور

والمشرقات النيرات ثلاثة الشمس والقمر المنير وجعفر

ابن خلكان: وفيات، ج١، ص٣٦٠؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٨، ص٢٢٧؛ ابن هانئ: ديوان، ص٨٧– ٨٨.

(٢) ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص١٠٨؛ ابن الأبار: الحلة، ص٣٠٦.

(٣) بني خزر: ينتسبون إلى قبيلة مغراوة الزناتية إحدى قبائل البربر، يسكنون المغرب الأوسط، كان جدهم الأعلى صقادب بن وزومار، بعد وفاته تسلم زعامة القبيلة ابنه حفص ثم خزر، ومنذ تسلم خزر الزعامة أعلن ولائه لبني أمية في الأندلس. ابن خلدون: تاريخ، ج٧، ص٣٤– ٣٨. ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص٢٥٧.

(٤) يعلى بن محمد اليفرني: هو أمير بني يفرن، وخليفة الناصر لدين الله على بلاد العدوة، قتله قواد كتامة مقابل أموال أعطاهم إياها جوهر الصقلبي، وهو الذي بنى مدينة أفكان، وملك وهران وتاهرت، قتل سنة ٣٤٧هـ/ ٩٤٨م. ابن أبي زرع: الأنيس، ص٨٩–٩٠؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٦، ص١٦٤.

(٥) ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٥٩؛ ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٢٢؛ السلاوي: الإستقصا، ج١، ص٢٦٨؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص٢٢٢؛ الدسوقي، إبراهيم: شاعر الدولة الفاطمية: تميم بن المعز، مركز النشر لجامعة القاهرة، ١٩٩١م، ص١٠، (سيشار إليه بـ الدسوقي: شاعر الدولة الفاطمية).

فاس وسجلماسة وافتتح مناطق واسعة وطرد عمال بني أمية من سائر المغرب، ووصل إلى المحيط الأطلسي، ولم يبقَ للأمويين سوى سبته ومليلة[١]، وأسر أحمد بن بكر حاكم فاس، ومحمد بن واسول بن الفتح الشاكر لله حاكم سجلماسة، ودخل بهما المنصورية سنة ٣٤٩هـ/ ٩٦٠م، وضم تاهرت إلى أملاك زيري بن مناد مكافأة له على ما أظهره في تلك الحملة[٢].

هذه الانتصارات التي حققها جوهر على حلفاء بني أميّة أزعجت عبد الرحمن الناصر بعد أن اخفق في تقديم الدعم العسكري الذي كان يعده في ميناء المرية[٣]، وربما أثرت هذه الأنباء الحزينة على نفسية عبد الرحمن الناصر الذي توفي بعد ذلك بمدة قصيرة في سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م[٤].

وعندما عزم المعز لدين الله على الرحيل إلى مصر بدأ البحث عن شخص قوي يثق به ويخلفه على بلاد المغرب، فما كان منه أن وقع اختياره على جعفر بن علي بن حمدون صاحب الولاء الرفيع والخادم المطيع للخلافة الفاطمية، لذا استدعاه الخليفة الفاطمي ليكون نائبه في حكم المغرب، إلا أن جعفر اشترط على الخليفة بأن قال له: " تترك معي أحد أولادك أو إخوتك جالساً في القصر، وأنا أدبر، ولا تسألني عن شيء من الأموال... وإذا أردت أمراً فعلته ولم أنتظر ورود الأمر فيه لبعد ما بين مصر والمغرب..."[٥].

---

(١) السلاوي: الإستقصا، ج١، ص٨٦. ٨٧.

(٢) ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٥٩؛ ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٦٢؛ القاضي النعمان: المجالس، ص٤٥٨.

(٣) المرية: مدينة مهمة في أقصى جنوب الأندلس تقع على البحر المتوسط، ما بين مالقة ومرسية، وهي بوابة الشرق بمينائها ومرساها وسورها، فيها مرفأ، وقاعدة مهمة للسفن الأندلسية، ومنها تخرج هذه السفن لمحاربة الإفرنج وغيرهم كما تنطلق منها السفن التجارية أيضاً. الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص١١٩؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، ج٣، ص١٢٦٤؛ أبو الفضل، محمد أحمد: تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦م، ص٣٢، (سيشار إليه بـ أبو الفضل: تاريخ مدينة المرية)؛ عنان: دولة الإسلام، ح١، ص٤٤٦.

(٤) القاضي النعمان: المجالس، ص٢١٧.

(٥) المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص٩٩؛ مؤنس: معالم، ص١٥٤.

ويبدو أن جعفر أراد الانفراد بالحكم بشكل فعلي، تاركاً للخليفة النفوذ المعنوي فقط، هذا ما جعل الخليفة المعز لدين الله يرد عليه بقوله: " يا جعفر عزلتني عن ملكي، وأردت أن تجعل لي شريكاً في أمري، واستبددت بالأموال والأعمال دوني... قم فقد أخطأت حظك وما أصبت رشدك..." [١].

هذا الأسلوب المتهور الذي أفصح فيه جعفر عن تطلعاته وأطماعه، يبين قصور المنظور السياسي لجعفر بن علي في كيفية التعامل مع مستجدات الأحداث، وربما كان يدرك جعفر أنه الأحق دون غيره بهذا الامتياز لما له ولعائلته من فضل في قيام الخلافة الفاطمية، لكن هذا الرد أحدث قطيعة لا لقاء بعدها بالخلافة الفاطمية[٢]، وبدأ جعفر في البحث عن خيارات بديلة تعوضه عما خسره مع الخليفة المعز لدين الله.

أما المرشح الثاني كان بلكين بن زيري زعيم صنهاجة الذي كان أكثر حكمة وسياسة من ابن حمدون في اختبار الاختيار في حكم المغرب، والذي لم يكن أمامه سوى الموافقة على إصرار الخليفة بعد أن سمع منه الجواب على طلبه حين قال: " يا مولانا أنت وآباؤك الأئمة من ولد رسول الله ﷺ ما صفا لكم المغرب فكيف يصفو لي أنا الصنهاجي البربري، قتلتني يا مولاي بلا سيف ولا رمح "[٣].

ويبدو أن العلاقة بين الزعيم الصنهاجي وبين حمدون كانت سيئة، قبل تعيين بلكين بن زيري الصنهاجي نائباً للخليفة الفاطمي على المغرب، بفعل العداء الشخصي والتنافس على النفوذ[٤]، هذا الأمر جعل بني حمدون يعقدون تحالفاً مع قبيلة زناتة عدوة قبيلة صنهاجة، وحليفة الأمويين القوية في المغرب[٥]، وقد كشف زيري بن مناد الصنهاجي والد بلكين هذه العلاقة بعد الانتصار الذي حققه على زناتة، وقتل أميرها محمد بن الخير بن خزر، حيث وجد فرساً لجعفر عند محمد بن خزر كان الخليفة قد أهداه إياه، كما اطلع على رسائل قد أرسلها

---

(١) المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص٩٩؛ العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص٣١٥.

(٢) ابن أبي دينار: المؤنس، ص٧٤.

(٣) المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص٩٩؛ العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص٣١٥- ٣١٦.

(٤) نعنعي: تاريخ الدولة الأموية، ص٣٩٩.

(٥) ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص١٠٩؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٧، ص٢٧.

جعفر إلى زناتة تتضمن معلومات عن تحركات زيري بن مناد الصنهاجي، ومواطن قوته وضعفه[١].

استغل الزعيم الصنهاجي هذه الأدلة ليكشف عن خيانة جعفر عند الخليفة المعز لدين الله، مما جعل الأخير يعزل جعفر عن المسيلة، ويستدعيه مع أهله إلى المهدية[٢]. فتخوف جعفر من الدعوة، وتظاهر بالإذعان له والخروج إليه، لكنه بدلاً من أن يتوجه إلى المهدية فر هارباً إلى قبائل زناتة، خالعاً طاعة الفاطميين داخلاً في طاعة الأمويين[٣].

أثار تحالف جعفر بن حمدون مخاوف زيري بن مناد مما جعله يخرج بقواته لقتال جعفر وجموع الزناتيين سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م، ودارت معركة فاصلة عند نهر الملوية قتل فيها زيري وأرسل رأسه مع وفد زناتة برئاسة يحيى بن علي بن حمدون إلى الخليفة الأموي الحكم المستنصر (٣٥٠- ٣٦٦هـ/ ٩٦١- ٩٧٦م)، فاستقبلهم الخليفة بحفاوة كبيرة وأنزلهم المكانة الرفيعة[٤].

كانت هذه الحادثة انتصاراً للسياسة الأموية في المغرب، وضربة لنفوذ الدولة الفاطمية وحليفتها صنهاجة[٥]، فأوعز الخليفة المعز لدين الله الفاطمي إلى بلكين بن زيري الصنهاجي[٦]، بقيادة حملة مدعومة بالأموال والرجال والسلاح في مستهل عام ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م، للرد على زناتة وحليفها جعفر بن حمدون، وكان بلكين يحمل حقداً ورغبة في الانتقام

---

(١) ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٦٢-٦٣؛ السلاوي: الإستقصا، ج١، ص٢٧٢.

(٢) ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص١٠٨؛ ابن حيان: المقتبس، تح: الحجي، ص٣٧.

(٣) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص٢٤٢؛ ابن أبي دينار: المؤنس، ص٧٢؛ ابن حيان: المقتبس، تح: الحجي، ص٣٧.

(٤) ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص١٠٨؛ ابن خلكان: وفيات، ج١، ص٣٦٠؛ ابن الخطيب: أعمال، ص٤٢، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٦، ص٢٠١؛ عنان: دولة الإسلام، ج٢١، ص٤٩٣؛ ابن حيان: المقتبس، تح: الحجي، ص٣٨؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص٢٤٣.

(٥) مسعد: العلاقات، ص١٠١.

(٦) بلكين: (بلقين) بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي أبو الفتوح، جد الأمير باديس أول من ملك المغرب المغرب استخلفه المعز الفاطمي على إفريقية عندما توجه إلى الديار المصرية، وأطلق عليه اسم يوسف. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٦، ص٣٩٣؛ ابن كثير: البداية، ج١١، ص٤١٧- ٤١٦.

لمقتل والده، وتمكن من تحقيق النصر على زناتة، مما جعل زعيمهم محمد بن خزر يقدم على الانتحار عندما اتكأ على سيفه ومات خوفاً من سلطة بلكين والوقوع في قبضته[١]، هذا النصر سر المعز سروراً عظيماً حتى أن الشاعر محمد بن هانئ الأندلسي أنشده بقصيدة طويلة بهذه المناسبة منها:

أين الفرار لباغ أنت مدركه لأمة ملء كفيها من الهبل

هيهات يضحي منيع منك ممتنعاً ولو تنم روق الأعصم الوعل[٢]

وتمكن بلكين من بسط سيطرته على بلاد المغرب، حتى يقال إنه لم يترك عنده أحد من زناتة فرساً ولا جملاً[٣]، وانتقم لقتل أبيه، وشفى غله من الزناتيين، ثم عاد إلى القيروان، حيث استقبله المعز الفاطمي أحسن استقبال[٤].

أما جعفر بن حمدون الذي كان يخاف من الغدر والمكيدة هاجر قبل وصول بلكين مع أهله إلى الأندلس، إذ استقبله الخليفة الحكم، وبالغ في إكرامه، وخصص له ولأهله رواتب ورفعهم إلى مرتبة الوزراء، وأسند لهم الوظائف العليا في الدولة، وبدأ ابن حمدون بشن حملة دعائيّة، ضد الدولة الفاطمية من جهة، والتذكير بأحقية بني أمية بالخلافة وميراث أجدادهم في

---

(١) المقريزي: اتعاظ الخنفا، ج١، ص١٢٨؛ ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٣٢٧؛ السلاوي: الإستقصا، ج١، ص٢٥٦؛ أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص١١٢؛ ابن حيان: المقتبس، تح: الحجي، ص٣٨؛ بدر: تاريخ المغرب، ص١٥٣؛ عنان: دولة الإسلام، ج٢، ص٤٦٤.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٣٣٤؛ ابن هانئ، محمد بن هانئ الأندلسي: تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانئ، تصحيح: زاهد علي، دار المعارف، مصر، ١٣٥٢هـ، ص٥٩٣، (سيشار إليه بـ ابن هانئ: تبيين). القصيدة من البحر البسيط.

(٣) ابن أبي دينار: المؤنس، ص٧٣؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٦٢- ٦٣؛ مؤلف مجهول: مفاخر البربر، (ألفة سنة ٧١٢هـ)، تح: عبد الرحمن بوباية، دار أبي قراق، ط١، الجزائر، ٢٠٠٥م، ص٩٦، (سيشار إليه بـ مجهول: مفاخر البربر).

(٤) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص٢٤٣؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص١٠٨- ٢٠٦؛ السلاوي: الإستقصا، ج١، ص٢٥٦؛ ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٣٣٤؛ الدسوقي: شاعر الدولة الفاطمية، ص١٠- ١١.

المغرب من جهة ثانية، وهذا الشاعر محمد بن مطرف بن شخيص يهنئ الخليفة الحكم المستنصر بقدوم بني حمدون، ودخولهم في طاعة الأمويين بقصيدة، منها هذه الأبيات:

بأيمن إقبـال وأســعد طــائر تباشير محتوم من الأمر واقع

توافت بملك من معد مقوض لملكٍ إلى مهدي مروان راجع[1]

٤. محاولات الفاطميين السيطرة على بلاد المغرب (الأوسط والأقصى):

سلفت الإشارة إلى ذلك في الفصل الأول، ص٩١.

ثالثاً. الأساليب التي استخدمها الأمويون في صراعهم مع الدولة الفاطمية:

لم تنجح مخططات الدولة الفاطمية ضد الأندلس، بفضل سياسة الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر، ويقظة أجهزته الأمنية والعسكريّة التي كشفت جميع المؤامرات التي كانت تهدف إلى زعزعة أمن الأندلس والسيطرة عليه، فقد بدأ عبد الرحمن الناصر يواجه كل هذه المخططات والمؤامرات الفاطمية بأسلوب دفاعي من جهة، ومستخدماً وسائل وأساليب مختلفة للرد والتوسع في المغرب من جهة ثانية، ومن الوسائل والأساليب التي استخدمها:

١. إعلان الخلافة الأموية في الأندلس وأثرها من الصراع:

هذا الإعلان جاء رداً على الخلافتين العباسية في المشرق والفاطمية في المغرب، بعد أن تمكن الناصر من إعادة الأمن والاستقرار للأندلس، وجد نفسه الأحق بلقب الخلافة من غيره. وقد تم التوضيح عن ذلك بشكل مفصل في بداية الفصل الثاني.

---

(١) ابن حيان: المقتبس، تح: الحجي، ص٥٤- ٥٥؛ عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٧٠١؛ القصيدة من البحر الطويل.

٢. العمل على بناء قوة بحرية :

لقد أدرك الأمراء الأمويون على أثر غارات النورمان[١] سنة ٢٢٩هـ/ ٨٤٣م، ضرورة الاهتمام بتحصين السواحل، مما جعل الأمير عبد الرحمن الأوسط، يأمر بإنشاء دور لصناعة السفن في مدينة إشبيلية[٢] وغيرها من مدن الساحل، كما نظم البحرية لمواجهة أي خطر محتمل[٣].

ومع بداية عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، وتزايد خطر الفاطميين، بدأت الأندلس تعمل بشكل سريع لمنافسة القوى الأخرى في البحر المتوسط، وتسعى لفرض سيطرتها على مياه هذا البحر من جهة، والمحيط الأطلسي من جهة ثانية[٤].

فعمل الناصر على بناء أسطول قوي لضمان الحفاظ على أمن البلاد من المؤامرات والثورات الداخلية، وحماية السواحل الطويلة للأندلس من الأخطار الخارجية، ويعد عبد الرحمن الناصر المؤسس الحقيقي للأساطيل الإسلامية في الأندلس، كما أنشأ دوراً لصناعة السفن في عدة مدن منها الجزيرة الخضراء[٥]، ومالقة[١]، والمرية، وغيرها، وبذل الناصر جهوداً جبارة في

---

(١) النورمان: شعب أوروبي استقر في مقاطعة نورماندى الواقعة شمال غربي فرنسا في القرن التاسع الميلادي، وينتمي النورمان إلى قبائل الفايكنج الذين كانوا يسكنون إسكندنافيا، ثم نزحوا إلى نورماندى واستقروا فيها واعتنقوا المسيحية، وتأثروا بالحضارة الفرنسية مع احتفاظهم بحبهم للغزو والمغامرة، وأطلق عليهم المؤرخون المسلمون اسم المجوس. السويدان: الأندلس ص١٣٦.

(٢) إشبيليه: إحدى أكبر مدن الأندلس، تقع غربي مدينة غرناطة على نهر الوادي الكبير، وتعني الأرض المنبسطة، ازدهرت أيام الموحدين. البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص٩٠٢- ٩٠٤؛ الحميري: صفة، ص١٨-٢٠.

(٣) العبادي، أحمد مختار: صورة من حياة الحروب والجهاد في الأندلس، منشأة المعارف، ط١، الإسكندرية، ٢٠٠٠م، ص١٩، (سيشار إليه بـ العبادي: صورة من حياة)؛ سالم، عبد العزيز: تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٤م، ص٣٥- ٣٦، (سيشار إليه بـ سالم: تاريخ مدينة المرية).

(٤) الحسن: الصراع، ص٤.

(٥) الجزيرة الخضراء: ميناء في أقصى جنوب إسبانيا، بجوار جبل طارق، ويقال لها جزيرة أم حكيم، وهي جارية طارق بن زياد، كان قد حملها معه عند غزوة لإسبانيا، ثم تركها في هذه البلدة فنسبت إليها، وفيها دار=

ذلك، حتى أن عمال دور صناعة السفن لم يجدوا وقتاً للراحة، ليجعل لدولته أسطولاً كبيراً وقوياً يتناسب مع أمانيه وطموحاته الكبيرة[٢].

وتمكن بهذا الأسطول، وأساطيل الأقاليم التي كانت تدين له بالطاعة، وعلى رأسها أسطول جزر البليار[٣] من حماية سواحله[٤]، وخاصة المشرفة على مضيق جبل طارق، الذي فرض عليه حراسة مشددة لمنع وصول الإمدادات الفاطمية إلى المتمرد عمر بن حفصون، وتمكن الأسطول الأندلسي أيضاً من إغراق السفن الفاطمية، أو أسرها داخل وخارج المياه الإقليمية للأندلس[٥].

=صناعة بناها عبد الرحمن الناصر وأتقن بناءها ورفع أسوارها، كما بنى فيها مسجد عرف بمسجد الرايات، حيث اجتمعت فيها رايات المسلمين عند الفتح. الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص١٣٦؛ الحميري: صفة، ص٧٣؛ الحميري: الروض المعطار، ص٢٢٣؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، ج١، ص٣٣٢.

(١) مالقة: مدينة على ساحل البحر المتوسط، تقع جنوب شرق إسبانيا، وهي من أعمال رية، أسسها الفينيقيون وسموها مالكو، ومعناه الملح، نسبة إلى مستودعات الأسماك المملحة التي كانت تجفف وتحفظ بها، وكانت تشتهر بزراعة التين، لها سور مرتفع على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية. الحميري: صفة، ص١٧٧؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، ج٣، ص٢٢١؛ موقع الإسلام: تعريف بالأعلام، ج٢، ص٢٩٩؛ الحميري: الروض المعطار، ص٥١٧؛ الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٤٣.

(٢) لويس، أرشيبالد.ر: القوى البحرية التجارية في حوض البحر المتوسط، تر: أحمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، د. ت، ص٢٣٦، (سيشار إليه بـ لويس: القوى البحرية)؛ عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٢٦٤؛ الخلف، سالم عبد الله: نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية، ط١، السعودية، ٢٠٠٣م، ج٢، ص٥٧٤– ٥٧٥، (سيشار إليه بـ الخلف: نظم حكم).

(٣) جزر البليار: هي عدة جزر تقع أمام الساحل الشرقي لإسبانيا، وأهمها ثلاثة جزر هي: ميورقة ومنورقة ويابسة، وتسمى في المصادر العربية بالجزر الشرقية، خضعت لنفوذ قرطبة سنة ٢٣٤ هـ/ ٨٤٨م، في عهد الأمير عبد الرحمن الثاني الأوسط الأموي غير أنها لم تضم نهائيا إلى أعمال الدولة الأموية بالأندلس إلا منذ سنة ٢٩٠ هـ/ ٩٠٢ م، حينما أرسل إليها الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الثاني قائده عصام الخولاني حاكماً عليها وظلت في يد المسلمين إلى أن احتلها ملك أراجون (جاك الأول). سيسالم، عصام سالم: جزر الأندلس المنسية (التاريخ الإسلامي لجزر البليار)، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٨٤م، ص١٥– وما بعدها، (سيشار إليه بـ سيسالم: جزر الأندلس المنسية).

(٤) سيسالم: جزر الأندلس المنسية، ص١٠٠– ١٠١.

(٥) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص١٦٥؛ العبادي: دراسات، ص٧٥– ٧٦.

كما كان لهذا الأسطول الفضل في السيطرة على المدن المغربية طنجة ومليلة وسبتة، التي أصبحت حزام أمان للسواحل الأندلسيّة المقابلة لها، وقواعد انطلاق في العمق المغربي[١].

ولم يتوقف عمل الأسطول الأندلسي عند هذا الحد، بل تعداه إلى مهاجمة السفن الفاطمية في عمق البحر، وقطع خطوط التواصل الفاطمي ما بين المغرب وصقلية[٢]، وفي الوقت نفسه قامت بتنفيذ هجمات بحرية إلى بلاد الفرنجة، وخاصة سنة ٣٢١هـ/ ٩٣٣م، محققاً تقدماً على الفرنجة، فارضاً هيمنة على مياه البحر المتوسط[٣].

٣. موقف الأمويين لمن خرج عن طاعة الفاطميين في المغرب العربي:

فتح بني أمية أبواب الأندلس أمام اللاجئين والمتمردين القادمين من المغرب والفارين من الفاطميين، وعلى رأسهم القاضي أحمد بن الخراز أبو جعفر المليلي، الذي كان يعمل قاضياً بمدينة مليلة، والتجأ إلى قرطبة سنة ٣٢٥هـ/ ٩٣٦م[٤]، وحكم بن محمد بن هشام القرشي القيرواني، الذي اختلف مع الخليفة الفاطمي عبد الله المهدي، فسجنه وبقي في السجن إلى أن تمكن من الهرب واللجوء إلى الأندلس، وبقي فيها إلى أن مات هناك[٥].

كما التجأ إلى الأندلس أيضاً بعض الزعماء مثل حكام نكور من بني صالح، واستقروا في مدينة مالقة، وبجاية[٦]، بعد أن هاجمهم القائد الفاطمي مصالة بن حبوس سنة ٣٢٥هـ/

---

(١) لويس: القوى البحرية، ص٢٣٧؛ الدسوقي: شاعر الدولة الفاطمية، ص١١؛ أبو الفضل: تاريخ مدينة المرية، ص٦٠- ٦١؛ السامرائي: تاريخ العرب، ص١٧٣.

(٢) عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٦٨٧.

(٣) السامرائي: تاريخ العرب، ص٤٥٨.

(٤) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص٧٥.

(٥) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص١٤٣.

(٦) بجاية: مدينة في الأندلس، تقع شرقي غرناطة، وشمال المرية، من أعمال كوره البيرة، لما دخل بنو أمية أمية الأندلس أنزلوا فيها بني سراج القضاعيين، وجعلوا إليهم حراسة ما يليهم من البحر وحفظ السواحل. الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٣٣٩؛ القزويني: آثار، ص٥٠٩؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، ج١، ص١٦٣؛ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ج٤، ص٢٣٢؛ الحميري: الروض المعطار، ص٧٩-٨٠.

٩١٧م، وقتل أميرهم سعيد بن صالح، وفر أبناؤه – إدريس والمعتصم وصالح – بأنفسهم إلى الأندلس، ورحب بهم عبد الرحمن الناصر وأكرمهم، وأغدق عليهم العطايا.

وكان اختيارهم لسكناهم في مدن الساحل حتى يكونوا قريبين من ديارهم حيث أخذوا يراقبون تطور الأحداث في نكور، لاغتنام الفرصة لإعادة ملكهم عليها[١] وقد حصل لهم ذلك، عندما عاد مصالة بن حبوس إلى إفريقية تاركاً على نكور قائداً من قبله يعرف بذلول مع قوة ضئيلة، فأسرع أولاد سعيد لاسترجاع مدينتهم، فعبروا البحر مدعومين من الخليفة الأموي سياسياً وعسكرياً ومادياً، وانطلق الإخوة الثلاثة بسفن مختلفة متفقين على أن الواصل الأول إلى نكور تكون له الإمارة، فكانت من نصيب صالح بن سعيد، وبعد المواجهات بين الطرفين تمكن أبناء سعيد بن صالح من تحقيق النصر على ذلول وأتباعه، وكتب الأمير صالح بن سعيد إلى عبد الرحمن الناصر يخبره بما تم له من نصر على أعدائه، فأمر الناصر بقراءة الخبر على منابر المساجد في الأندلس، وأمر بإرسال الهدايا والمؤن والأسلحة إلى نكور لتعويضهم عما خسروه في حربهم مع الفاطميين[٢].

كما أن أمراء نكور لم ينسوا الجميل لأمراء الأندلس عندما قدموا لهم المساعدة في استرجاع إمارتهم، لذا شاركوا حكام الأندلس في قتال المتمردين والثائرين على سلطة الخلافة في الأندلس، فقد خرج سعيد بن منصور الملقب بعبد الرحمن الشهيد، بحملة عسكرية ضد المتمرد ابن حفصون واستطاع أن يقطع عليه الطريق ويقتل بعض مؤيديه، واستمر في محاربة ابن حفصون حتى كتبت له الشهادة[٣].

---

(١) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٨٠.

(٢) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٧٩–١٨٠؛ البكري: المغرب، ص٩٦– ٩٨.

(٣) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٧٧؛ البكري: المغرب، ص٩٢.

كما حاول الناصر كسب بعض أمراء الدويلات القائمة في الشمال الإفريقي كالأدارسة بفروعهم الثلاثة: بنو سليمان الذين استقروا في سواحل تلمسان[١]، وبنو عمر وبنو محمد الذين اتخذوا حجر النسر (قلعة النسر)[٢]، وأزيلا (صيلا)[٣]، والبصرة[٤]، مقراً لهم[٥].

ومنذ ظهور الفاطميين وحتى سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م، أصبح هناك توازن للقوى الكبرى في المغرب – الفاطميين والأمويين – وتذبذب موقف الأدارسة ما بين الولاء والقطيعة للفاطميين والأمويين، حسب ما اقتضته مصالحهم[٦].

ففي سنة ٣٠٥هـ/ ٩١٣م، أرسل الخليفة الفاطمي عبد الله المهدي حملة عسكرية لبسط سيطرته على المغرب الأوسط والأقصى بقيادة مصالة بن حبوس[٧]، حينها كان الأدارسة قد

---

(١) تلمسان: مدينة عظيمة قديمة، كانت قاعدة المغرب الأوسط وما تزال من أكبر مدن الجزائر. وينسب إليها عدد من العلماء والمتصوفة منهم سيدي بو مدين. وأبو العباس أحمد بن محمد التلمساني، صاحب كتاب نفح الطيب. وبعضهم يقول تنمسان، بالنون عوض اللام. الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤٤؛ القزويني: آثار، ص١٧٢؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، ج١، ص٢٧٢؛ موقع الإسلام: تعريف بالأعلام، ج١، ص٣٨٥.

(٢) حجر النسر: قلعة منيعة تقع جنوب تطوان على مرتفع شمال شرق القصر الكبير، بناها إبراهيم بن محمد ابن القاسم بن إدريس سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م، تحصن بها الأدارسة عندما استولى موسى بن أبي العافية على بلاد المغرب الأقصى. البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص٨١١؛ ابن أبي زرع: الأنيس، ص٨٤؛ البكري: المغرب، ص١١٤.

(٣) أزيلا: بلدة بالمغرب الأقصى، تقع قرب طنجة من ثغور المغرب، على ساحل المحيط الأطلسي، لها أسوار عالية، ويطلق عليها أيضاً أصيلا، وهي عامرة كثيرة الخير والخصب. المراكشي: الاستبصار، ص١٣٩؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٣٠؛ موقع الإسلام: تعريف بالأعلام، ج١، ص٥٠؛ العفيفي: موسوعة، ص٥٦.

(٤) البصرة: مدينة مغربية كبيرة تقع في الريف المغربي بين طنجة وفاس، بينها وبين فاس مرحلتان أو أكثر. الكرخي: مسالك الممالك، ص٤٦؛ الحميري: الروض المعطار، ص١٠٨.

(٥) العبادي: دراسات، ص٧٤– ٧٥.

(٦) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٧٥؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٦، ص١٧٦؛ الزركلي: الإعلام، ج٧، ص٢٢٧.

(٧) مصالة: هو مصالة بن حبوس بن منازل بن بهلول المكناسي أمير بربري من قبيلة مكناسة، أصبح أمير قبائل البربر في منطقة تازا، ولما استولى عبد الله المهدي على المغرب، أصبح مصالة من أكبر قواده، فولاه=

وقفوا إلى جانب أمويي الأندلس، فعندما سمعوا بمجيء الحملة الفاطمية غيروا مواقفهم، وأعلنوا الطاعة للفاطميين[١]، لكن مصالة لم يكتفِ بذلك بل حاصر فاس، وأجبر أميرها يحيى بن إدريس على دفع مبلغ من المال، وإعلان الولاء للفاطميين مقابل البقاء أميراً على فاس، وبعد ما حققه مصالة من انتصار ومد نفوذ للفاطميين في المغرب على حساب النفوذ الأموي غادر إلى إفريقية، بعد أن عقد لابن عمه موسى بن أبي العافية على باقي بلاد المغرب[٢].

وبفضل الدبلوماسيّة التي استخدمها عبد الرحمن الناصر في المغرب بعد خروج مصالة، تمكن من إعادة النفوذ الأموي إلى ما كان عليه قبل حملة مصالة، هذا العمل جعل الخليفة الفاطمي يرسل حملة ثانية بقيادة مصالة سنة ٣٠٧هـ/ ٩١٥م، وتمكنت من عزل يحيى بن إدريس عن حكم فاس[٣]، وتعيين حاكم فاطمي من قبل مصالة عرف بريحان الكتامي، الذي بقي يحكم فاس إلى أن ثار عليه الحسن بن محمد بن إدريس المعروف بالحجام سنة ٣١٠هـ/ ٩١٨م، وتمكن من قتل ريحان واسترداد فاس في العام نفسه، ومد نفوذه إلى البصرة وأزيلا وما حولهما[٤]، وفي سنة ٣١١هـ/ ٩١٩م، خرج الحجام لملاقاة موسى بن أبي العافية، فالتقى الجمعان على مقربة من وادي المطاحن ما بين فاس وتازا، وقتل في هذه المعركة عدد كبير من الطرفين وعلى رأسهم منهال بن موسى بن أبي العافية، ثم كانت العاقبة لموسى وفرار الحجام إلى فاس تاركاً قواته خارج المدينة[٥]، لكن عاملة على المدينة حامد بن حمدان الهمذاني خانه إذ دخل عليه ليلاً في داره وألقى القبض عليه وأرسل إلى موسى بن أبي العافية يخبره بما حل بفاس، فقدم موسى بجيوشه ودخل فاس، وأمر حامد بقتل الحجام ثأراً لابنه الذي قتل، لكن حامد صعب عليه قتل سيده فقام بتهريبه ليلاً من على سور المدينة فسقط وكسرت قدمه فمات بعد مدة قصيرة.

=المهدي على مدينة تاهرت وبعض مناطق المغرب الأوسط، توفي سنة ٣١٢هـ/ ٩٢٤م. الزركلي: الأعلام، ج٧، ص٢٢٧؛ ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٦٦؛ ابن خلدون: ج٦، ص١٧١.

(١) ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٢٢؛ السلاوي: الإستقصا، ج١، ص٢٤٠.

(٢) ابن عذاري: البيان، ج١، ص٢١٢؛ أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٧٠.

(٣) البكري: المغرب، ص١٢٦؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٢٢.

(٤) السلاوي: الإستقصا، ج١، ص٢٤٠؛ ابن أبي زرع: الأنيس، ص٨١– ٨٢.

(٥) السلاوي: الإستقصا، ج١، ص٢٤١.

أما حامد بن حمدان فقد هرب إلى المهدية خوفاً من موسى الذي أمر بقتله لعدم تمكنه من الحجام[١]، وانفرد موسى بعدها بحكم فاس وبلاد المغرب الأقصى[٢].

وبذلك خلع موسى طاعة الفاطميين، ودخل في طاعة الأمويين سنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م، مما جعل عبد الله المهدي يحشد جيشاً بقيادة حميد المكناسي لمحاربة موسى الذي هرب بعد صراع بين الطرفين إلى بلاد تسول[٣].

وبعد النصر الذي حققه حميد على موسى عين حميد على فاس حاكمها السابق حامد بن حمدون، الذي ثار عليه فيما بعد أحمد بن بكر بن عبد الرحمن الجذامي، وذلك في بداية حكم القائم بأمر الله، وتمكن الجذامي من قتل حامد وأرسل رأسه إلى موسى بن أبي العافية، الذي أرسله بدوره إلى الأندلس[٤].

هذه الأحداث أغضبت الخليفة القائم الذي أرسل حملة بقيادة ميسور الخصي سنة ٣٢٣هـ/ ٩٣٤م، حاصرت فاس وأسرت أحمد بن بكر الجذامي، وصالح أهلها على فدية يدفعونها للدولة الفاطمية ويعلنون التبعية لها.

بعد ذلك خرج ميسور من فاس لمحاربة موسى بن أبي العافية، فدارت بينهم حروب، كانت نهايتها انتصار ميسور الذي سانده الأدارسة فكافأهم على ذلك بأن أورثهم أملاك موسى الذي

---

(١) ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٢٢.

(٢) ابن عذاري: البيان، ج٤، ص٢١٣؛ السلاوي: الإستقصا، ج١، ص٢٤١؛ الزركلي: الأعلام، ج٧، ص٣٢٣.

(٣) تسول: تعرف بعين إسحاق، اتخذها موسى بن أبي العافية قاعة له بعد أن هُزم أمام جيوش الفاطميين، وهي مدينة حصينة فيها جامع وأسواق، وفيها عين ماء عذب بنى عليها موسى قبة خربها ميسور الخصي. البكري: المسالك والممالك، ج٥، ص٨٢٨.

(٤) ابن عذاري: البيان، ج١، ص٢١٤؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٦، ص١٧٦– ١٧٧؛ السلاوي: الإستقصا، ج١، ص٨٢.

هرب إلى الصحراء[١] إلى أن توفي سنة ٣٤١هـ/ ٩٥٣م، ليتولى أبناؤه من بعده حكم ما بقي لهم في المغرب[٢].

أما الأدارسة الذين ورثوا أملاك موسى بن أبي العافية في المغرب، أصبحوا تحت زعامة بني محمد بن القاسم، واشتهر منهم أبو العيش أحمد بن القاسم كنون، الذي قطع دعوة الفاطميين، وأعلن البيعة للأمويين في الأندلس، ويقال إنه مات شهيداً في جهاد الفرنجة سنة ٣٤٨هـ /٩٥٩م[٣].

فخلفه أخوه الحسن بن كنون[٤]، الذي اعترف أيضاً بالتبعية الأموية، وظلت العلاقة جيدة بين الطرفين إلى أن أرسل الخليفة الفاطمي المعز حملة عسكرية بقيادة قائده جوهر الصقلبي إلى المغرب الأقصى، فتمكن جوهر من بسط سيطرته على مناطق واسعة من المغرب بما فيها مناطق الأدارسة الذين أعلنوا الطاعة والبيعة للخليفة الفاطمي، لكنهم خلعوها وعادوا إلى الأمويين عندما خرج جوهر إلى إفريقية سنة ٣٤٩هـ/ ٩٦٠م، وهكذا كان الأدارسة يدخلون في طاعة ويخرجون من طاعة، حسب القوى والمصلحة، لا حباً بطرف دون آخر بل خوفاً منه، لأنهم هم دائماً مع الأقوى[٥].

وعند مجيء حملة بلكين بن زيري الصنهاجي إلى المغرب سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م، عاد الأدارسة إلى حضن الفاطميين بل قاتل الحسن بن كنون معهم[٦]، ضد الأمويين، وعندما عاد بلكين إلى إفريقية أخذ الحسن بن كنون يعمل لحسابه الخاص، فبسط نفوذه على الأقاليم

---

(١) ابن أبي زرع: الأنيس، ص٨٥– ٨٦؛ السلاوي: الإستقصا، ج١، ص٨٣.

(٢) ابن زرع: الأنيس، ص٨٦؛ السلاوي: الإستقصا، ج١، ص٨٣.

(٣) هنا خلاف حول خروج أحمد أبي العيش إلى الأندلس لمحاربة الفرنجة، فبعض المصادر تنكر ذلك. البكري: المغرب، ص١٣١.

(٤) الحسن بن كنون: هو القاسم بن محمد بن القاسم بن إدريس، وهو آخر ملوك الأدارسة في المغرب. السلاوي: الإستقصا، ج١، ص٢٥٣.

(٥) ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٤٧؛ طقوش: تاريخ الفاطميين، ص١٥٤– ١٥٦.

(٦) مؤلف مجهول: مفاخر البربر، ص٩٦– ٩٧.

الشمالية الغربية كافة من المغرب الأقصى[١] مستغلاً بذلك تقاعس الحكم المستنصر الأموي عن التدخل العسكري في المغرب الأقصى، وانشغال المعز لدين الله الفاطمي، بالتجهيز للرحيل إلى مصر، مما شغله عن أمور المغربين الأوسط والأقصى.

لم ينعم الأدارسة بما حققوه من نفوذ وتوسع في المغرب، لأن الحكم المستنصر بعد أن تخلص من العقبات والمشاكل الداخليّة والخارجيّة في الأندلس، أرسل حملة عسكريّة مدعومّة بأسطول ضخم سنة ٣٦٣هـ /٩٧٣م، إلى المغرب مستخدماً القوة العسكرية من جهة، والدبلوماسيّة من جهة ثانية[٢]، حتى تمكن من استعادة نفوذ الأمويين هناك. أما الحسن بن كنون هرب إلى بني زيري ثم توجه إلى مصر[٣]، ليكون بحماية الخليفة الفاطمي العزيز بالله ٣٦٥- ٣٨٦هـ/ ٩٧٥- ٩٩٦م[٤].

لم يقتصر عمل الخليفة عبد الرحمن الناصر على محالفة الدويلات المغربية في الشمال، بل تعداها إلى ما وراء ذلك، إلى قبائل البربر، ولاسيما قبيلة زناتة البربرية، التي عمل على تحريضها ودفعها إلى قتال قبيلة صنهاجة حليفة الفاطميين، داعماً بذلك من يقف معه بالمال والعتاد، فدخلت زناتة في حزبه وطاعته، وائتمرت بأمره، وخطبت له على المنابر، فدارت بسبب هذه التحالفات حروب طويلة، هلك من خلالها عدد كبير من ملوك الدعوتين وزعماء الطائفتين[٥].

---

(١) بدر، أحمد: تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري، دمشق، ١٩٧٤م، ص٩٦، (سيشار إليه بـ بدر: تاريخ الأندلس).

(٢) ابن حيان: المقتبس، تح: الحجي، ص٨٩- ٩٠؛ السلاوي: الإستقصا، ج١، ص٢٥٦؛ عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٤٨٢.

(٣) ذكرت بعض المصادر بأن الحكم المستنصر بعد أن تغلب على الحسن بن كنون، أخذه أسيراً إلى الأندلس مع أسرته وأصحابه، ونتيجة النفقات التي كانت تنفق عليه وعلى أسرته، جعلت الحكم المستنصر الأموي يأمر بطرده مع أصحابه من الأندلس. السلاوي: الإستقصا، ج١، ص٢٥٩.

(٤) ابن خلدون: تاريخ، ج٦، ص٢٩٢؛ ابن أبي زرع: الأنيس، ص٩٣؛ عنان: تاريخ الإسلام، ج١، ص٤٩٥- ٤٩٩.

(٥) مؤلف مجهول: مفاخر البربر، ص٩٤؛ الشطشاط: تاريخ الإسلام، ص١٦٨.

كما أرسل عبد الرحمن الناصر السفراء إلى بلاد المغرب، محملين بالهدايا والأموال إلى رؤساء القبائل البربرية سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م، لكسبهم إلى جانبه، وحشدهم ضد أعدائه، فكان من هؤلاء السفراء، القاضي محمد بن عبد الله بن أبي عيسى، الذي كان يتمتع بالحكمة والدبلوماسيّة، فدخل من خلاله عدد كبير من قبائل البربر في طاعة الخليفة الأموي، حتى أصبحت تتوافد على الخليفة وفود من شيوخ القبائل للتعبير عن ولائهم وطاعتهم، وعلى رأسهم محمد بن خزر زعيم زناتة، الذي أرسل عدة رسائل إلى الخليفة الأموي يطلعه فيها على ما حققه من انتصارات على أعدائه باسم الخلافة الأموية(١)، مجدداً له البيعة معترفاً بالخلافة الأموية دون غيرها داعين له في كل مناطق المغرب الأوسط ما عدا تاهرت التي بقيت فاطمية. ولم يتوقف الأمر عند هذا فقط بل تعداه إلى جلب فرسان قبيلة زناتة من المغرب إلى الأندلس، ليستعين بهم الناصر في حروبه ضد الخارجين والمتمردين عليه، فحقق من خلال هؤلاء انتصارات مكنته من بسط سيطرته على كامل الأندلس(٢) .

فوجد الناصر في هذه القبيلة السلاح الذي يستخدمه ضد الفاطميين، كما أن الزناتيين وجدوا في الناصر الحليف القوي الذي يعتمدون عليه أثناء مواجهتهم للفاطميين وحلفائهم من قبائل صنهاجة(٣).

حتى أن الخليفة الفاطمي عبد الله المهدي أرسل مرة كتاباً إلى محمد بن خزر الزناتي، حليف بني أمية في المغرب، يدعوه فيه إلى موالاته، مستعملاً في ذلك كل وسائل الإغراء والترغيب، مذكراً إياه بدخول أخيه فلفل بن خزر في خدمة الفاطميين، وطالباً منه افتتاح الخطبة باسمه

---

(١) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٩٤؛ عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٤٢٨.

(٢) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص٢٦٠– ٢٦٥؛ بدر: تاريخ الأندلس، ص٨٧؛ الخلف: نظم حكم، ج٢، ص٧١٤– ٧١٨.

(٣) كان لبني خزر مكانة محترمة عند أمراء بني أمية، إذ إن جد محمد بن خزر بن صولات بن وزمار كبير مغراوة، قد أسر أثناء الفتح العربي، فبعث إلى الخليفة، عثمان بن عفان ﷺ، فأسلم على يديه، وولاه على قومه، فاختص صولات وسائر مغراوة بولاء عثمان وأهل بيته من بني أمية. ابن حيان، المقتبس: ج٥، ص٢٥٧؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٦، ص١٥٢؛ السلاوي: الإستقصا، ج١، ص٢٠٦.

على منابر زناتة، وضرب العملة باسمه فقط، لكن زعيم زناتة رفض طلبه، واستمر على عهده للخليفة الأموي[١].

٤. تأييد الأمويين للثائرين على الفاطميين في بلاد المغرب:

يبدو أن الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر وجد في الثورات التي قامت في المغرب طريقة غير مباشرة لمد نفوذه هناك. فكان يؤيد ويدعم كل ثائر ضد الخلافة الفاطمية، فكان أخطر الثائرين أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني الخارجي[٢]، الذي بدأ يدعو لقتال الدولة الفاطمية بشكل سري في خلافة عبد الله المهدي مختفياً في جبال الأوراس[٣] في المغرب الأوسط، وتمكن هذا الرجل من حشد عدد كبير من القبائل الأوراسية ضد السلطة المركزية في المهدية، فلقيت دعوته قبولاً واسعاً بين هذه القبائل التي كانت تعيش حياة بسيطة بعيدة عن أبسط مقومات الحياة[٤]. وظل أبي يزيد مخلد متربصاً في جبال الأوراس ينتظر الفرصة المناسبة ليعلن ثورته[٥]، وعندما حان الوقت المناسب وذلك بعد وفاة الخليفة عبد الله المهدي وتسلم ابنه القائم بأمر الله، سنة ٣٣١هـ/ ٩٤٢م[٦]، وتمكن أبا يزيد خلال مدة قصيرة من اجتياح مناطق واسعة، والسيطرة على رقادة والقيروان وإباحتها لأتباعه، كما حقق انتصارات عدة على جيش القائم بقيادة ميسور الفتى الذي قُتل في إحدى المواجهات، ليصل بعدها أبي

---

(١) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص٢٦٥.

(٢) هذه الثورة جزء من الصراع بين قبيلة زناتة التي ينتمي إليها مخلد بن كيداد، وقبيلة صنهاجة حليفة الفاطميين وعدوة الأمويين . الباحث.

(٣) الأوراس: سلسلة جبلية حصينة، تقع شمال المغرب العربي، وتمتد في الجزائر على طول ساحل البحر المتوسط جنوبي قسنطينة وتنتهي بالغرب بتلال الزاب القليلة الارتفاع وتمتد سفوح أوراس من الغرب الجنوبي إلى الصحراء الكبرى. ومن هذا الجبل قام أبو يزيد مخلد بن كيداد الزناتي النكاري في سنة ثلاث وثلاثمائة واستفحل أمره وعظم شأنه واستولى على مساحات واسعة من البلاد الإفريقية. الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٢٧٨؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، ج١، ص١٣٠؛ موقع الإسلام: تعريف بالأعلام، ج١، ص٤٠٠.

(٤) القرشي: عيون الأخبار، ج٥، ص١٧٢– ١٨٥؛ ابن الأبار: الحلة، ص٢٩٠.

(٥) ابن عذاري: البيان، ج١، ص٢١٦؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص٧٥.

(٦) ابن عذاري: البيان، ج١، ص٢١٦؛ الدرجيني: طبقات، ص٥٣– ٥٤.

يزيد إلى أبواب المهدية فارضاً حصاراً عليها سنة ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م[١]. وعندئذ لم يجد الخليفة القائم منقذاً له سوى الاستنجاد بحلفائه من زعماء كتامة وصنهاجة وعلى رأسهم زيري بن مناد.

أما أبو يزيد فقد أرسل الرسل إلى سيد قرطبة عبد الرحمن الناصر، يحملون له أخبار الانتصارات التي حققها على الفاطميين، خاطبين وده، داعين له على منابر المدن التي سيطر عليها أبو يزيد، طالبين من الخليفة المساعدة، واستمر أبو يزيد بإرسال الرسل والسفارات إلى الأندلس طالباً العون ومعلناً التبعية، فما كان من عبد الرحمن الناصر إلا أن يتدخل في الحرب إلى جانب أبو يزيد بشكل مباشر وإيجابي، مقدماً كل ما تطلبه الحرب من مال وعتاد، حتى أنه صك النقود لأبي يزيد في دار السكة بقرطبة، على الرغم من أن هذا العمل يكلف الناصر مبالغ كبيرة من ذهب خزينة الدولة، وربما لم يتوقف الأمر عند ذلك، بل تعداه إلى إرسال قوات من الأندلس تقاتل مع أبو يزيد[٢]، في بلاد إفريقية والمغرب، هادفاً من ذلك بسط نفوذه على هذه المناطق التي سيطر عليها أعداؤه التقليديون الأدارسة والفاطميون.

مثلت هذه الثورة النفوذ الأموي في المغرب، وقلصت النفوذ الفاطمي، بل كادت أن تنهي الوجود الفاطمي لولا الدعم الصنهاجي والكتامي للخليفة الفاطمي المنصور بن القائم، الذي تمكن من القضاء على هذه الثورة وقتل قائدها سنة ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م، بعد أن استمرت مدة من الزمن[٣].

٥. السيطرة على الثغور المغربية المطلة على مضيق جبل طارق:

لم يكتف عبد الرحمن الناصر بأسلوب التحريض والدعم الحربي والمادي والنشاط الدعائي في الغرب ضد الفاطميين، بل تعداه إلى حماية الثغور الجنوبية للأندلس ضد أي خطر قد يأتي من الفاطميين نحو الأندلس من جهة، واحتلال بعض الثغور الواقعة على الساحل المغربي المواجهة للشاطئ الأندلسي من جهة ثانية، كون المناطق الساحليّة المغربيّة المواجهة

---

(١) ابن خلدون: تاريخ، ج٧، ص١٨- ٢٢؛ ابن الأبار: الحلة، ص٢٩٠؛ ابن عذاري: البيان، ج١، ص٢١٦- ٢١٨؛ القرشي: عيون الأخبار، ج٥، ص١٩٩- ٢٠٣؛ الأنطاكي: تاريخ، ص٥٦- ٥٧.

(٢) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص٢١٢.

(٣) الذهبي: العبر، ج٢، ص٦٢؛ القرشي: عيون الأخبار، ج٥، ص١٩٩- ٢٠١.

للسواحل الأندلسيّة هي البوابة التي دخلت منها الفتوحات الإسلاميّة إلى الأندلس، ومن خلالها يمكن أن يهاجم الفاطميين الأندلس.

فبدأ عبد الرحمن الناصر باحتلال مدينة مليلة سنة ٣١٤هـ/ ٩٢٦م[١]، وبعد خمس سنوات أرسل أسطولاً بحرياً بقيادة عامله على الجزيرة الخضراء أمية بن إسحاق القرشي للسيطرة على مدينة سبتة فدخلها أمية بدون قتال، وتسلم المدينة من أميرها الرضي بن عصام[٢] سنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م[٣]، حيث أرسل أهلها وفداً إلى عبد الرحمن الناصر يطلبون الدخول في طاعته، مقابل حمايتهم من الفاطميين وأعوانهم، فما كان من الناصر إلا أن أرسل رجلاً من قبله يتولى شؤون المدينة، ويقدم الدعم لحمايتها من أي خطر خارجي، فأصبحت هذه المدينة المغربية بموقعها، الأندلسية بتقاليدها ومواهبها، تابعة للخليفة الأموي، الذي استعمل عليها فرج ابن عفير[٤]، ولكن الأدارسة هاجموها أكثر من مرة لأنهم أرادوا السيطرة عليها فدافع عنها أهلها وبالتعاون مع جنود الأندلس الموجودين فيها، فتمكنوا من رد الأدارسة الذين لم يجدوا إلا أن يعترفوا بطاعة الناصر خاطبين وده ورضاه، وبقيت هذه المدينة تابعة للناصر حتى سنة ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م[٥].

---

(١) عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٤٢٦؛ السامرائي: تاريخ العرب، ص٤١٢؛ الخلف: نظم حكم، ج١، ص٤٢٦.

(٢) بنو عصام: يعود أصلهم إلى رجل بربري يدعى ماجكس الغماري، الذي أعاد بناء سبتة بعد أن خربها المتمردون أثناء ثورة ميسرة المطغري سنة ١٢٢هـ/ ٧٣٩م، فأسس إمارة صغيرة فيها توارثها أبناؤه من بعده، وكان آخرهم الرضي بن عصام، وكانوا يقدمون ولائهم للأدارسة ثم للأمويين. ابن عذاري: البيان، ج١، ص٢٠٣؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٦، ص٢٨٣؛ البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص٧٨١.

(٣) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص٢٩٨؛ ابن عذاري : البيان، ج١، ص٢٠٠؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص١٨١.

(٤) ابن عذارى: البيان، ج١، ص٢٠٤؛ البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص٧٨١؛ ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص٢٩٩.

(٥) ابن عذاري: البيان، ج١، ص٢٠٤.

وبعد السيطرة على مدينة سبتة كلف عبد الرحمن الناصر، حليفه موسى بن أبي العافية باقتحام جزيرة أرشقول[١]، التي تحصن بها الحسن بن عيسى بن أبي العيش الإدريسي المخالف لحلفاء الناصر في المغرب، فأرسل الناصر أسطولاً حربياً لمساعدة موسى في اقتحام أرشقول، حيث حاصرها الأسطول الأندلسي مدة طويلة، ولم يتمكن من دخولها إلا بعد خمس سنوات من ذلك، إذ عاد الأسطول الأندلسي بعد أن تمكن من السيطرة عليها سنة ٣٢٥هـ/ ٩٣٧م[٢].

ولم يتوقف عبد الرحمن الناصر عند هذه الجزيرة، بل وسع دائرة نفوذه لتشمل مدينة أزيلا (أصيلا) التي أرسل إليها أسطولاً بقيادة عبد الملك بن سعيد بن أبي حمامة سنة ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م، فدخلها وأخذ منها رهائن عند عودته إلى المرية، ليضمن طاعتهم[٣].

وفي العام التالي سنة ٣٢٣هـ/ ٦٣٥م، عاد الأسطول الأموي إلى شواطئ المغرب لإتمام سيطرته على ما تبقى من مدن الساحل المطلة على سواحل الأندلس، حيث توجد مدينة طنجة المهمة، والتي أسرع سكانها لإعلان البيعة والطاعة للعاهل الأندلسي، حينما استولى أسطوله على سبتة [٤].

وبعد أن استولى الناصر على كل هذه الثغور البحرية المغربيّة، أصبح يتحكم بسواحل البحر المتوسط، مما جعله يتدخل في شؤون المغرب تدخلاً مباشراً، كما حول هذه الثغور إلى مراكز دفاعية تحميه من هجمات الفاطميين وحلفائهم[٥].

---

(١) أرشقول: مدينة في ساحل تلمسان، من أرض المغرب، على نهر تافنا، بينها وبين البحر مسافة قليلة. الحميري: الروض المعطار، ص٢٦؛ البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص٧٤٧– ٧٤٨.

(٢) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص٢٨٨؛ السامرائي: تاريخ العرب، ص١٧٣.

(٣) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص٣٤٧.

(٤) السامرائي: تاريخ العرب، ص١٧٣.

(٥) المقري، أحمد بن محمد التلمساني: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تح: مصطفى السقا، وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٣٩م، ج٢، ص٢٥٧، (سيشار إليه بـ المقري: أزهار الرياض)؛ العبادي: دراسات، ص٧٣– ٧٤؛ سليمان، معن: العلاقات الخارجية للخلافة الفاطمية، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة دمشق، ٢٠٠٦م، ص٢٠٤، (سيشار إليه بـ سليمان: العلاقات الخارجية).

٦. تحالف الناصر مع أعداء الدولة الفاطمية:

لم يوفر الأمويين في الأندلس أية وسيلة أو أسلوب في صراعهم مع الفاطميين إلا استخدموه ضدهم، فعقد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر عدة تحالفات مع قوى ودول ترتبط معه في عداء مشترك ضد الدولة الفاطمية، مستنداً على مبدأ عدو عدوي صديقي، فأرسل السفارات والرسل المحملين بالأموال والهدايا إلى حكام مصر الإخشيديين، يحثهم على الوقوف في وجه الاعتداءات الفاطمية المتكررة على مصر من جهة، ويحرض فقهاء المذهب المالكي لمحاربة الدعوة الفاطمية في مصر، مستغلاً العلاقة السيئة بين المالكية[١]، ومذهب الفاطميين من جهة ثانية[٢].

ومن جانب آخر لجأ عبد الرحمن الناصر إلى تكوين أحلاف مناهضة للخليفة الفاطمي، كان أولها مع الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع[٣]، الذي ربطته به علاقة ودية، وعلاقة عدائية مع الفاطميين، وذلك لسيطرتهم على جزيرة صقلية التي يعدها قسطنطين جزء من الإمبراطورية البيزنطية.

---

(١) كان رأس المالكية في مصر آنذاك القاضي محمد بن القاسم بن شعبان بن ربيعة، أبو إسحاق، المعروف بالقرطبي الأندلسي، عرف بكرهه للمذهب الفاطمي، وقيل أنه تمنى الموت قبل أن يدخل الفاطميين مصر، فكان له ذلك، فقد توفي فعلاً في سنة ٣٥٥هـ/ ٩٤٦م، أي قبل دخولهم مصر بثلاث سنوات. ابن الآبار: الحلة، ج١، ص٢٠١؛ العبادي: دراسات، ص٧٨.

(٢) ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد: الديباج الذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: محمد الأحمدي، دار التراث، القاهرة، د. ت، ج٢، ص١٩٤– ١٩٥، (سيشار إليه بـ ابن فرحون: الديباج المذهب).

(٣) قسطنطين السابع: الابن الوحيد للإمبراطور ليون السادس، أطلق عليه لقب بررفيروجنيتوس، أي صاحب اللباس الأرجواني، تولى الحكم سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٤م، وهو في الأربعين من عمره، اهتم بالعلم والأدب، وأصدر عدة مؤلفات، توفي سنة ٣٤٨هـ/ ٩٥٩م. عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٤٥٣؛ عمران، محمود سعيد: إدارة الإمبراطورية البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت،١٩٨٠م، ص٣٧– ٤٩، (سيشار إليه بـ عمران: إدارة الإمبراطورية).

هذا الأمر أدى إلى التقارب بين بيزنطة والأندلس، وعقد معاهدة وتم تبادل عدة سفارات حددت العلاقة المشتركة بين الطرفين ضد الدولة الفاطمية[١].

وذكرت المصادر عن وصول عدة سفارات بيزنطية إلى الأندلس، الأولى كانت سنة ٣٣٦هـ / ٩٤٥م[٢]، حيث بالغ الناصر في استقبال السفراء البيزنطيين، فهالهم ما شاهدوه من الحفاوة والترحيب وحسن الاستقبال، حيث أمر الناصر بتزيين القصر بأفضل الزينة، وحضر الوزراء وعمال القصر في صالة الاستقبال لاستقبال الرسل، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على رغبة الناصر في كسب صداقة البيزنطيين ضد الفاطميين من جهة، ورفع مكانة الإسلام والخلافة الأموية بين دول العالم من جهة ثانية[٣]. كما بادر الناصر إلى إرسال بعثة عربية إلى بيزنطة بقيادة هشام بن هذيل، حمل جواباً للإمبراطور البيزنطي يؤكد فيها توثيق العلاقات بين البلدين، وعند عودة البعثة العربية عادت ومعها نظيرتها السفارة البيزنطية الثانية، سنة ٣٣٨هـ/ ٩٤٩م[٤]. وقد حملت كتب إلى الناصر بعضها مكتوب بماء الذهب، وعليها طابع من ذهب زنته ربع مثقال.

كما دخل إلى الأندلس عن طريق هذه السفارة بعض المؤلفات المهمة، منها كتاب الأدوية المفردة لديسقوريدس Discoridis باللغة الرومانية، وكتاب التواريخ السبعة لأورسيوس Oresios باللغة اللاتينية[٥].

---

(١) عطا الله، خضر أحمد: علاقات الدولة الفاطمية بالدول الإسلامية والأجنبية، دار ابن زيدون، ط١، بيروت، د. ت، ص١٢، (سيشار إليه بـ عطا الله: علاقات الدولة الفاطمية)؛ بدر: تاريخ الأندلس، ص١٣٧.
– Dozy: R. Histoire des Musulmans, T. 2. P. 159.

(٢) عند ابن عذاري في البيان ذكر تاريخ السفارة الأولى سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م، والثانية ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م. ابن عذاري: البيان، ج٢، ص٢١٣.

(٣) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٦٤– ٣٦٨.

(٤) الفقي: تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٠٣– ٢٠٤.

(٥) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص٢١٥؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص١٨٣؛ عبد اللطيف، عبد الشافي محمد: السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، دار السلام، ط١، القاهرة، ١٤٢٨هـ، ص٣٢٦، ٣٧٢، (سيشار إليه بـ عبد اللطيف: السيرة النبوية).

أما عن مضمون الاتفاق، فلم تذكر المصادر الأندلسية شيئاً، بينما المصادر الإسماعيلية أكدت وجود اتفاق حربي مشترك بين الطرفين ضد الفاطميين، حيث يقول القاضي النعمان في المجالس والمسايرات: " كتب الناصر إلى طاغية الروم يسأله النصرة، وأهدى إليه هدايا وأرسل إليه رسلاً من قبله فأجابه إلى ذلك، وجاءت أساطيل الروم من القسطنطينية، ومراكب بني أمية من الأندلس"(١).

وربما لم يكن الاتفاق بين الناصر والبيزنطيين يقوم على التعاون الحربي المشترك كما ذكر النعمان، بل يقوم على شل حركة البحرية الفاطمية في البحر المتوسط، أي ترك الحرية للإمبراطورية البيزنطية في قتال الفاطميين في جزيرة صقلية، حيث يهاجم الأسطول الأموي في نفس الوقت على سواحل وموانئ إفريقية(٢).

كما تحالف الناصر مع حكام إيطاليا، وخاصة مع الملك هوج دي بروفانس Huges de provence، الذي كان حاقداً على الفاطميين بسبب هجماتهم المتكررة على المدن الإيطالية، وتخريب ميناء جنوة(٣)، سنة ٣٢٣هـ / ٩٣٤م، والتعرض للسفن الإيطالية في البحر المتوسط، مما أضعف النشاط الاقتصادي الإيطالي، وأدى إلى تحول طرق التجارة عن الكثير من المدن الإيطالية، إضافة إلى قطع العلاقات التجارية بين هذه المدن والدولة البيزنطية آنذاك(٤).

---

(١) القاضي النعمان: المجالس، ص١٦٦.

(٢) العبادي: في التاريخ العباسي والأندلسي، ص٣٥٢.

Levi- Provencal: Histoire des Musulmans, T.2. p. 144- 145.

(٣) جنوة: مدينة قديمة، تقع شمال غربي إيطاليا على البحر المتوسط، على الخليج المسمى باسمها، بناءها قديم وجميل، واشتهر أهلها بالتجارة براً وبحراً، عندهم أسطول معروف بالحيل الحربية والآلات السلطانية. الحميري: الروض المعطار، ص١٧٣. موقع الإسلام: تعريف بالأعلام، ج١، ص٤٣٣.

(٤) ابن عذاري: البيان، ج١، ص٢٠٩؛ ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص١١٥؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٥٢؛ لويس: القوى البحرية، ص٢٣٤- ٢٣٥؛ دياب: الدولة الفاطمية، ص٢٥؛ سيسالم: جزر الأندلس المنسية، ص١٠٣.

رابعاً . الصراع البحري بين الفاطميين والأمويين :

لم يتوقف الصراع الأموي الفاطمي عند الحرب الباردة القائمة على دعم الثورات وإثارة الفتن بين قبائل البربر، وإرسال الدعاة والجواسيس، واحتلال المواقع والثغور، والتسابق لدعم وتسليح الحلفاء، بل تطور الأمر إلى الصراع المسلح بينهما، وخاصة في عهد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله، حيث احتدم النزاع فوصل إلى أعلى درجاته، فاتخذ مظهرين: الأول عسكري، والثاني دعائي مذهبي.

فالعسكري يشمل الصراع البري الذي تمثل بالحملات التي أرسلها المعز إلى المغربين الأوسط والأقصى، آخرها حملة جوهر الصقلبي سنة ٣٤٧هـ / ٩٥٨م، ويشمل أيضاً الصراع البحري كون الدولتين تشرفان على سواحل طويلة على البحر المتوسط، هذا حتم عليهما امتلاك قوة بحرية قادرة على حماية هذه السواحل من أي خطر محتمل، سواء كان هذا الخطر يتمثل باعتداء أحدهما على الآخر أو مواجهة الشواطئ البيزنطية شرقاً، في مقابل جزيرة كريت وصقلية، وجنوب إيطاليا أو الشواطئ الفرنسية والإيطالية مع جزر كورسيكا وسردينيا المواجهة لشرق الأندلس، إضافة إلى شواطئ المحيط الأطلسي الأندلسية التي تتعرض إلى الاعتداءات النورماندية[١].

فكان أول صدام بحري مسلح بين الفاطميين والأمويين سنة ٣٤٤هـ / ٩٥٥م، حيث أمر الناصر بإنشاء سفينة كبيرة لم يُصنع مثيلها في دار الصناعة في المرية[٢]، وقيل أن هذا المركب خاص للخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر، أرسله إلى الشرق بغرض التجارة له، وفي طريق العودة من الإسكندرية لقي في البحر مركباً فاطمياً قادماً من جزيرة صقلية يحمل كتباً أو رسالة للخليفة الفاطمي المعز لدين الله، من والي صقلية الحسن بن علي بن أبي الحسن

---

(١) بيضون: الدولة العربية، ص٣١٤.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٥٣- ٢٥٤؛ أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص١٠٠؛ مجموعة من الباحثين: الموسوعة التاريخية، إشراف: علوي السقاف، موقع الدرر السنية على النت، ١٤٣٣هـ، ص٩٤، (سيشار إليه بـ مجموعة من الباحثين: الموسوعة التاريخية)؛ الفقي: تاريخ المغرب والأندلس، ص١٩٩.

الكلبي[١]، فاعترض المركب الأموي المركب الفاطمي وصادر ما فيه، حتى الرسالة الخاصة بالخليفة المعز[٢]، ومع أن هذا الحادث قد يكون حدث بمحض الصدفة، ولم يكن عمل مبيت له[٣]، ولا يُعدّ من الحوادث الخطيرة مقارنة بما كان يحدث بين الطرفين في بلاد المغرب، إلا أن المعز اعتبره تحدياً للبحرية الفاطمية، وانتهاك لسواحلها، ومقدمة لأعمال تخريبية أخرى قد يقومون بها .

فكان رد المعز سريعاً وقوياً إذ أمر بإعداد حملة بحرية مؤلفة من الأسطول الراسي في المهدية وجزيرة صقلية، مستعملاً عليه الحسن بن علي الكلبي أمير صقلية[٤]، فانطلق الأسطول وراء المركب الأموي الآثم لينتقم منه على ما قام به، واسترجاع ما أخذه، وخاصة الرسالة الخاصة

---

(١) الحسن الكلبي: أول الأمراء الكلبيين في صقلية، كان في بداية الأمر قائداً في جيش المنصور الفاطمي، ولنشاطه استعمله والياً على الجزيرة سنة ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م، تمكن من قمع الفتن والثورات التي قامت في الجزيرة، كما تصدى لهجمات الأسطول البيزنطي على الجزيرة وعند وفاة المنصور، غادر الجزيرة تاركاً عليها ابنه أحمد ابن الحسن، وبقي مدة في المهدية ثم عاد إلى الجزيرة ليواجه غزاوت البيزنطيين محققاً عليهم انتصارات باهرة، توفي الحسن سنة ٣٥٢هـ/ ٩٦٣م. ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٢٢– ٢٢٥؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٢٦٦؛ الزركلي: الأعلام، ج٢، ص٢٠١.

(٢) سرور، محمد جمال الدين: سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٦م، ص٢٢٠، (سيشار إليه بـ سرور: سياسة الفاطميين).

(٣) حسب رواية النعمان في المجالس والمسايرات، يبين أن هذا العمل عبارة عن غارة مقصودة، ولكن من خلال الروايات والمصادر التي ذكرت هذه الحادثة تبين أن المركب الأموي كان متجها إلى الشرق بغرض التجارة، حيث باع واشترى من الإسكندرية ثم عاد، وفي طريق العودة أي في المياه الإقليمية الفاطمية، ما بين إفريقية وجزيرة صقلية كان الحادث، لذا يكون المركب الفاطمي أقرب إلى أصحابه من المركب الأموي، فتكون النجدة له أسرع. وربما هذه الحادثة لم تكن عرضية كما يراها البعض، أي أن السفينة الفاطمية التي هاجمها الأندلسيون لم تكن مجهولة لهم، فقد كان الناصر يدرك أطماع الفاطميين في الأندلس، ولابد أنه قد وضع بعض السفن الاستطلاعية تراقب نشاط الفاطميين البحري، فعثرت إحدى هذه الدوريات الموجودة في البحر على السفينة الفاطمية واستولت عليها.

Dozy: R. Histoire des Musulmans, T.2, p. 160.

(٤) أماري، ميشيل: المكتبة العربية الصقلية، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٧٠م، ص٣١٢، (سيشار إليه بـ أماري: المكتبة الصقلية).

بالمعز ذات الأهمية الكبيرة التي جعلت المعز يرد فوراً على هذا الاعتداء، وقد تتضمن هذه الرسالة خطة الهجوم الفاطمي على الأندلس[١].

تمكن الأسطول الفاطمي من اللحاق بالمركب الأموي الذي وصل لتوه إلى ميناء المرية، أهم ميناء بحري أموي على السواحل الشرقية للأندلس ومجمع المراكب والأساطيل الأموية، ودار صناعة السفن. ولم يكتفِ جنود الأسطول الفاطمي بإحراق المركب الأموي واسترجاع ما استولى عليه من المركب الفاطمي، بل اقتحموا ميناء المرية وأحرقوا ما فيه من سفن ومعدات بحرية وخزائن وذخائر، وعاثوا في المدينة فساداً، ثم عادوا إلى شواطئ إفريقية وصقلية محملين بالغنائم والأسرى[٢].

وربما كان عامل المفاجأة هو السبب في نجاح الأسطول الفاطمي، مع العلم أن المعز كان يدرك تماماً القوى البرية والبحرية التي يمتلكها خصمه، بالإضافة إلى الجهود التي كان يبذلها الناصر للمحافظة على نفوذه في المغرب الأقصى والتصدي لأي هجوم فاطمي سواء كان عن طريق البر أو البحر[٣].

هذا الانتصار البحري الذي حققه الخليفة الفاطمي المعز على شواطئ الأندلس أقلق الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر، وقد يؤثر هذا على نفوذه وهيبته أمام رعاياه، ويثير الخوف والهلع في قلوب حلفائه ومن والاه، لذلك جاء رده على ثلاث محاور: عسكري وسياسي ودعائي.

فالمحور الأول الرد العسكري الفوري: رد بشكل فوري على حملة الحسن بن علي الكلبي البحرية على المرية، حيث جرد الناصر حملة بحرية معاكسة، أوكل قيادتها لخادمه غالب بن

---

(١) العدوي: الأساطيل العربية، ص١١٦.

Dozy: R. Histoire des Musulmans, T.2, p.160.

(٢) القاضي النعمان: المجالس، ص١٦٥؛ أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص١٠٠- ١٠١. ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٥٤؛ طقوش: تاريخ المسلمين، ص٣٢٥؛ مصطفى: الأندلس، ص٤٧.

Dozy: R. Histoire des Musulmans, T.2, p. 160-165.

(٣) الدشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٣٣٦- ٣٣٨.

عبد الرحمن الناصري[١]، اتجهت إلى سواحل إفريقية، لكنها لم تحقق هدفها بسبب الاستعدادات الفاطمية على السواحل، إذ كان يدرك المعز بأن الناصر لن يسكت على ما حدث في المرية[٢].

وفي العام التالي أي سنة ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م، أعاد الناصر الكرة، فكلف غالب بقيادة حملة بحرية ثانية مؤلفة من سبعين سفينة حربية مجهزة بكل وسائل الحرب، اتجهت إلى السواحل الإفريقية، وعلى الرغم من استعدادات المعز لمواجهة الأسطول الأموي إلا أن الأسطول المهاجم حقق بعض الانتصارات على الفاطميين، حيث دخل مرسى الخزر[٣] وأشعل النار فيه، فيه، وخرب أجزاء من مدينة سوسة، ثم انتقل إلى مدينة طبرقة[٤] وخربها أيضاً[٥].

وفي سنة ٣٤٧هـ / ٩٥٨م، أعد الناصر حملة بحرية ثالثة بقيادة أحمد بن يعلى بن محمد اليفرني قائد الشرطة في الأندلس، اتجهت إلى سواحل إفريقية، وعبرت البحر إلى سبتة ومنها

---

(١) غالب: أحد أمراء البحر ومولى الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر، ارتقى في عهد الخليفة الحكم المستنصر وأصبح من أبرز رجاله، وشغل حكم الثغر الأعلى، تزوج من ابنة الحاجب المنصور (أسماء)، لكن خلاف حدث بينهما أدى إلى مقتل غالب سنة ٣٧٠هـ/ ٩٨١م. ابن حيان: المقتبس، تح: الحجي، ص٦٩؛

(٢) القاضي النعمان: المجالس، ص١٦٦؛ أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص١٠١؛ ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٥٤.

(٣) مرسى الخزر: موقع على ساحل إفريقية، بينه وبين بونة ثلاثة أيام، منه يستخرج المرجان، فيجتمع فيها التجار من أجل الحصول على المرجان، الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص١٠٦؛ القزويني: آثار، ص٢٦١؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، ج٣، ص١٢٥٦– ١٢٥٧.

(٤) طبرقة: مدينة على ساحل البحر بالقرب من باجة، بينها وبين بنزرت سبعون ميلاً، فيها آثار كثيرة، وبالقرب منها مدينة مرسى الخزر، وبها نهر كبير تدخله السفن الكبيرة، وفيها يكثر المرجان. الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص١٦؛ الحميري: الروض المعطار، ص٣٨٦؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، ج٢، ص٨٧٨. مؤلف مجهول: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تح: يوسف الهادي، دار الثقافة للنشر، القاهرة ١٤٢٣هـ، ص١٨٠، (سيشار إليه بـ مجهول: حدود العالم)؛ العفيفي: موسوعة، ص٣٢٦.

(٥) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص٢٢١؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٥٩.

إلى بلاد المغرب فأجبرت الفاطميين على التراجع إلى إفريقية، ثم عاد إلى قرطبة بعد أن وطد النفوذ الأموي في المغرب[١].

وفيما يتعلق بالجانب السياسي، فقد شمل أمرين:

– الأول يتعلق بالتحالفات السياسية مع القوى الأجنبية، حيث عقد عبد الرحمن الناصر عدة تحالفات مناهضة للدولة الفاطمية، منها مع الإمبراطور البيزنطي وأخرى مع جنوب إيطاليا، وقد سبق ذكرهما عنها.

أما الثاني محاولة عبد الرحمن الناصر عقد صلح مع الفاطميين ليؤمن جانبهم ويتفرع لمحاربة الجبهة الشمالية من الأندلس التي أشعلتها مملكة ليون[٢]، من جهة، وخوفه من عقد اتفاق ما بين المعز الفاطمي والروم من جهة ثانية، فأرسل أحد رجاله إلى المهدية يحمل كتاباً إلى بعض رجال الخليفة الفاطمي، يطلب فيه الصلح ووقف سفك دماء المسلمين والحفاظ على مصالحهم، لكن المعز رفض طلب الصلح، ربما لأنه كان على اطلاع من خلال جواسيسه وعيونه المنتشرين في الأندلس على ما كان يتعرض له الخليفة الأموي من صعوبات وخاصة مع مملكتي ليون وبمبلونة[٣]

---

(١) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص٢٢١– ٢٢٢؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص١٤٥؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٥٩؛ الخلف: نظم حكم، ج٢، ص٨٨٤؛ عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٤٢٧؛ مسعد: العلاقات، ص٩٩؛ التازي، عبد الهادي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، مطابع فضالة، المملكة المغربية، ١٩٨٧م، مج٤، ص١٩٥، (سيشار إليه بـ التازي: التاريخ الدبلوماسي).

(٢) ليون: مدينة تقع شمال غرب إسبانيا، وهي من أعظم مدن الجلالقة الذين يتميزون بشدة الأبدان وبياض الوجه، شكلوا مملكة منفردة عن الروم الفرنجة، وهي اليوم إحدى الولايات الإسبانية. العزيزي، الحسن بن أحمد: المسالك والممالك (كتاب العزيزي)، جمع وتعليق: تيسير خلف، د. ت، ص٥٧، (سيشار إليه بـ العزيزي: المسالك والممالك)؛ موقع الإسلام: تعريف بالأعلام، ج٢، ص٢٨٦.

(٣) بمبلونة (بنبلونة): عاصمة مملكة نافار، تبعد عن مدريد اليوم مسافة ٣٥٠كم، على الضفة اليمنى لأحد فروع نهر إيبروا، تبعد عن سرقطة ١٢٥ ميلاً، وهي بين جبال شامخة وشعاب غامضة قليلة الخيرات. الحميري: الروض المعطار، ص١٠٤؛ الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص٥٥؛ الخلف: نظم حكم، ج١، ص٢٢٦؛ موقع الإسلام: تعريف بالأعلام، ج١، ص٣٣٦؛ زكار: الموسوعة، ج٢، ص٩٦؛ الفقي: تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٠٠– ٢٠٤.

المسيحيتين شمال الأندلس[١].

وجاء رد المعز في كتاب المجالس والمسايرات: "... وأما ما دعا إليه السلم والكف والموادعة والصلح وهو يزعم أنه أمير المؤمنين – كما تسمى دون من سلف من آبائه– وإمام الأمة بدعواه وانتحاله، ونحن نقول: أننا أهل ذلك دونه ودون سواه، ونرى أن فرض الله علينا محاربة من انتحل ذلك دونه ودون من سواه ...، وما أنا بالمداهن في سبيل الله، ولا بالراكن بالمودة إلى أعداء الله، ولا بالمخادع في أمر من أمور الله عز وجل...، أرجع جوابي هذا إليه، فما له عندي سواه، وما لي من الأمر شيء، إن الأمر كله لله، عليه توكلت وإليه أنيب..."[٢].

ثم صرف رسول الناصر وأمر الذي جاءته كتب الناصر من رجاله أن يرد عليها بأسلوب غليظ شديد اللهجة .

ربما كان هدف المعز لدين الله من الرد السلبي الحط من شأن عبد الرحمن الناصر بشكل خاص، والأمويين في الأندلس بشكل عام، وإظهار نفسه فوق خصمه، لكن عبد الرحمن الناصر كان راغباً في المصالحة على الرغم من رفض طلبه من قبل المعز لدين الله الفاطمي، فاستمر بإرسال الرسائل والوسائط راغباً في المصالحة ووقف سفك دماء المسلمين من جهة، والتفرغ لمحاربة مملكة ليون، والانتهاء من بناء الأسطول الأموي الضخم ليستخدمه في حروبه البحرية من جهة ثانية .

لكن المعز لدين الله رأى أن الناصر يهدف من ذلك إضاعة الوقت على الفاطميين وحصر الخلاف معهم على الجدل السياسي فقط، ويحول وجهته إلى ما هو أهم[٣]. بعد هذه المحاولات أدرك عبد الرحمن الناصر بأن لا صلح مع الفاطميين، فبدأ بإعداد حملة مؤلفة من قوات برية وبحرية أرسلها إلى المناطق الخاضعة للنفوذ الفاطمي في المغرب، سنة ٣٤٦هـ /

(١) طقوش: تاريخ المسلمين، ص٣٢٧– ٣٢٨.

(٢) القاضي النعمان: المجالس، ص١٦٨– ١٦٩.

(٣) القاضي النعمان: المجالس، ص١٧٣.

٩٥٧م، وقد حققت هذه الحملة الأموية نصراً، ودخلت مناطق شاسعة، كما أثارت سخط أهل المغرب على الفاطميين[١].

هذا العمل أغضب المعز لدين الله، فأرسل جيشاً جراراً بقيادة قائده جوهر الصقلبي سنة ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م، تمكن من إعادة هيبة الفاطميين بين القبائل البربرية، والسيطرة على مناطق واسعة من المغربين الأوسط والأقصى، وحصر النفوذ الأموي في سبتة وطنجة فقط[٢]، وبقي النفوذ الأوسع للفاطميين إلى أن تمكن ابن الناصر الخليفة الحكم المستنصر بعد صراعات طويلة من إعادة النفوذ الأموي هناك سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٣م[٣].

وفيما يخص التصرف الدعائي فقد تبادل الطرفان القدح والذم وتوجيه التهم والإهانات، فقد كتب الخليفة الأموي الناصر إلى الخليفة الفاطمي المعز لدين الله مشككاً في نسب الفاطميين، وأمر بلعن المعز وجميع أسلافه على منابر الأندلس، وأشار إلى أن النظام الفاطمي قد تخلص من أبي عبد الله الشيعي صاحب الفضل في قيام الدولة الفاطمية، وأكد على عدم التسامح الديني لدى الأئمة الفاطميين، وبأنهم منعوا الحجاج الأندلسيين من عبور إفريقية إلى مكة، وانتهاك حرمة لقب الخليفة، حيث وضع الخليفة الفاطمي نفسه في مقام الأنبياء[٤].

كذلك الخليفة الفاطمي المعز لم يتوانَ عن الرد وتوجيه التهم والإهانات إلى خصمه، فأشار إلى تحالف الناصر مع البيزنطيين أعداء الدين، وأدان وقوف الناصر إلى جانب هؤلاء المسيحيين، وأظهر نفسه على حساب خصمه بمظهر أمير المؤمنين الحقيقي، وأن الناصر

---

(١) السلاوي: الإستقصا، ج١، ص٨٥.

(٢) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص٢٢٢؛ أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص١٠١؛ ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٦١؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٥٩؛ السلاوي: الإستقصا، ج١، ص٨٦؛ حسن: تاريخ جوهر، ص١٦؛ التازي: التاريخ الدبلوماسي، مج٤، ص٢٠٠؛ زكار: الموسوعة، ج٢، ص٩٧.

(٣) ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص ١٨٦– ١٨٨؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص٢٤٦– ٢٤٧؛ زكار: الموسوعة، ج٢، ص١٠٠.

(٤) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص٢٢٠؛ التازي: التاريخ الدبلوماسي، مج٤، ص١٩٥.

ليس خليفة بل هو مغتصب لذلك، كما نعته بأوصاف قبيحة[1]، واستمرت الاشتباكات الحربية والإهانات الكلامية المتبادلة بين الطرفين دون توقف، حتى بعد انتقال الفاطميين إلى مصر.

لم يكن ما حدث بين الخلافتين الفاطمية في المغرب والأموية في الأندلس، بالأمر الهين، بل أدى إلى تمزق وتشتت وحدة العرب المسلمين، وأضعف قوتهم وفرق كلمتهم، وجعلهم لقمة سائغة أمام الطامعين، حتى أنه أنهى وجودهم في الأندلس وإلى الأبد، وأصبحوا ينكمشون ويتراجعون عن مناطق كثيرة قد فتحوها، فما الذي يمنع من اتحادهم وتعاونهم وتوحيد كلمتهم، فكم نحن اليوم بحاجة إلى الوحدة التي تجمعنا وتقضي على الفرقة التي باعدتنا، فلنتسامح وننسى الخلافات التي زرعها أعدائنا بيننا، ونكون خير أمة أخرجت للناس.

(١) القاضي النعمان: المجالس، ص١٧٩– ١٨٠.

الفصل الثالث

الفاطميون في صقلية وجنوب إيطاليا

الفصل الثالث

الفاطميون في صقلية وجنوب إيطاليا

أولاً- السيطرة الفاطمية على صقلية

١- أهمية صقلية للفاطميين

٢- صقلية في عهد الخليفة المهدي وخلفائه

٣- حكم الكلبيين لصقلية تحت السيادة الفاطمية

٤- انتصار الفاطميين على الروم وفتح مناطق جديدة

٥- الانتصار في معركة المجاز سنة ٣٥٤هـ / ٩٦٥م

٦- صقلية قاعدة عسكرية فاطمية في البحر المتوسط

ثانياً- علاقات الفاطميين مع جنوب إيطاليا

١- الأعمال العسكرية الفاطمية في جنوب إيطاليا

٢- العلاقات التجارية الفاطمية مع المدن الإيطالية

ثالثاً- السيادة الفاطمية على حوض البحر المتوسط الغربي

الفصل الثالث

الفاطميون في صقلية وجنوب إيطاليا

أولاً- السيطرة الفاطمية على صقلية:

قبل الدخول في تفاصيل السيطرة الفاطمية على جزيرة صقلية[١]، لا بد من التطرق بإيجاز عن موقعها الجغرافي وتاريخها السياسي.

فهي من أهم وأكبر جزر البحر المتوسط، تقع إلى الجنوب من شبه الجزيرة الإيطالية، وهي امتداد جغرافي لها[٢]، يفصلها عن إيطاليا مضيق قلورية (كلابريا)[٣]، الذي لا يتجاوز عرضه ثلاث كيلو مترات، بينما يفصلها عن البر الإفريقي معبر صقلية، وعرضه مائة وعشرين كيلو متراً، وهي مثلثة الشكل بين كل زاوية والأخرى مسيرة سبعة أيام[٤]. قاعدة هذا المثلث نحو الشرق على مقربة من إيطاليا، ورأسه ناحية الغرب يقترب من تونس، وتبلغ مساحتها حوالي

---

(١) صقلية: من أكبر جزر البحر المتوسط يفصلها عن البر الإيطالي مضيق قلورية (كلابريا). البعض يقلب الصاد سين، سقلية بدلاً من صقلية، وتعني باللسان القديم: تين وزيتون. أما البكري: قال سميت صقلية باسم سيقلو أخو أيطال الذي به سميت إيطاليا، وكانت تعرف قبل ذلك تري قريا (اترينا كريبا) أي جزيرة المثلث. الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢١٦؛ البكري: المسالك والممالك، ج١، ص٤٨٢؛ الحميري: الروض المعطار، ص٣٦٦؛ المدني، أحمد توفيق: المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ١٣٦٥هـ، ص٨ ، (سيشار إليه بـ المدني: المسلمون)؛ الحياني، أحمد عماش عبد الله: صقلية موقعها وأهميتها حتى الفتح الإسلامي، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج١٤، العدد ٧، ص٥٣٤، العراق، ٢٠٠٧م، (سيشار اليه بـ الحياني: صقلية).

(٢) أحمد، عزيز: تاريخ صقلية الإسلامي، تعريب: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٠م، ص٨، (سيشار إليه بـ أحمد: تاريخ صقلية)؛ الحياني: صقلية، ص٥٣٤- ٥٣٥.

(٣) قلورية: هي الجزء الجنوبي الغربي من إيطاليا والمعروف باسم (كلبيرا أو كلابريا)، وقد غزا العرب هذه المنطقة وعرفت عندهم باسم قلورية. الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٣٩٢؛ موقع الإسلام: تعريف بالأعلام، ج٢، ص٢٣٢.

(٤) القزويني: آثار البلاد، ص٢١٥. الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٤١٦. البغدادي: مراصد الاطلاع، ج٢، ص٨٤٧.

٢٥٨١٥ كيلومتر مربع[١]. وبهذا تكون من أكبر جزر البحر المتوسط وأكثرها أهمية كونها تشكل صلة وصل بين إيطالية من جهة، وشمال إفريقية من جهة ثانية[٢]، هذا الموقع الاستراتيجي المهم انعكس على تاريخها السياسي والاقتصادي، وأصبحت مطمعاً لكل القوى السياسية التي تصارعت في حوض البحر المتوسط في فترات عديدة من التاريخ الإنساني، ابتداءً من تاريخ الفينيقيين والإغريق والرومان والبيزنطيين ثم المسلمين، وما تلاهم من قوى سيطرت على هذه الجزيرة[٣]، وكانت هذه الجزيرة تابعة للإمبراطوريّة البيزنطيّة قبل الفتح الإسلامي لها، حيث تمكن الإمبراطور جستنيان ٥٢٧- ٥٦٥م[٤] بفضل قائده الشهير بلزاريوس[٥] من استعادة صقلية وإيطاليا والشمال الإفريقي سنة ٥٣٥م من الوندال والقوط[٦]. وخلال مدة الحكم البيزنطي ساءت أحوال الجزيرة الاجتماعية والاقتصادية مما شجع الكثير من حكامها على الاستقلال والانفراد بالحكم، هذا تزامن مع بداية الفتوحات الإسلامية حيث بدأت

---

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ج١، ص١١٨؛ الموسوعة العربية الميسرة، لجنة من العلماء والباحثين العرب، دار النهضة، بيروت، ١٩٨٧م، ص١١٢٦، (سيشار إليه بـ: الموسوعة العربية الميسرة)؛ الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، المكتبة الشاملة، ج١١، ص١٣٩، (سيشار إليه بـ الموسوعة الموجزة).

(٢) عباس، إحسان: العرب في صقلية، دار الثقافة، ط١، بيروت، ١٩٧٥م، ص٢٣، (سيشار إليه بـ عباس: العرب في صقلية).

(٣) الدوري، تقي الدين عارف: دراسات في تاريخ العرب وحضارتهم في صقلية، جامعة ناصر، ليبيا، ط١، ١٩٧٧م، ص١٠، (سيشار إليه بـ الدوري: دراسات)؛ الزهراني، علي بن محمد: الحياة العلمية في صقلية الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٩٩٦م، ص٣٤، (سيشار إليه بـ الزهراني: الحياة العلمية)؛ عباس: العرب في صقلية، ص٢٥.

(٤) جستنيان: من مدينة صوفيا ولد سنة ٤٨٢م، تربى على يد عمه الإمبراطور جستين، ولما مات عمه خلفه على عرش الإمبراطورية، أظهر في عمله براعة عظيمة. ديورانت، ول: قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب وآخرين، دار الجيل، بيروت، د. ت، ج١٢، ص٢٠٦- ٢١٠، (سيشار إليه بـ ديورانت: قصة الحضارة).

(٥) بلزاريوس: من أشهر القادة البيزنطيين، قاد الجيوش في أكثر من ميدان، وكان له دور بارز في الصراع مع الفرس والقوط والوندال، وأخمد الكثير من الثورات الداخلية. طقوش، محمد سهيل: تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، دار النفائس، ط١، بيروت، ٢٠٠٣م، ص١٠٣- ١٠٥، (سيشار إليه بـ طقوش: تاريخ الخلفاء).

(٦) عباس: العرب في صقلية، ص٢٥.

تصل إليها طلائع المجاهدين المسلمين، كما بدأت تنهار عظمة بيزنطة بعد النصر الذي حققه العرب في معركة ذات الصواري[١] سنة ٣١هـ/٦٥١م[٢].

بعد هذا النصر بدأت الحملات العربية تغزو صقلية فكان أولها سنة ٣٢هـ/٦٥٢م، زمن خلافة الخليفة الراشدي عثمان بن عفان ﷺ، حيث أرسل والي الشام معاوية بن أبي سفيان القائد معاوية بن حديج[٣] على رأس قوة بحرية تمكنت من تحقيق النصر على بيزنطة، وعاد ببعض الغنائم والأسرى إلى بلاد الشام[٤].

توقفت محاولات فتح صقلية بعض الوقت نتيجة الفتنة التي اشتعلت في الدولة الإسلامية بعد مقتل الخليفة الراشدي عثمان بن عفان ﷺ سنة ٣٥هـ / ٦٥٥م، وما حدث من انقسام بين صفوف المسلمين[٥].

---

(١) ذات الصواري: معركة بحرية انتصر فيها المسلمون على البيزنطيين في البحر المتوسط غربي مدينة الإسكندرية سنة ٣١هـ/٦٥١م. وهناك خلاف بين المؤرخين على سنة حدوثها البعض ذهب إلى سنة ٣١هـ، وفريق آخر أقرها في سنة٣٤هـ أو ٣٥هـ. وسميت بهذا الاسم لكثرة صواري المراكب. ابن الأثير: الكامل، ج٣، ص١٣.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٣، ص١٣؛ الطبري: محمد بن جرير: تاريخ الطبري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، د. ت، ج٤، ص٢٨٨، (سيشار إليه بـ الطبري: تاريخ).

(٣) ابن حديج: معاوية بن حديج بن جفنة الكندي الخولاني المصري، أبو نعيم، احد أصحاب سيدنا محمد ﷺ، قاد الجيوش في غزو المغرب وله في إفريقية آثار، فقد عينه في إحدى المعارك، ومات في مصر سنة ٥٢هـ /٦٧٢م. الذهبي: سير، ج٣، ص٣٧؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٥٩، ص١٥؛ الكندي: الولاة والقضاة، ص١٣؛ الزركلي: الأعلام، ج٧، ص٢٦٠؛ الدوري: دراسات، ص١١.

(٤) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٨؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص٣٢٩؛ فازيليف: العرب والروم، ترجمة: محمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٠م، ص٦٢– ٦٣، (سيشار إليه بـ فازيليف: العرب والروم).

(٥) خليفة بن خياط، أبو عمر الشيباني: تاريخ خليفة بن خياط، تح: أكرم ضياء العمري، دار القلم، ط٢، دمشق، ١٢٩٧هـ، ص١٦٨، (سيشار إليه بـ خليفة بن خياط: تاريخ)؛ الحياني: صقلية، ص٥٣٦.

وبعد قيام الدولة الأموية، بدأ الاهتمام من جديد بحركة الفتوح الإسلامية، وخاصة في الشمال الإفريقي ليكون مسلمو إفريقية بحكم موقعهم الجغرافي هم المتولين أمر فتح البلدان المجاورة لهم وخاصة جزيرة صقلية.

حيث أدرك ولاة إفريقية ضرورة فتح صقلية لأسباب عدة منها:

أ- قرب صقلية من الشمال الإفريقي.

ب- أهمية صقلية ورغبة المسلمين في نشر الإسلام فيها.

ج- انشغال أباطرة بيزنطة بمشاكلهم الداخلية وإهمالهم أمر الجزيرة.

هذه الأسباب شجعت ولاة الشمال الإفريقي التابعين للدولة الأموية على اغتنام الفرصة والزحف باتجاه صقلية، إذ قام والي إفريقية معاوية بن حديج بإرسال قيس بن عبد الله الفزاري على رأس حملة بحرية سنة ٤٧هـ/ ٦٦٧م، مكونة من مائتي مركب إلى صقلية حققت انتصاراً عظيماً وعادت بعد شهر محملة بالغنائم الكثيرة والرقيق والذهب والفضة التي أرسلت إلى الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان ٤١- ٦٠هـ/٦٦١- ٦٨٠م فباعها عن طريق البصرة بأسعار عالية في الهند(١).

وفي ولاية عقبة بن نافع على إفريقية، قام بتأسيس مدينة القيروان لتكون قاعدة تنطلق منها الأعمال الحربية إلى الغرب والشمال، ففي سنة ٤٩هـ /٦٦٩م غزا بلاد الروم في البحر المتوسط، وتؤكد بعض المراجع أن تلك الغزوة كانت موجهة إلى جزيرة صقلية(٢).

كما كان لفاتح الأندلس موسى بن النصير دوراً بارزاً في غزو صقلية، حيث أرسل عدة حملات كانت الأولى بقيادة ابنه عبد الله سنة ٨٥هـ/ ٧٠٤م، وسميت هذه الغزوة بغزوة

---

(١) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٨؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص٣٢٩.

(٢) لويس: القوى البحرية، ص٩٦.

الأشراف لكثرة الشخصيات المرموقة التي شاركت فيها[١]، أما الحملة الثانية كانت بقيادة المغيرة بن أبي بردة العبدي سنة ٨٦هـ/ ٧٠٥م[٢]، أما الأخيرة فقد قادها عياش بن أخيل، حققت هذه الحملات انتصارات خاطفة، وحصلت على غنائم كثيرة[٣]. ثم توقفت نوعاً ما الغزوات الإسلامية إلى صقلية بسبب انشغال العرب بفتح الأندلس لتعود من جديد مع بداية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، حيث أرسل والي إفريقية يزيد بن أبي مسلم الأنصاري محمد بن أوس الأنصاري على رأس حملة بحرية إلى صقلية سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م، مستغلاً الفتن والثورات التي قامت في صقلية ضد البيزنطيين وحققت هذه الحملة انتصارات عظيمة، لكنها عادت بسرعة إلى إفريقية بسبب مقتل واليها يزيد على يد البربر[٤]. وفي سنة ١٠٥هـ/ ٧٢٣م قام والي إفريقية بشر بن صفوان الكلبي بغزو صقلية وكرر الغزوة سنة ١٠٩هـ/ ٦٢٦م، محققاً نصراً عظيماً وجالباً غنائم كثيرة[٥]، ولم تتوقف الحملات البحرية المتجهة لغزو صقلية سواء المنطلقة من الشمال الأفريقي أو القادمة من بلاد الشام في العصر الأموي بل استمرت وكان أهمها الحملة التي قادها حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع سنة ١٢٢هـ/٧٤٠م، الذي أشرك ابنه عبد الرحمن في قيادة خيالة الجيش، وحقق الأب والابن نصراً عظيماً على البيزنطيين وحاصروا سرقوسة[٦] وأجبر أهلها على دفع الجزية، وكان هدفه

---

(١) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري: الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، تح: علي شيري، دار الأضواء، ط١، بيروت، ١٩٩٠م، ج٢، ص٨٢، (سيشار إليه بـ ابن قتيبة: الإمامة)؛ الطالبي: الدولة الأغلبية، ص٤٣٨.

(٢) خليفة بن خياط: تاريخ، ص٢٩٢؛ الزركلي: الأعلام: ج٧، ص٢٧٦.

(٣) الطالبي: الدولة الأغلبية، ص٤٣٨.

(٤) ابن عذاري: البيان، ج١، ص٤٨؛ خليفة بن خياط: تاريخ، ص٣٢٦؛ لويس: القوى البحرية، ص١٠٥. أماري: المكتبة الصقلية، ص٢١٩.

(٥) ابن عذاري: البيان، ج١، ص٤٩؛ ابن الأثير: الكامل: ج٤، ص٣٨٣؛ الرقيق القيرواني، إبراهيم بن القاسم: تاريخ إفريقية والمغرب، تح: محمد زينهم، دار الفرجاني للنشر، ط١، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٦٣، (سيشار إليه بـ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية).

(٦) سرقوسة: أكبر مدن جزيرة صقلية تقع على الشاطئ الشرقي عند مضيق مسينا وكان بها سرير ملك الروم قديماً. الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢١٤؛ الحميري: الروض المعطار، ص٣١٧ – ٣١٨؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، ج٢، ص٧٠٩.

الاستقرار والبقاء في الجزيرة حتى يستكمل فتحها، لكن والي إفريقية عبيد الله بن الحبحاب استدعاه إلى إفريقية لقمع ثورة البربر[١] التي قادها ميسر السقاء الخارجي[٢].

واستمرت الحملات الإسلامية على صقلية ولم تتوقف علماً أنها بدأت منذ الخلافة الراشدية حتى نهاية الخلافة الأموية، وكانت عبارة عن غزوات خاطفة وسريعة تغنم وتعود دون أن تستقر أو تحقق فتح كامل للجزيرة، وربما يعود السبب إلى خشية ولاة إفريقية الدخول في معارك بحرية أو برية ضد القوات البيزنطية خوفاً من وصول نجدات بيزنطية من الشرق من جهة، وانشغالهم بالفتن والثورات الداخلية بينهم وبين البربر من جهة ثانية، كون الإسلام حديث عهد في الشمال الإفريقي والفتح لا يزال مستمراً في هذه المناطق. هذه الأمور ساعدت حكام صقلية على تحصين الجزيرة وتنشيط البحرية في البحر المتوسط ضد السفن الإسلامية[٣].

أما في بداية العصر العباسي فقد توقفت الحملات العسكرية إلى صقلية باستثناء حملة قادها عبد الرحمن بن حبيب حفيد عقبة بن نافع سنة ١٣٥هـ/ ٧٥٢م فكانت كسابقاتها[٤].

هذا التوقف استمر أكثر من نصف قرن بسبب ما حدث في ولاية إفريقية من صراعات وثورات قام بها البربر، مما أدى إلى توقف المحاولات الإسلامية لفتح صقلية وفتح المجال للبيزنطيين في تحصين الجزيرة وتعمير الحصون والقلاع وتطوير البحرية فيها لتصبح صقلية مركز القوة البحرية البيزنطية[٥].

هذا التوقف أخر الفتح المنظم للجزيرة إلى بداية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، لتكون أول غزوة بعد هذه المدة سنة ٢٠٤هـ/ ٨١٩م، قادها محمد بن عبد الله بن الأغلب ابن

---

(١) ابن عذاري: البيان، ج١، ص٥١. ٥٢؛ ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص٤١٦؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٢٤١؛ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية، ص٦٧؛ عباس: العرب في صقلية، ص٣٢.

(٢) ميسرة السقاء: كان خارجي يعرف بالمدغري، تزعم البربر، واستغل خروج حبيب بن أبي عبيدة إلى صقلية فثار على والي إفريقية الحبحاب، لكن خالد بن أبي حبيب الفهري وحبيب بن أبي عبيدة تمكنا من مطاردته وقتله. الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية، ص٦٧؛ خطاب: قادة فتح، ج١، ص٤٢٥.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٩٧.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٩٧؛ ابن عذاري: البيان، ج١، ص٦٥؛ فازليف: العرب والروم، ص٦٤.

(٥) أحمد: تاريخ صقلية، ص١١؛ لويس: القوى البحرية، ص ١٠٠، ١٨٥.

عم الأمير زيادة الله الأول بن إبراهيم بن الأغلب ٢٠١- ٢٢٣هـ /٨١٦- ٨٣٨م، وانتهت هذه الحملة بتوقيع معاهدة سلام مدتها عشر سنوات تبادل فيها الطرفان الأسرى[١]، وكان قد سبقتها هدنة سنة ١٩٨هـ/ ٨١٣م بين الأمير الأغلبي الثاني عبد الله بن إبراهيم ١٩٦- ٢٠١هـ/ ٨١١- ٨١٦م، وغريوغوري، وتم تبادل الأسرى والتفاهم على حماية المسلمين في صقلية والبيزنطيين في شمال إفريقية[٢].

لم يحقق عرب شمال إفريقية من خلال الحملات السابقة الذكر على صقليه أي تقدّم يذكر، إلى أن جاءت الفرصة الذهبية من داخل الجزيرة لفتحها، وذلك عندما نشب خلاف بين حاكم صقلية قسطنطين المعين من قبل الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثاني ٢٠٥-٢١٤هـ/٨٢٠-٨٢٩م، وفيمي (يوفميوس) قائد الأسطول البيزنطي الذي وقع في حب راهبه فتزوجها على كره منها، فوصل الخبر إلى الإمبراطور البيزنطي الذي أمر حاكم صقلية بمعاقبة فيمي، لكن الأخير ثار على هذا القرار واحتل مدينه سرقوسة (سيراكوزا) وأوقع هزيمة بحاكم صقلية، ونادى بنفسه إمبراطوراً[٣] .

إلا أن أحد رجاله ويعرف عند العرب (بلاطه) قام ضده وأعلن ولاءه للإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثاني وتمكن من هزيمة فيمي الذي هرب إلى تونس طالباً النجدة من الأمير الأغلبي زيادة الله الأول[٤] وفق شروط[٥] .

هذه الفرصة جعلت زيادة الله الأول يستشير العلماء وأصحاب الرأي والمشورة، وقد وقع خلاف في بداية المجلس، وتضاربت الآراء، فمنهم من رفض إرسال حمله لفتح جزيرة صقلية،

---

(١) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص١٦٣، ١٨٤؛ أماري: المكتبة الصقلية، ص٣٣٥- ٣٣٤.

(٢) فازليف: العرب والروم، ص٦٤.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٤٣٦؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٢٥٣-٢٥٤؛ عباس: العرب في صقلية، ص٣٢؛ العدوي: الأساطيل العربية، ص٧٨؛ الموسوعة التاريخية، ج٢، ص١١٨.

(٥) لم تذكر المصادر العربية الشروط التي تمت بين فيمي وزيادة الله الأول، لكن المصادر الغربية ذكرت بعض الشروط منها: يتم الفتح بجيش أغلبي، ويساعده الأمير زيادة الله حين طلب المساعدة، ويحكم فيمي الجزيرة ويطلق عليه لقب إمبراطور، ويكون نائب لزيادة الله في الجزيرة، يدفع فيمي جزية سنوية لزيادة الله، ويتضح من المجريات أن زيادة الله لم يوافق على هذه الشروط. أحمد: تاريخ صقلية، ص١٣.

ومنهم من نادى بغزوها وعدم الاستقرار فيها، وفريق آخر نادى بضرورة فتحها والاستيلاء عليها، فكان هذا رأي الفقيه القاضي أسد بن الفرات.

أخذ الأمير الأغلبي بالرأي الأخير، وبدأ التجهيز لإرسال الحملة، واتُخذت كل الاستعدادات اللازمة، وجهزت بما يلزم من الرجال والأسلحة والمؤن حتى وصل عدد الجيش إلى خمسة عشر ألف مقاتل، وبلغ عدد السفن ما بين السبعين إلى المئة(١)، واختير الرجل المسن الذي تجاوز السبعين من العمر قاضي القيروان أسد بن الفرات لقيادة الحملة لا لخبرته العسكرية بل لورعة ومنزلته الدينية(٢).

انطلقت الحملة من ميناء سوسة التونسي في شهر ربيع الأول سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م، وبعد مسيرة أيام وصلت الحملة إلى ميناء مازر الصقلي، وأحرزت القوات العربية الإسلامية والصقلية نصراً على قوات بلاطة حاكم الجزيرة البيزنطي الذي هرب إلى قصريانة ومنها إلى قلورية ليلقى حتفه هناك(٣).

تابع ابن الفرات فتح الحصون حتى أصبح الطريق مفتوحاً أمامه إلى مدينة سرقوسة، وقبل الوصول إلى هذه المدينة وخلال زحفه إليها اجتمع خلق كثير في قلعة الكراث يطلبون من ابن الفرات الصلح ودفع الجزية، فكانوا يخادعونه(٤)، حتى يتسنى لهم الوقت الكافي في تحصين قلعتهم، كما كان يراسلهم فيمي(٥)، ويحثهم على عدم تسليم الحصن والاكتفاء بدفع الجزية، لكن

---

(١) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٠٢؛ عباس: العرب في صقلية، ص٣٣؛ روميتو، فاليريو: الإسلام في صقلية، ترجمة: ساندي هلال، روما، ٢٠٠٢م، ص١٤، (سيشار إليه بـ روميتو: الإسلام في صقلية).

(٢) ابن أيبك الدواداري، أبي بكر بن عبد الله: كنز الدرر وجامع الغرر المعروف بالدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، تح: صلاح الدين المنجد، المعهد الألماني للآثار، القاهرة،١٩٦١م، ج٦، ص٢٩، (سيشار إليه بـ ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر)؛ العدوي: الأساطيل العربية، ص٧٨؛ مؤنس: معالم تاريخ، ص١٠٢.

(٣)–اليحيى، عبدالله بن محمد: أسد بن الفرات ودوره في العلم والدعوة، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: عبد الله المطلك، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، د. ت، ص٤٤– ٤٥، (سيشار إليه بـ اليحيى: أسد ابن الفرات).

(٤) ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٢٥٤؛ الطنطاوي، علي: رجال من التاريخ، دار المنارة، ط٨، جدة، ١٩٩٠م، ص ١٦٣، (سيشار إليه بـ الطنطاوي: رجال من التاريخ).

(٥) لم يكن لفيمي دوراً كبيراً في فتح صقلية، لأن الفتح قام على أكتاف الجيش الإسلامي بقيادة أسد بن=

لكن أسد بن الفرات كشف خداعهم وأدرك ضرورة التقدم، واستمرار الفتح حتى وصل إلى سرقوسة وحاصرها براً وبحراً وطال الحصار بسبب حصانة المدينة وعدم توفر معدات حصار لديه، إضافة إلى أن جيشه قل عدده بسبب ما ترك منه في المناطق التي فتحها كحاميات[١]، كما أن أسد بن الفرات أخذ بانتظار المدد والمساعدة من إفريقية والأندلس[٢].

طال الحصار للمدينة أكثر من عشرة أشهر، واشتد القتال عندما بدأت تصل الإمدادات لكلا الطرفين، وأبلى الجيش الإسلامي بقيادة القائد العجوز بلاءً حسناً، إلا أن انتشار الوباء والمرض في معسكر المسلمين هلك فيه الكثير، ومنهم القائد أسد بن الفرات الذي أحرز خلال عام واحد تقدماً قُدّر له أن يتسع مع الزمن حتى يكتمل الفتح الإسلامي لكامل الجزيرة[٣].

وبعد وفاة أسد بن الفرات تم اختيار محمد بن أبي الجواري الذي قرر الانسحاب من الجزيرة، والعودة إلى إفريقية ، نظراً للظروف الصعبة التي كانت تحيط بالجيش الإسلامي، لكن الأسطول البيزنطي وقف للجيش الإسلامي بالمرصاد، ومنعه من المغادرة فعدل محمد بن أبي الجواري فكرة العودة وأمر الجند بإحراق السفن والعودة إلى القتال، عندها تمكنوا من فتح حصن مينا وحصن جرجنت[٤]، وارتفعت معنويات الجيش الإسلامي بهذا النصر ووصلته إمدادات جديدة من إفريقية شجعته على حصار مدينة قصريانة المهمة، وهنا يصل البطرايق تودط من القسطنطينية على رأس جيش كبير في بداية سنة ٢١٤هـ /٨٢٩م، والتقى الجيشان في معركة انتصر فيها المسلمون، فأعطاهم هذا النصر الأمان والاطمئنان في المناطق التي افتتحوها،

=الفرات، أما فيمي فدوره اقتصر على الإدلاء بمعلومات وتوجيهات حول إمكانية التحرك كونه ابن المنطقة، بل لم يستمر في ولائه للمسلمين عندما أخذ يراسل أهل قلعه الكراث وسرقوسه ويحثهم على الثبات والصمود لمقاومة الجيش الإسلامي. ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٤٣٧.

(١) أماري: المكتبة الصقلية، ص٢٢٣؛ أحمد: تاريخ صقلية، ص١٥؛ فازيليف: العرب والروم، ص٧٧.

(٢) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٠٢– ١٠٣.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٤٣٧؛ ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٠٤؛ فازيليف: العرب والروم، ص٧٨؛ الطنطاوي: رجال من التاريخ، ص١٦٣.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٤٣٧؛ أماري: المكتبة الصقلية، ص٤٥٤.

كما زاد في رفع معنوياتهم[١].

وفي تلك الإثناء توفي محمد بن أبي الجواري ليتولى من بعده القائد زهير بن غوث، وخلال قيادة هذا الأخير اشتد الحصار على المسلمين حتى قتل منهم نحو ألف قتيل، وانسحب الباقون إلى مينا ومازر[٢]، إلى أن وصلت إمدادات للمسلمين من الأندلس سنة ٢١٤هـ/٨٢٩م، بقياده أصبغ بن وكيل المعروف بفرغلوش[٣] وأخرى من إفريقية، وتمكنت القوات القادمة من رفع الحصار عن القوات الإسلامية، ثم بعد عدة تحركات تمكنوا من فتح مدينة بلرم سنة ٢١٦هـ /٨٣١م[٤].

واتخذها الفاتحون عاصمة لهم لأهميتها الأمنية والاقتصادية والجغرافية، فأصبحت المقر الرئيسي الذي ينطلق منه المسلمون لغزو باقي مناطق الجزيرة، والمركز الذي يزودهم بالمؤن والإمدادات التي تصلهم من تونس[٥]، كما كان فتح هذه المدينة سبباً في فتح بقيه مناطق ومعاقل الجزيرة[٦].

وفي سنة ٢٢٥هـ/٨٣٩م، فتح حصن البلوط (أبلاطينو)، وحصون أخرى وبهذا يكون

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٤٣٧؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٥٨.

(٢) النويري: نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٥٨؛ أحمد: تاريخ صقلية، ص١٦.

(٣) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٠٤.

(٤) أحمد: حسن خضيري: دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، دار الفكر العربي، ط١، القاهرة،٢٠١٠م، ص١٣، (سيشار إليه بـ أحمد: دراسات وبحوث)؛ أماري: المكتبة الصقلية، ص٢٢٣. فازيليف: العرب والروم، ص١١٧– ١١٨.

(٥) لويس: القوى البحرية، ص٢١٣؛ مورينو، مارتينو ماريو: المسلمون في صقلية، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٧٥م، ص١، (سيشار إليه بـ مورينو: المسلمون في صقلية).

Fineley . M.I: A Ancient Sicily to the Arab Conquest, New York Press, 1968, pp. 5– 24.

Freeman, Esward, A: The Normans at Palermo in Historical Essays (Third Series), New York, 1892, p. 449.

(٦) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٤٣٨؛ عباس: العرب في صقلية، ص٣٥؛ شوقي: فتح صقلية، ص٧٣. لويس: القوى البحرية، ص٢١٣.

الفاتحون العرب قد فتحو ثلث جزيرة صقلية تقريباً[١]، وتوالت عمليات الفتح حيث فتح ميناء مسينيه المهم الذي يشرف على المضيق الفاصل بين صقلية وإيطاليا، وبذلك تم تثبيت أقدام المسلمين في الشمال الشرقي من الجزيرة[٢]، وساعدهم ذلك على فتح باقي المدن الأكثر تحصيناً، فقد تمكن أمير صقلية العباس بن الفضل بن جعفر، الذي أخذ يرسل القوات الإسلامية إلى مختلف جهات الجزيرة من فتح أكثر من عشرة حصون ما بين سنة ٢٣٧-٢٤٧هـ /٨٥١- ٨٦١م[٣]، وأهمها مدينة قصريانة[٤] التي ظلت تقاوم حوالي ثلاثين سنة، ولم تنجح كل المحاولات البيزنطية لاستعادتها[٥].

وبعد فتح مدينة قصريانة تبقى المرحلة الأخيرة لفتح مدينة سرقوسة تلك المدينة التي حاصرها القائد أسد بن الفرات، وبقيت تقاوم على الرغم من تعدد محاولات الفتح والحصار لها، إلى أن تمكن أمير صقلية جعفر بن محمد بن خفاجة سنة ٢٦٤هـ/ ٨٧٨م، من اختراقها بعد حصار بري وبحري دام تسعه أشهر، مستخدماً في فتحها آلات حصار لم تستخدم من قبل[٦].

وبهذا ساد المسلمون جميع أنحاء الجزيرة في مطلع القرن العاشر الميلادي، وأصبحوا هم أصحاب السيادة في البحر المتوسط، وملكوا طرق التجارة فيها، إلا أن هذه السيادة عكرتها كثره

---

(١) ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٢٥٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٤٣٨؛ لويس: القوى البحرية، ص٢١٤.

(٣) ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٢٥٨؛ بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط٥، بيروت، ١٩٦٨م، ص٢٤٩، (سيشار إليه بـ بروكلمان: تاريخ الشعوب).

(٤) قصريانة: مدينة كبيرة في صقلية تقع على قمة جبل فيها الكثير من البساتين وعيون المياه. بعد أن فتح المسلمون عدة مدن في صقلية نقل البيزنطيون دار الملك إليها، بعد أن كانت في سرقوسة. إلى أن تمكن المسلمون من فتحها وتدعى اليوم كاسترو جوفيان. الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٣٦٥؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، ج٣، ص١١٠١؛ الحميري: الروض المعطار، ص٤٧٥؛ موقع الإسلام: تعريف بالأعلام، ج٢، ص٢١٩.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص١١٣؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٦١؛ ابن خلدون: تاريخ ، ج٤، ص٢٥٨.

(٦) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١١٧؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٢٧٩.

الفتن والثورات والانقسامات التي وقعت بين القبائل العربية المشاركة في الفتح من جهة، وبين العرب والبربر من جهة ثانية، مما فتح المجال للأسطول البيزنطي الذي حاول عدة مرات استعادة الجزيرة لكن دون جدوى[١].

ومما سلف يتضح أن الفتح استغرق حوالي ثلاثة أرباع القرن، منذ دخول أسد بن الفرات الجزيرة سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م حتى سقوط طبرمين بيد المسلمين سنة ٢٨٩هـ/ ٩٠٢م، بعد حروب كثيرة وسنين طويلة، لأن الفتح الإسلامي واجه مقاومة شديدة من داخل الجزيرة، بالإضافة إلى الدعم البيزنطي المستمر، كونها كانت قاعدة بيزنطية مهمة في البحر المتوسط[٢].

وبذلك يكون حكم الأغالبة في صقلية فترة جهاد طالت مدته، حيث بدأت منذ بداية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، واستمرت إلى بداية العقد الأخير من القرن نفسه، لذا لم يكن أمام الأغالبة الوقت الكافي للبناء والتنظيم والعمران، فكانوا في مرحلة السلم وتوقف الحرب يستغلون الوقت في إعادة بناء الجيش والأسطول لمتابعة أعمال الفتح في مدن وحصون صقلية.

١ـ أهمية صقلية للفاطميين:

تتمتع جزيرة صقلية بموقع جغرافي واستراتيجي مهم في قلب البحر المتوسط بين ساحل إيطاليا الجنوبي شمالاً، حيث لا يفصلها سوى مضيق مسينيا، وبين ساحل تونس في إفريقية جنوباً، هذا الموقع جعلها درة في قلب البحر تتسابق عليها كل القوى المتصارعة لمد نفوذها إلى هذه الجزيرة .

ومن بين هذه القوى العرب المسلمين، حيث بدأ اهتمامهم بصقلية منذ عهد الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان الذي كلف والي الشام معاوية بن أبي سفيان بالتوجه إلى

---

(١) الطيبي: صقلية الإسلامية، ص١٨٦.

(٢) الذهبي: شمس الدين بن محمد بن أحمد بن عثمان: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، ط٢، بيروت، ١٩٩٣م، ج٢١، ص٩٩، (سيشار إليه بـ الذهبي: تاريخ الإسلام، تح: التدمري)؛ عباس: العرب في صقلية، ص٣٩؛ الزهراني: الحياة العلمية، ص٦٧.

صقلية وفتحها، فكانت المحاولة الأولى للمسلمين لتأتي بعدها محاولات عدة إلى أن تمكن الأغالبة حكام إفريقية من فتحها سنة ٢١٢هـ / ٨٢٧م على يد القائد أسد بن الفرات[١].

وعندما بدأ حكم الدولة الفاطمية في شمال إفريقية وأنهوا حكم الأغالبة، فإنهم ورثوا عنهم جزيرة صقلية، وحرصوا على نشر نفوذهم فيها، كما أولوها الاهتمام الخاص لأهميتها من الناحية الاقتصادية والسياسية والتجارية.

فمن الناحية السياسية أحكم الفاطميون سيطرتهم على الجزيرة، وجعلوا منها قاعدة لأسطولهم الحربي وحاجزاً أو ساتراً يحميهم من ضربات أعدائهم الروم البيزنطيين في الشمال، كما تكون نقطة إمداد تساعدهم في مد نفوذهم إلى مصر وبلاد الشام[٢].

ومن الناحية الاقتصادية فإن صقلية تمتلك ثروة اقتصادية هائلة، فهي غنية بالغلال الزراعية من فواكه وحبوب وخضروات، إضافة إلى تنوع المراعي مما أدى إلى تنوع الحيوانات من الخيل، البغال، الحمير، البقر الغنم وغيرها من الحيوانات الأخرى، كما اشتهرت بمعادنها الثمينة كالذهب الفضة، النحاس، الزئبق، الرصاص، الحديد، إضافة إلى أنها تميزت بموقع تجاري مهم كونها تتحكم بطرق تجارية في البحر المتوسط.

هذه الأهمية أعطتها مكانة عظيمة جعلت من الفاطميين وغيرهم يركزون جهودهم لأحكام السيطرة عليها، وجعلها مركز إمداد وانطلاق لجيوشها في البحر المتوسط نحو بلاد الشام ومصر[٣].

---

(١) الزهراني: الحياة العلمية، ص٣٤؛ عباس: العرب في صقلية، ص٣٣؛ كريم: عبيد الله المهدي، ص١٨١؛ موقع الإسلام : تعريف بالأعلام، ج٢، ص١٠٨.

(٢) حسن: الدولة الفاطمية، ص٩٩.

(٣) الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٤١٧؛ القزويني: آثار البلاد، ص٢١٥؛ الموسوعة الموجزة، ج١١، ص١٣٩.

٢ـ صقلية في عهد الخليفة المهدي وخلفائه:

بعد أن تمكن الداعي أبو عبد الله الشيعي من هزيمة الأغالبة في بلاد المغرب، وأعلن قيام الخلافة الفاطمية ومبايعة عبد الله المهدي أميراً للمؤمنين أصبحت بلاد المغرب خاضعة للحكم الجديد(١).

وما أن استتبت الأمور للخليفة الفاطمي الجديد حتى هب أهالي صقلية على واليهم الأغلبي أحمد بن أبي الحسين بن رباح، وأودعوه السجن وعينوا على صقلية علي بن محمد بن أبي الفوارس سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٩م، وأرسلوا إلى الخليفة الفاطمي الأول المهدي في إفريقية يطلبون منه تثبيت الوالي الجديد الذي تم اختياره من قبلهم فوافقهم المهدي على ذلك(٢).

وربما هذا التغيير المفاجئ الذي اتخذه أهالي صقلية مرده إلى سوء الأوضاع التي عاشوها بحكم قربهم من أعدائهم البيزنطيين، وكثرة الصراعات والهزائم التي مني بها المسلمون في نهاية الحكم الأغلبي، هذا الأمر جعلهم يبحثون عمن يساعدهم ويخرجهم من أزمتهم، فما كان أمامهم إلا أن يعلنوا الولاء والطاعة للفاطميين.

وأول خطوة اتخذها المهدي في بداية حكمه لتدعيم سلطانه في البلاد أن كتب عدة كتب وأرسلها إلى جميع الأمصار، ومنها صقلية التي جاء فيها ما يلي: " أنتم يا معشر أهل جزيرة صقلية. أحق بما أوليته من المعروف والإحسان وأزديته وأولى به وأقرب إليه، لقرب داركم من دار المشركين وجهادكم الكفرة الظالمين وسوف أملأ إن شاء الله جزيرتكم خيلاً ورجالاً من المؤمنين الذين يجاهدون في الله حق جهاده فيعز الله الدين والمسلمين، ويذل بهم الشرك والمشركين، والحول والقوة لله العظيم هو حسبنا ونعم الوكيل"(٣).

وبذلك هدأت نفوس أهل صقلية وتجاوبوا مع الحكم الجديد المتمثل بالدولة الفاطمية وأعلنوا ولائهم لها، وما أن استتب الأمر للمهدي حتى بدأ يوزع المناصب والمهام على أعوانه من كتامة إذ قام بخلع الوالي الصقلي المعين من قبل أهل صقلية ابن أبي الفوارس وعين على

---

(١) ابن خلدون: العبر،ج٤، ص٤٧.

(٢) زغلول: تاريخ المغرب، ج٣، ص ١٤٥ـ ١٤٦.

(٣) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص٢٥٦ـ ٢٥٧.

الجزيرة أحمد بن أبي خنزير الكتامي سنة ٢٩٧هـ / ٩١٠م[١]، لكن الأخير أساء السيرة وجارَ على أهل صقلية وعاملهم معاملة سيئة واستبد بهم وقرب البربر – كونه بربري – فولى بعضهم القضاء، وأطلق يد أخيه علي في أمور الجزيرة[٢]، وأهمل شأن العرب الذين يرون أنفسهم أرفع قدراً منه، فثاروا عليه سنة ٢٩٩هـ/ ٩١٢م، وقبضوا عليه بعد أن كسرت ساقه، وأودعوه السجن وخلعوه من الإمارة، ثم أرسلوا إلى الخليفة المهدي يخبرونه بما حدث ويعتذرون له عما بدر منهم في حق واليه، فقبل عذرهم وانتهى الأمر بأن عين والياً من قبله علي بن عمر البلوي، واتصف البلوي باللين والتسامح على عكس سلفه كما كان طاعناً بالسن[٣].

وعلى الرغم من ذلك لم يرضَ أهل صقلية بهذا الوالي، إذ ثاروا عليه وعزلوه سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٣م، واختاروا والياً عربياً من رجال الأغالبة السابقين أحمد بن زيادة الله بن قرهب، الذي لم يقبل في بداية الأمر وهرب منهم، غير أن إلحاح وجوه البلد عليه وتعهدهم له بأن لا يخذلونه جعله يقبل الولاية سنة ٣٠٠هـ / ٩١٣م[٤].

ويبدو أن ابن قرهب بذل عدة محاولات لتثبيت حكمه في الجزيرة فأرسل الجيوش لفتح قلورية وركز اهتمامه على استكمال فتح بقية مناطق الجزيرة وخاصة قلعة طبرمين، التي كان يرغب أن يجعلها قاعدة له ينقل إليها حاشيته وماله في حال ثار عليه أهل صقلية[٥].

ولكثرة القتال والحروب التي قام بها ابن قرهب ونزعته إلى الاستقلال بصقلية، جعل الجند وأنصار الفاطميين يشعلون نار الثورة ضده، وبعد ذلك أفصح ابن قرهب عن نواياه فخلع طاعة

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٤٦١؛ ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٧٤؛ أماري: المكتبة الصقلية، ص٢٥٠– ٢٥١.

(٢) ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٤٧؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص٦٨.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٤٧٥؛ ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٦٨؛ أماري: المكتبة الصقلية، ص٢٥١. عباس: العرب في صقلية، ص٤٠.

(٤) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٦٨؛ القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص٣٢٦؛ أماري: المكتبة الصقلية، ص٢٥١. غانم: تاريخ الحضارة، ص٣٤.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٤٧٥.

الفاطميين وأعلن الطاعة للعباسيين، حيث قطع الخطبة للخليفة الفاطمي المهدي في صقلية وخطب للخليفة العباسي المقتدر ٢٩٥- ٣٢٠هـ / ٩٠٧- ٩٣٢م[١].

ولم يكتف بذلك بل أرسل أسطوله إلى بلاد المغرب سنة ٣٠١هـ/ ٩١٣م، واستطاع أن يهزم الأسطول الفاطمي عند مرسى لمطه[٢] ويقتل قائده الحسن بن أحمد بن خنزير، ثم اتجه إلى صفاقص وخربها ووصل إلى طرابلس فوجد فيها القائم بن المهدي فرجع بعدها إلى صقلية ظافراً بالنصر الذي كافأه عليه الخليفة العباسي بأن أرسل له الهدايا والرايات السود مرحباً بدخوله في طاعة الدولة العباسية[٣].

هذا النصر الذي حققه ابن قرهب على الفاطميين جعله يعتز بنفسه كثيراً، ويعاود الهجوم مرة ثانية، لكن المهدي كان له بالمرصاد، وتمكن من هزيمته، مما أثرت هذه الهزيمة عليه، وكانت سبباً في ضعفه وانقسام الجزيرة عليه وتقوية شوكة البربر الذين قبضوا على ابن قرهب بعد أن كان يسعى للفرار إلى الأندلس، لكن أهل صقلية أدركوه وأسروه مع ابنه وبعض أتباعه، وأرسلوا بهم إلى المهدية سنة ٣٠٤هـ/ ٩١٦م، فسأله المهدي قائلا: "ما حملك على الخلاف علينا وجحد حقنا ". فقال له: " أهل صقلية ولوني، وأنا كاره، وخلعوني وأنا كاره"[٤]، ثم أمر المهدي بإعدامه والتمثيل به فوق قبر الحسن بن أبي خنزير، وبذلك استعادت الدولة الفاطمية

سيادتها من جديد على صقلية[٥]. وبعد القضاء على ثورة ابن قرهب الهادفة إلى إعادة الحكم

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٤٧٥؛ دياب، صابر محمد: الدولة الفاطمية (نشأتها- سياستها الداخلية- سياستها الخارجية)، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٢٤، (سيشار إليه بـ دياب: الدولة الفاطمية)؛ أماري : المكتبة الصقلية ، ص٢٥٢.

(٢) لمطه: أرض لقبيلة من البربر بأقصى المغرب بالبر الأعظم، يقال للأرض والقبيلة معاً لمطه. البغدادي: مراصد الاطلاع، ج٣، ص١٢٠٨؛ الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٣.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٢٧٥؛ حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص٩٩؛ عباس: العرب في صقلية، ص٤١؛ جمال الدين: الدولة الفاطمية، ص ١٦٧.

(٤) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٧٤.

(٥) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص٣٢٦؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٤٧٦؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ج٤، ص٤٩؛ سرور: سياسة الفاطميين، ص٢٣٣.

الأغلبي في صقلية[١]، لم تستقر أحوال الجزيرة مما جعل المهدي يتبع سياسة جديدة متمثلة بإرسال جيش من إفريقية مع الوالي المرسل إلى الجزيرة بهدف تأديب من تسول له نفسه بالخروج عن طاعة الدولة الفاطمية من أهل صقلية، وإخماد الثورات التي تقوم ضد الوالي من جهة أخرى، وقمع الوالي الذي تحدثه نفسه بالخروج عن الفاطميين كابن قرهب من جهة ثانية[٢] .

نجحت سياسة المهدي الجديدة حيث تمكن الوالي الجديد أبو سعيد موسى بن أحمد المشهور بالضيف والمعروف عنه القسوة والصلابة، اذ تمكن من إخماد جميع الثورات التي قامت في الجزيرة، وخاصة في مدينة جرجنت ذات الأغلبية البربرية ومدينة بلرم ذات الأغلبية العربية، حتى اضطر الثائرون في نهاية الأمر إلى طلب الأمان من الوالي الذي هدم أسوار مدينة بلرم، وجعلها مدينة مفتوحة وجرد أهلها من الخيل والسلاح، وفرض عليهم غرامة مالية كبيرة، واعتقل رؤوس الفتنة وأرسلهم إلى المهدية [٣].

وبعد كل ما حققه هذا الوالي من السيطرة الكاملة على الجزيرة إلا أن الخليفة المهدي خاف من ردود الفعل العكسية وإشعال الثورات من جديد على الوالي الفاطمي، فقام باستبدال الوالي بوالي جديد هو سالم بن راشد الكتامي، الذي طالت ولايته إلى ما بعد المهدي ٣٠٥-٣٢٥هـ/٩١٧- ٩٣٦م، أي طالت ولايته أكثر من عشرين سنة أمضاها في الأعمال الحربية التي قادها وراء البحار في جنوب إيطاليا – سيأتي الحديث عنها لاحقاً – وفي إخماد الثورات التي لم تتوقف في صقلية. وأشهرها ثورة قامت سنة ٣٢٥هـ / ٩٣٧م، ضد سالم بن راشد تزعمتها مدينة جرجنت ذات الأغلبية البربرية، وبلرم ذات الأغلبية العربية، وذلك بسبب قسوة سالم وسوء معاملته، وشدته في جباية الضرائب[٤]. فما كان منهم إلا أن طردوا عاملة في المدينة ونهبوا قلعة البلوك، فكان رد سالم سريعاً عندما أعد لهم جيشاً من الكتاميين والصقليين واتجه به إلى جرجنت، حيث دارت الحرب بين الطرفين وانتهت بهزيمة جرجنت، لكن هذا

(١) سرور: سياسة الفاطميين، ص٢٣٣.

(٢) تامر: المنصور بالله، ص٥٩.

(٣) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٧٤؛ غانم: تاريخ الحضارة، ص٣٦.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص١٣٢؛ أحمد: دراسات وبحوث، ص٢٥.

النصر لم ينه الوضع، بل ازداد سوءاً عندما أعلنت أكثر المدن والقلاع العصيان والتمرد واستنجدوا بالإمبراطور البيزنطي رومانوس الأول (٣٠٧- ٣٣٣هـ / ٩١٩- ٩٤٤م)، الذي أنجدهم بسفن حربية[١]. أما الوالي الفاطمي سالم بن راشد أرسل إلى الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله يخبره بأن أهل صقلية خرجوا عن طاعته، ويطلب منه المدد، فأمده القائم بجيش ضخم يقوده خليل بن إسحاق بن ورد، أبو العباس[٢].

وما أن وصل القائد الجديد إلى صقلية حتى خرج إليه أهل بلرم مظهرين له الطاعة والتبعية شاكين له معاملة الوالي سالم بن راشد القاسية وظلمه لهم وتعاليه عليهم، وبالمقابل أيضاً اجتمع سالم بمن جاء من جرجنت قادماً إلى خليل يشكونه حالهم، فأخبرهم سالم أن الخليفة القائم أرسل لهم خليل لينتقم منهم جراء ما قتلوا من رجاله وعسكره في الجزيرة[٣]. وأياً كانت مصداقية قصة التآمر بين الرجلين إلا أن الأمور في الجزيرة أصبحت أكثر سوءاً، وثارت أكثر المدن مما جعل القائد خليل يهاجم مدينة بلرم ويجردها من السلاح، ويجعلها مدينة مفتوحة[٤] ثم شرع في بناء مدينة يجعل منها مقراً له ولحاميته ويجمع فيها أمور الحكم والإدارة، وأطلق عليها اسم (الخالصة)[٥].

ثم حشد الرجال واتجه إلى مدينة جرجنت التي حصنها أهلها واستعد للحرب، وحاصرها خليل وطال الحصار أكثر من ثمانية أشهر، حتى جاء فصل الشتاء، فاضطر إلى رفع الحصار عن المدينة، مما أتاح الفرصة لأهل جرجنت لطلب النجدة من إمبراطور بيزنطة الذي

---

(١) أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٨٥.

- The Cambridge Medieval History , VOL IIV part1 , Byzantium and nieghbor ,ed By J. Hassey ,Cambridge the university press 1966, hist,IV, P.144.

(٢) أماري: المكتبة الصقلية، ص٢٥٥؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٢٦٥؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص٣٠٢؛ ابن الوردي: تتمة المختصر، ج١، ص٢٦٠.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص١٣٢.

(٤) ابن عذاري: البيان، ج١، ص٢١٥.

(٥) الخالصة: مدينة في صقلية ذات سور من حجارة بناها خليل بن إسحاق، واتخذها مقراً له، وهي اليوم تقع وسط بلرم. البغدادي: مراصد الاطلاع، ج١، ص٤٤٦؛ الحميري: الروض المعطار، ص٢١٣.

أمدهم بالرجال والسلاح والطعام[١]، كما حذت عدة مدن حذو جرجنت، وشقت عصا الطاعة مدينة مازر وغيرها من مدن صقلية، مما أجبر ذلك القائد خليل على طلب النجدة من الخليفة الفاطمي الذي أمده بجيش كبير، تمكن من خلاله استرجاع القلاع والحصون الثائرة، كقلعة أبي ثور وقلعة البلوط، وحاصر قلعة أبلاطنو، حتى تمكن من دخولها سنة٣٢٧هـ / ٩٣٩م، ليتفرغ لحصار جرجنت التي طال حصارها، فاضطر أهلها للفرار إلى بلاد الروم، والباقون في المدينة طلبو الأمان من خليل الذي وافق مقابل النزول من القلعة، لكنه غدر بهم وقتل عدد كبير منهم، مما أخاف ذلك سائر القلاع الثائرة التي هدأت واستسلمت وعادت إلى طاعة الوالي الفاطمي الذي أكثر فيها القتل والتنكيل.

وفي أواخر سنة ٣٢٩هـ / ٩٤٠م، أرسل القائم إلى الوالي خليل يأمره بالعودة إلى إفريقية ، وتسليم الولاية لابن عطاف الأزدي، وعاد خليل إلى بلاد المغرب آخذاً معه كبار أهل جرجنت، وجعلهم في مركب وفي منتصف طريق البحر باتجاه إفريقية أمر بثقب مركبهم فغرقوا جميعاً[٢].

لم يكن ابن عطاف كسابقه، بل اتصف باللين والضعف، مما فتح المجال أمام الثائرين وفي مقدمتهم بنو الطبري[٣] الذين أعلنوا ثورتهم من مدينة بلرم ضد النفوذ الفاطمي سنة ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م، بدعم أمويي الأندلس[٤].

فقتلوا عدداً كبيراً من رجال ابن عطاف، وسيطروا على عدد من السفن فاضطر ابن عطاف للهرب والتحصن في أحد الحصون، ثم أرسل إلى الخليفة الفاطمي المنصور يطلب منه المساعدة ويخبره بما حصل في صقلية فما كان من المنصور إلا أن أرسل قوة بقيادة الحسن

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص١٣٣؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٢٦٦.

(٢) ابن الأثير: الكامل ، ج٧، ص١٣٣؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٢٦٦؛ ابن الوردي: تاريخ، ج١، ص٢٦٠؛ أبو الفداء : المختصر، ج٢، ص٨٥.

(٣) بنو الطبري: هم من أهل الجماعة قاد الثورة ضد النفوذ الفاطمي في صقلية، وكان أشهرهم علي وإسماعيل بن الطبري. ابن الأثير: الكامل ، ج٧، ص ٢٢٢– ٢٢٣.

(٤) تامر: المعز لدين الله، ص٦١.

ابن علي بن أبي الحسين الكلبي سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م. لتبدأ مرحلة جديدة في صقلية سيأتي الحديث عنها لاحقا[١].

ويتضح من مجريات الأحداث في إفريقية قصر الحكم الفاطمي، حيث اندلعت ثورة أبي يزيد الخارجي، التي كان لها ردود فعل سلبية في صقلية على المستويين الخارجي والداخلي، فمن حيث المستوى الخارجي أخذت بيزنطة في تحصين قلاعها في الأراضي الخاضعة لها في الجزيرة، حيث تخلصت من الضغوطات الإسلامية[٢]، ومن دفع ما فرض عليهم من مال الهدنة[٣]. وأما على المستوى الداخلي فقد كثرت الثورات مستفيدين من ضعف الوالي ابن عطاف من جهة، وانشغال الخليفة الفاطمي بثورة أبي يزيد الخارجي من جهة ثانية.

٣. حكم الكلبيين[٤] لصقلية تحت السيادة الفاطمية:

بعد أن ساءت أحوال الجزيرة في ولاية ابن عطاف، وعجزه عن حفظ الأمن فيها، أصبح المسلمون في حالة يرثى لها، من الفوضى حتى أن البيزنطيين رفضوا دفع الجزية التي حددت أثناء الهدنة، وأعلنت بعض العائلات من داخل الجزيرة تمردها، مثل بنو الطبري وبنو عبدون، وبني رجاء وغيرهم ... .

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٢٢؛ جوذر: سيرة، ص٧٠؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٢٦٦؛ مجموعة من الباحثين: الموسوعة التاريخية، ج٣، ص٨١.

(٢) لويس: القوى البحرية، ص٢٣٥-٢٣٦.

(٣) الرحيلي، سليمان: السفارات الإسلامية إلى الدولة البيزنطية، مكتبة التوبة، الرياض، د. ت، ص١٧٤، (سيشار إليه بالرحيلي: السفارات الإسلامية).

الهدنة: عقدت منذ أيام الخليفة عبد الله المهدي سنة ٣٠٥هـ /٩١٧م، مع الحاكم البيزنطي في قلورية بطلب من الإمبراطور قسطنطين السابع، وإنه على استعداد لدفع جزية سنوية مقدارها اثنان وعشرون ألف قطعة ذهبية، وذلك ليتفرغ البيزنطيون لخطر البلغار.

(٤) الكلبيين: يعودون إلى الحسن بن علي الكلبي، الذي أسس أسرة حاكمة لجزيرة صقلية بعد أن عينه الخليفة الفاطمي المنصور حاكماً عليها سنة ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م، وحكمت صقلية حوالي القرن. ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٢٢- ٢٢٣؛ أحمد، عزيز: تاريخ صقلية، ص٣٧؛ الزركلي: الأعلام، ج٢، ص٢٠١.

فما كان من الخليفة المنصور إلا أن استبدل الوالي الضعيف بوالي أكثر قوة، وهو الحسن بن علي بن أبي الكلبي، الذي كان له الدور الكبير في تثبيت دعائم الدولة الفاطمية من خلال قضائه على أخطر ثورة قامت ضدها، ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي[١].

لذا اختاره المنصور وهو على ثقة أنه قادر على إنهاء حالة الفوضى والتمرد التي عمت الجزيرة، انطلق الحسن بن علي الكلبي إلى صقلية سنة ٣٣٦هـ /٩٤٧م، ومعه جثة أبي يزيد الخارجي، ورأس ابنه الفضل ليؤكد لأهل صقلية أن ثورة الخارجي التي استغلوها للتمرد والخروج على الدولة الفاطمية قد انتهت، ومن يخرج عن طاعة الدولة في أي ولاية من ولاياتها سيكون مصيره كمصير أبي يزيد الخارجي، ويبدو أن الجثة لم تصل إلى أرض صقلية بسبب غرق المركب الذي كان يحملها، فذهب رأس الفضل وطفت جثة أبي يزيد التي أُرجعت إلى المهدية[٢].

وقبيل وصول الحسن الكلبي إلى مرسى مدينة مازر، كان وفداً صقلياً قد غادر الجزيرة إلى إفريقية، يضم شخصيات كبيرة منهم علي بن الطبري ومحمد بن عبدون ورجاء بن جنا، لمقابلة الخليفة المنصور، ليطلبوا منه إبدال الحسن الكلبي بوالي آخر[٣]، وأوصوا أتباعهم أن يمنعوا الحسن من دخول البلد، والعمل على تفريق سفنه في البحر، ريثما يصلوا إلى المنصور ويحصلون على مبتغاهم من الخليفة[٤].

---

(١) المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص٨٥.

(٢) ابن حماد: أخبار الملوك، ص٧٩– ٨٠؛ الدوري، تقي الدين عارف: صقلية وعلاقاتها بدول البحر المتوسط، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠م، ص١٠٩، (سيشار إليه بـ الدوري: صقلية وعلاقاتها).

(٣) ربما لم تكن القبائل العربية الموجودة في الجزيرة والتي يعود نسبها إلى قبيلة مضر قد خافت من تعيين رجل من قبيلة كلب العربية ويبدوا أن هناك خلاف قديم بين القبيلتين. طقوش: تاريخ الفاطميين، ص١٤٥. وربما يكون الخوف من قوة الحسن بن علي الكلبي الذي قضى على ثورة أبي يزيد الخارجي. الباحث.

(٤) جوذر: سيرة، ص٧١- ٧٢؛ أماري: المكتبة الصقلية، ص٢٥٧- ٢٥٨؛ دياب، محمد صابر: سياسة الدول الإسلامية في حوض البحر المتوسط من أوائل القرن الثاني الهجري حتى نهاية العصر الفاطمي، عالم الكتب، ط١، القاهرة، ١٩٧٣م، ص١٤٩- ١٥٠، (سيشار إليه بـ دياب: سياسة الدول).

فما أن وصل الحسن بن علي الكلبي إلى مازر حتى تفاجأ بوجود جماعة من أتباع ابن الطبري تتربص به فخادعهم عندما اتجه بسرعة إلى الخالصة وبلرم.

وهنا أتاه رجال الدولة من أصحاب الدواوين وأهل البلد الراغبين بالأمن والاستقرار، فرحب بهم وأحسن استقبالهم وسألهم عن أحوالهم وتعرف من خلالهم على أحوال البلد، وما آلت إليه نتيجة تمرد ابن الطبري وأتباعه، وبقي الحسن بن علي الكلبي متخوفاً من أتباع ابن الطبري إلى أن وصلته أخبار ما حصل للوفد الصقلي سابق الذكر، الذين زج بهم الخليفة المنصور في السجن، ورفض مطالبهم وعاملهم بقسوة(١).

هنا أصبح موقف الحسن الكلبي قوياً، وأخذ يتحين الفرصة كي يتخلص من معارضة ابن الطبري وحلفائه في الداخل، فتمكن منهم بالحيلة والذكاء عندما دعاهم ـ وعلى رأسهم إسماعيل ابن الطبري أخو علي ـ إلى بستانه وفي الليل قبض عليهم وأنزل بهم عقوبة المفسدين في الأرض، فقتلهم وصادر أموالهم(٢).

ومن خلال سياسة الحسن التي تقوم على الحزم واللين في معالجة الأمور تمكن من الحصول على ثقة أهل الجزيرة وتأييدهم. لذا لبى طلبهم بالتوسط لهم عند الخليفة المنصور لإطلاق سراح محمد بن عبدون الذي شهدوا له بالاستقامة والعدل، إلا أن المنصور رفض طلبه وأمره باستخدام القسوة والصرامة والقبض على كل خارج عن طاعة الدولة وإرساله إلى الخليفة الفاطمي، وأكد له أن السيف والقوة هي أفضل علاج لأهل صقلية الذين اعتادوا على حياة الترف والنعم وأبطرهم الإحسان(٣). لكن الحسن الكلبي نفذ سياسته التي رسمها والتي تقوم على تهدئة الأمور والتقرب من الأهالي، فتمكن بهذه السياسة من إزاحة المعارضة الداخلية

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٢٣ـ ٢٢٤؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٢٦٦ـ ٢٦٧؛ أماري: المكتبة الصقلية، ص٢٥٨.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٢٤؛ أماري: المكتبة الصقلية، ص٢٥٩.

(٣) جوذر: سيرة، ص٧١؛ دياب: سياسة الدول، ص١٤٩.

والحصول على محبة أهل صقلية، فتهيأت أمامه السبل إلى تأسيس حكم وراثي في صقلية تعاقب عليه أبناءه وأحفاده من بعده[١].

وبعد أن استقرت أمور الجزيرة، وهدأت أحوالها الداخلية على يد الوالي الفاطمي الجديد الذي بدأ يعمل لمتابعة أعمال الفتح داخل الجزيرة وخارجها، أذ أعاد الكثير من المدن التي خرجت على الفاطميين خلال الفتن والثورات إلى طاعتهم. كما هابته المسيحيين وبدؤوا يدفعون له ما ترتب عليهم من مال الجزية التي توقفوا عن دفعها منذ ثلاث سنوات[٢].

ما حدث في صقلية من تطور لصالح الفاطميين أخاف إمبراطور بيزنطة قسطنطين السابع ٣٠٠ـ ٣٤٨هـ/ ٩١٢ـ ٩٥٩م[٣]، الذي بدأ بتقوية مركزه في صقلية فأرسل أحد قادته على رأس جيش ضخم يساعده حاكم قلورية (السردغوس)، لضرب الوجود الفاطمي في صقلية فما كان من والي الجزيرة الحسن بن علي الكلبي إلا أن طلب من الخليفة المنصور في إفريقية المدد والعون ضد ما يحاك ضده[٤].

فأدرك المنصور خطورة الموقف، وخاصة بعدما حدث من تقارب واتفاق بين الإمبراطور البيزنطي، والخليفة الأموي الأندلسي عبد الرحمن الناصر سنة ٣٣٨هـ/ ٩٤٩م، ضد عدوهما المشترك الخليفة الفاطمي[٥].

فبدأ المنصور بتجهيز الحملة بنفسه التي بلغ تعدادها حوالي سبعة آلاف فارس وثلاثة آلاف وخمسمئة راجل بقيادة مولى المنصور فرج، فانطلقت الحملة سنة ٣٤٠هـ /٩٥١م. وعند وصولها إلى ميناء بلرم[٦]، وجدت الحسن بن علي الكلبي بانتظارها، فحشد قواته مع قوات

---

(١) المقريزي: المقفى، ص٣١٦؛ زكار: الموسوعة، ج٢، ص٢٥٢.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٢٤؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٢٦٧.

(٣) فرح، نعيم: تاريخ بيزنطة السياسي، منشورات جامعة دمشق، دمشق، ١٩٩٢م، ص٢٨٢– ٢٨٣، (سيشار إليه بـ فرح: تاريخ بيزنطة).

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٢٤؛ أماري: المكتبة الصقلية، ص٢٥٩.

(٥) فرح: تاريخ بيزنطة، ص٢٨٣.

(٦) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٢٤؛ ابن أبي دينار: المؤنس، ص٥٩؛ جمال الدين: الدولة الفاطمية، ص١٧٠.

الحملة القادمة من إفريقية وسار بهم براً وبحراً إلى ميناء مسينة[١]، ومنها عبر إلى مدينة ريو[٢]، أول مدن قلورية الواقعة اليوم في إيطاليا، فدخلت قواته إلى داخل قلورية فاضطر سكانها للهرب وحاصروا مدينة جراجة[٣] عدة أشهر، حتى هلك أهلها من الجوع والعطش ثم صالح أهلها على مبلغ من المال يدفعونه له مقابل فك الحصار، إضافة إلى أخذ رهائن منهم ضماناً له حتى لا يغدروا به[٤]، أثناء مواجهته للجيش البيزنطي الذي هرب دون قتال إلى مدينة باري[٥]، تابع الحسن بن علي الكلبي التوغل في قلورية، حيث حاصر قلعة قسانة[٦] عدة عدة أشهر إلى أن استسلمت مقابل جزية يدفعها أهلها.

وعندما دخل فصل الشتاء أخرج الحسن جيشه من قلورية متجها إلى مسينه ليشتي بها بعد أن استولى على كثير من مدن قلورية الموالية للروم[٧]، فكانت المرة الأولى التي يدخل فيها الحسن الحسن جنوب إيطاليا، ولم تكن الأخيرة حيث تبعتها عدة حملات، سيأتي ذكرها لاحقاً.

---

(١) مسينة (مسيني): بلدة على ساحل صقلية، مقابل مدينة ريو الموجودة على ساحل قلورية، بينها وبين ساحل إفريقية مائة وأربعون ميلاً. الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٤١٦؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، ج٢، ص٨٤٨؛ بنيامين، ابن الرابي يونة التطيلي: رحلة بنيامين التطيلي، المجمع الثقافي، ط١، أبو ظبي، ٢٠٠٢م، ص٣٦١، (سيشار إليه بـ بنيامين: رحلة).

(٢) ريو: مدينة ومرسى من بلاد قلورية على ضفة المجاز، مقابل مسينة الموجودة في صقلية، بينهما سبعة أميال. الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١١٦؛ الحميري: الروض المعطار، ص٢٨٠؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، ج٢، ص٦٥٠.

(٣) جراجة: مدينة في قلورية لا تبعد كثيراً عن ريو. الباحث.

(٤) ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٢٦٧؛ أماري: المكتبة الصقلية، ص٢٥٩.

(٥) باري (باره): مدينة ومرفأ إيطالي على البحر الإدرياتيكي اليوم. موقع الإسلام: تعريف بالإعلام: ج١، ص٢٨٣؛ النداف، نزار: أطلس الوطن العربي والعالم، دار القلم العربي، ط١، سورية، حلب، ٢٠٠٣م، ص٨٠، (سيشار إليه بـ النداف: أطلس).

(٦) قسانة: من مدن قلورية. الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٣٩٢؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ج١، ص٦٤.

(٧) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٢٤؛ أماري: المكتبة الصقلية، ص٣٦٠.

Jules GAY: La l'ttalie Meridion ale etl, Empire Byzantin, Paris, 1904. P 213.

على الرغم مما قدمه الحسن الكلبي من خدمات للفاطميين في صقلية، وما قام به من ضبط للأمور داخل الجزيرة وجهاد خارجها، إلا أن الخليفة المعز لدين الله الفاطمي ٣٤١-٣٦٥هـ/ ٩٥٣- ٩٧٥م ، الذي تسلم الحكم بعد وفاة والده المنصور، قام بعزل الحسن سنة ٣٤١هـ / ٩٥٢م، وتوليه ابنه أحمد بن الحسن بن علي الكلبي(١).

وربما كان سبب عزل الحسن وتعيين ابنه أحمد يعود إلى عدة أمور منها:

. حاجة المعز لدين الله إلى خبرات الحسن الحربية، فما أن غادر صقلية إلى إفريقية حتى سيره بحملة بحرية إلى الأندلس، لينتقم لحادثة المركب الفاطمي الذي هاجمه جنود عبد الرحمن الناصر الأموي في البحر المتوسط ـ كما مر في الفصل الثاني ـ وتمكن الحسن بن علي الكلبي سنة ٣٤٤هـ/ ٩٥٦م من الوصول إلى المرية الأندلسية، وأحرق ما فيها من مراكب(٢). كما استخدمه في الجيوش التي ترسل من إفريقية إلى صقلية لمساعدة الجيش الصقلي وفتح مناطق جديدة(٣). وربما هذا السبب الأقوى في عزل الحسن بن علي عن صقلية.

وربما سبب العزل يعود إلى خوف المعز لدين الله من استئثار هذا البيت القوي بالحكم في صقلية، والانفصال عن الدولة الفاطمية(٤)، علماً أن الحسن بن علي الكلبي لم يستمر على ولايته سوى سنوات قليلة أمضاها في الحرب، ولم تكن لديه المدة الكافية كي يؤسس نفوذاً أو سيطرة – كما سيحدث بعد ولاية ابنه أحمد- كما أن المعز لدين الله لم يستأصل الأسرة الكلبية بعزل الحسن فقد استبدل الابن بالأب، وبذلك أبقى حكم الأسرة الكلبية في صقلية.

---

(١) أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٩٦. ومعروف عن المعز لدين الله أنه تعلم وعاش مدة من الزمن في صقلية، كما أنه كان يجيد عدة لغات منها اللاتينية والصقلية والبربرية، فهو أكثر العارفين بأمور صقلية. تامر: المعز لدين الله، ص٦٧- ٦٨؛ أحمد: تاريخ صقلية، ص٣٧.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٥٤؛ أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص١٠٠، القاضي النعمان: المجالس، ص١٦٥؛ طقوش: تاريخ المسلمين، ص٣٢٥.

Dozy: R. Histoire des Musulmans, T.2, p. 160-165.

(٣) أحمد: تاريخ صقلية، ص٣٧.

(٤) حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص١٠٦.

استلم أحمد بن الحسن حكم صقلية وتابع سياسة والده في حكمها فأحبه الناس، وحاز على مكانة مرموقة بينهم، وعمل على تجديد ولاء صقلية للدولة الفاطمية، وتوثيق العلاقات معها، وذلك عندما أخذ حوالي ثلاثين رجلاً من وجهاء صقلية إلى المغرب، أعلنوا للخليفة طاعتهم ودخولهم في مذهب الدولة الفاطمية، فكافأهم الخليفة وأكرمهم وأغدق عليهم العطايا، ثم عادوا إلى صقلية(١).

تابع أحمد بن الحسن سياسة والده في الحكم وقتال البيزنطيين براً وبحراً على أرض صقلية وجنوب إيطاليا، محرزاً انتصارات كثيرة، وفاتحاً مناطق جديدة ـ سيرد ذكرها لاحقاً. ومع ذلك لم يبق أحمد الوالي الفاطمي في صقلية على الرغم مما قدم من أعمال وفتوحات داخلها وخارجها، إذ أرسل إليه الخليفة الفاطمي المعز لدين الله سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٩م، يأمره بالحضور إلى إفريقية مع جميع أفراد الأسرة الكلبية وحاشيتهم وأتباعهم، وعين على صقلية أحد موالي الحسن بن علي الكلبي ويدعى يعيش(٢).

ويبدو أن وضع العزل في المرة الأولى اختلف تماماً عن المرة الثانية، عندما عزل المعز لدين الله الحسن وعين ابنه أحمد وأبقى حكم صقلية بيد الكلبيين، أما في هذه المرة الثانية، فقد أمر برحيل كل أفراد الأسرة من صقلية إلى إفريقية. يرجح أن تكون للأسباب:

ـ خوف المعز لدين الله من استقلال هذه الأسرة في حكم صقلية وقطع علاقاتها مع الدولة الفاطمية وخاصة بعد الانتقال إلى مصر(٣).

ـ أو أن المعز لدين الله لم يعد بحاجة إلى هذه الأسرة في صقلية بعد عقد هدنة مع البيزنطيين

---

(١) أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٩٦. بينما ورد في المكتبة العربية الصقلية، أن الذي ذهب بوفد صقلية ليس أحمد الحسن بل هو الحسن والده، أول والي من الأسرة الكلبية في صقلية. أماري: المكتبة الصقلية، ص١٧٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٣٢٢؛ زكار: الموسوعة، ج٢، ص٣٠١؛ المقريزي: المقفى، ص٢٤٠؛ ابن الوردي: تاريخ، ج١، ص٢٧٢.

(٣) سرور: سياسة الفاطميين، ص٢٣٥؛ تامر: المعز لدين الله، ص١٠٢.

سنة ٣٥٧هـ/ ٩٦٧م، التي تخلى فيها عن طبرمين ورمطة للبيزنطيين مقابل السلام [١].

ـ أو يحتمل أن المعز لدين الله كان بحاجة إلى رجال هذه الأسرة معه لفتح الديار المصرية والشامية، وحتى يقلدهم مناصب عالية في الدولة تقديراً لهم عما قاموا به من خدمات للدولة الفاطمية، أو ليستعين بهم في القضاء على من يعادي الدولة ويتمرد عليها، كثورة أبي خزر يعلى الزناتي[٢].

وعندما وصل أحمد بن الحسن إلى إفريقية قدمه المعز لدين الله على جيوش البحر المتجهة إلى مصر، وفي الطريق توفي أحمد بن الحسن في أواخر سنة ٣٥٩هـ/ ٩٦٩م، ودفن في مدينة طرابلس الليبية[٣].

وبعد رحيل الكلبيين عن صقلية عادت الاضطرابات والفتن من جديد خلال ولاية يعيش مولى الحسن الكلبي لها. فحسب ما ذكره ابن الأثير في الكامل، أن الوالي الجديد حاول الاهتمام بصناعة السفن، حرفة أهل الجزيرة المحاربين، فجمع القبائل للعمل بهذه الحرفة في مدينة بلرم، لكن وقع خلاف بين موالي كتامة الخبراء في صناعة المراكب، وبين موالي قبائل أخرى، ونشب القتال بينهم فقتل الكثير منهم، وكانت خسائر موالي الكتاميين أكثر من منافسيهم، وانتشر الشر والعداوة فلم يتمكن يعيش من إصلاح الوضع وتهدئة النفوس، فازداد الوضع سوءاً وانتشر الفساد والظلم بين الناس[٤].

---

(١) المدني: المسلمون في جزيرة صقلية، ص١٢٩ـ ١٣٠.

(٢) هنا استعان المعز لدين الله بالحسن بن عمار بن علي الكلبي، للقضاء على هذه الثورة، والحسن هذا هو ابن أخ الحسن بن علي، مؤسس الأسرة الكلبية في صقلية. المقريزي: المقفى، ص٣٧٣.

(٣) أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٩٧؛ ابن الوردي: تاريخ، ج١، ص٢٧٢؛ العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص٣٣٧.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٣٢٢؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٢٦٨.

هنا أدرك المعز لدين الله ضرورة إعادة حكم الكلبيين إلى الجزيرة ليعود الأمن والاستقرار، فعزل يعيش، وعين أبا القاسم علي بن الحسن بن علي الكلبي سنة ٣٥٩هـ / ٩٦٩م، نيابة[١] عن أخيه أحمد[٢]. وعند وفاة الأخير في السنة نفسها أرسل المعز لدين الله سجلاً بتقليد أبا القاسم علي والياً، بالأصالة على صقلية، وبولاية أبا القاسم علي ورحيل المعز لدين الله إلى القاهرة، يبدأ عهد جديد في صقلية، حيث حظي الولاة الكلبيون بنوع من الاستقلال الذاتي، وانقطع التدخل المغربي بصقلية، وأصبحت تتبع مباشرة للقاهرة[٣].

باشر الوالي الجديد عمله في الجزيرة، وتمكن من إعادة الهدوء والسكينة، ونشر الأمن، وفرح أهل الجزيرة بقدومه واتفقوا على طاعته، فيذكر ابن الأثير أنه كان عادلاً، حسن السيرة، كثير الشفقة على رعيته، والإحسان إليهم، عظيم الصدقة، ولم يخلف ديناراً ولا درهماً ولا عقاراً، فإنه كان قد وقف جميع أملاكه على الفقراء، وأبواب البر[٤].

كما أن أبا القاسم علي واصل سنن سلفه في مواصلة الجهاد، وانتهت حياته شهيداً في أرض قلورية سنة ٣٧٢هـ / ٩٨٢م [٥]. فتسلم ابنه جابر بن علي حكم صقلية في خلافة العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله ٣٦٥- ٣٨٦هـ / ٩٧٥- ٩٩٦م، الذي أرسل إليه من مصر قرار تثبيته كوالي رسمي على صقلية[٦].

لكن جابر لم يكن كأبيه وعمه، بل اتصف بالضعف وسوء التدبير والإرادة، فأرسل الخليفة الفاطمي العزيز جعفر بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي الحسين الكلبي من مصر إلى

---

(١) يفهم من خلال النيابة أن المعز لدين الله أبقى أحمد الوالي الرسمي على صقلية فلم تنقطع ولايته بتعيين مولى الحسن يعيش ولا بتعيين أخوه علي، بل بقيت الولاية لأحمد حتى وفاته سنة ٣٥٩هـ / ٩٦٩م، وربما أراد المعز بالنيابة الحد من استقلال الأمراء الكلبيين في صقلية. الباحث.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٣٢٢؛ أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٩٧؛ الدوري: صقلية وعلاقاتها، ص١١٢.

(٣) لويس: القوى البحرية، ص٢٩٣- ٢٩٤.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٤٠٠.

(٥) أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص ٩٧.

(٦) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص٣٧١؛ الذهبي: سير، ج١٥، ص١٦٧.

صقلية ليكون والياً عليها بدلاً من ابن عمه جابر سنة ٣٧٣هـ/ ٩٨٣م، ومعروف أن جعفر كان ذا مرتبة رفيعة عند العزيز[١].

فاستقام أمر صقلية وعاد الرخاء إليها، ونال ثقة الجميع بكرمه وجوده، وأصبحت أكثر استقلالاً من السابق عن الدولة في عهده[٢]، وبعد وفاته توالى الأمراء الكلبيين[٣] على صقلية إلى أن دب فيهم الضعف وكثرت الخلافات والمنافسات التي أدت إلى انهيار حكمهم[٤]، بل أصبحت الحقبة الأخيرة من حكمهم شبيهة بمرحلة ملوك الطوائف في الأندلس[٥]، وأصبحت البلاد سهلة المنال أمام الغزاة الطامعين، لتكون من نصيب النورمانديين، حكام جنوب إيطاليا الذين استولوا عليها بمساعدة ابن الثمنة حاكم سرقوسة الذي ذهب إلى حاكم قلورية عارضاً عليه تسليم الجزيرة له، وذلك على إثر خلاف وقع بين ابن الثمنة وأخو زوجته ابن الحواس حاكم قصريانة الذي انتصر عليه مما جعل ابن الثمنة يستنجد بالنورمان[٦]، مما أتاح لهم الفرصة لغزو صقلية، حيث تمكن روجر بن تنكرد النورمندي حاكم قلورية من السيطرة على جميع أراضي الجزيرة سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م، ليبدأ الحكم النورماندي لها[٧].

---

(١) المقريزي: المقفى، ص٣١٧؛ زكار: الموسوعة، ج٢، ص٢٥٢.

(٢) المقريزي: المقفى، ص ٣١٨.

(٣) توجد قائمة بأسمائهم ومدة حكمهم في الملاحق، ٢٤١- ٢٤٢.

(٤) يكون قد بلغ عدد الأمراء الكلبيين الذين حكموا صقلية حوالي عشرة، ومدة حكمهم تجاوزت مئة سنة، أي من سنة ٣٣٦- ٤٤٣هـ/ ٩٤٧- ١٠٥١م. المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٢١.

(٥) بعد انتهاء حكم الكلبيين في صقلية، حكمها بعض الولاة المتنفذين منهم: علي بن نعمة بن الحواس الذي حكم قصريانة وجرجنة، وابن الثمنة محمد بن إبراهيم الذي حكم سرقوسة وقطانية. ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٢٦٩؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٣٣، ص١٧؛ النويري. نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٨٠؛ عباس: العرب في صقلية، ص٤٨.

(٦) أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٩٧- ٩٨؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٢٦٩.

(٧) الطيبي: أمين توفيق: دراسات في تاريخ صقلية الإسلامية، دار إقرأ، طرابلس، ليبيا، ١٩٩٠م، ص١٩٧- ص١٩٧- ١٩٨، (سيشار إليه بـ الطيبي: دراسات في تاريخ صقلية).

٤ـ انتصار الكلبيين على الروم وفتح مناطق جديدة :

استطاع الفاطميون في ظل حكم بني أبي الحسين الكلبيين في صقلية من متابعة الجهاد في البحر المتوسط، ودخول مناطق لم يسبق لهم أن دخلوها. فقد مر سابقاً كيف تمكن الحسن الكلبي ـ بعد قضائه على المتمردين من بني الطبري وحلفائهم ـ من تحقيق انتصارات داخل الجزيرة وخارجها، سبب ذلك ردود فعل عند البيزنطيين الذين بدؤوا يشكلون تحالفات للحد من توسع الفاطميين في البحر المتوسط، ويرسلون الحملات العسكرية لمهاجمة الممتلكات الفاطمية في صقلية، لكن الحسن الكلبي وبدعم الجيوش الفاطمية المرسلة من إفريقية سنة ٣٤٠هـ/ ٩٥١م[١]، تمكن من فتح مناطق جديدة، ثم عبر المضيق الفاصل بين صقلية وقلورية (كلابريا) ليدخل مدينة ريو، ويتابع بعدها داخل قلورية محققاً عدة انتصارات على الروم الذين هربوا إلى مدينة باري، أما المدن التي دخلها في قلورية، فقد صالح أهلها على جزية يدفعونها ليعود بعدها إلى مدينة مسينة في صقلية ليشتي فيها[٢].

وبحلول فصل الربيع أرسل المنصور إلى الحسن يأمره بالرجوع إلى قلورية واستئناف الأعمال القتالية، فاجتاز الحسن المضيق الفاصل بين صقلية وقلورية ليدخل مدينة ريو للمرة الثانية، وفي جراجة التقى جيش المسلمين بجيش الروم الذي أرسله الإمبراطور البيزنطي، بقيادة البطريق ملجان لمساعدة حاكم قلورية، والتحم الجيشان سنة ٣٤٠هـ/ ٩٥٢م[٣]، انتهت بانتصار بانتصار المسلمين، وهزيمة الروم حيث قتل فيه البطريق ملجان وفر حاكم قلورية بصعوبة، وغنم المسلمون جميع أثقالهم وسلاحهم ودوابهم[٤].

وفي بداية سنة ٣٤١هـ/ ٩٥٢م، واصل الحسن الكلبي حصار مدينة جراجة التي استسلمت مقابل مبلغ من المال ليتفرغ بعدها لفتح مدن جديدة. هذا ما جعل الإمبراطور البيزنطي العاجز عن مواجهة المسلمين يطلب الصلح والهدنة، إذ أرسل مبعوثه جان بلاطوس إلى الخليفة المنصور حاملًا معه هدايا ثمينة، فتقبل المنصور هداياه، واستقبله بترحيب، وأمر

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٢٤؛ ابن أبي دينار: المؤنس، ص٥٩.

(٢) القاضي النعمان: المجالس، ص٢٤٠– ٢٤١؛ أماري: المكتبة الصقلية، ص٣٦٠.

(٣) ابن خلدون: تاريخ ، ج٤، ص٢٦٧.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٣٩؛ أماري: المكتبة الصقلية، ص٣٦٠.

عامله على المهدية جوذر بأن يُحمّل رسول الإمبراطور أغلى وأثمن الهدايا الموجودة لديه مما يصلح أن يبعث إلى الملوك[١].

وبعث المنصور إلى عامله الحسن بن علي في صقلية يخبره بقبول الهدنة والتفاوض مع المبعوث البيزنطي، وتم الاتفاق بين الطرفين، ومن شروط الاتفاق ما يلي:

أ- بناء مسجد كبير في مدينة ريو.

ب- يتعهد المسيحيون باحترام قدسية هذا المسجد، فلا يسمح لهم دخوله، أو التعدي عليه، وفي حال تعرض هذا المسجد إلى التهديد أو الهدم تهدمت كنائسهم في كل من صقلية وبلاد المغرب[٢].

عاد الحسن بن علي بعد هذا الاتفاق إلى صقلية، ليعود بعد وفاة المنصور إلى أفريقيا أواخر سنة ٣٤١هـ/٩٥٢م، وتسلم حكم صقلية ابنه أحمد من قبل الخليفة المعز لدين الله[٣]. ومع ذلك لم يتوقف الوالي المعزول الحسن بن علي عن أعمال الجهاد بل قاد العديد من الحملات في البر والبحر ضد أعداء كثر، متعاوناً بذلك مع ابنه أحمد الوالي الجديد على صقلية، ومع أخيه عمار وابن أخيه الحسن بن عمار، في البحر المتوسط وخاصة البيزنطيين.

إذ قام الإمبراطور البيزنطي بخرق الهدنة، ولم يحترم شروط الصلح مع الحسن بن علي الكلبي، مستغلاً بذلك الحرب الدائرة بين الفاطميين والأمويين في الحوض الغربي للبحر المتوسط من جهة، وما أحرزته جيوشه من انتصارات على الجبهة الشرقية ضد العباسيين

---

(١) جوذر: سيرة، ص٦١؛ الرحيلي: السفارات الإسلامية، ص١٧٤.

J. GAY, La l'ttalie. P. 204.

(٢) أماري: المكتبة الصقلية، ص٣٦٠؛ الرحيلي: السفارات الإسلامية، ص١٧٥؛ تامر: المعز، ص٩٨.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٣٩. الحاج، صالح عمار: المغرب العربي من خلال خلافة المعز لدين الله الفاطمي، المكتب المصري للنشر، القاهرة، د. ت، ج١، ص٢٤٧. (سيشار إليه بـ الحاج: المغرب العربي).

والحمدانيين[١] في بلاد الشام من جهة ثانية[٢]، فأرسل حملة بحرية بقيادة باسيل في أواخر سنة ٣٤٤هـ / ٩٥٥م، رست في ميناء ريو ومن هنا بدأت تشن هجمات على المواقع الإسلامية في صقلية محققه انتصارات في عدة مواقع، وخاصة في ترميني[٣]، ومازرة[٤]، وهاجموا بلرم وقتلوا أعداداً كثيرة، كما خرجوا وهدموا بعض مقدسات المسلمين، كالمساجد مما أغضب الخليفة المعز لدين الله الذي أرسل على الفور حملة من إفريقية إلى صقلية بقيادة عمار بن علي شقيق الحسن بن علي الكلبي في أوائل سنة ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م، ليلحق به أخوه الحسن على رأس حملة أخرى، محققين بذلك نصراً عظيماً على الروم، ومنعوا البيزنطيين من التوجه نحو السواحل الإفريقية[٥]، مع أن الظروف الجوية لم تكن من صالح الأسطول الإسلامي، إذ تعرض إلى عاصفة شديدة شردت الكثير من السفن، مما شجع البيزنطيين على مهاجمة السفن الضالة في البحر، واستولوا على عدد منها، مما جعل الحسن بن علي يجهز أسطولاً بقيادة أخيه عمار لمهاجمة قلورية، وإعادة المراكب الفاطمية من البيزنطيين. إلا أن هذا الأسطول تعرض لرياح شديدة بالقرب من صقلية أدت إلى تحطيم الكثير من المراكب وغرق العديد من الجنود ومن بينهم قائد الحملة عمار سنة ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م. الذي وجدوه بين حطام السفن، وفي اليوم الثاني دفن في صقلية[٦].

---

(١) الحمدانيون: ينتمون إلى قبيلة تغلب العربية، حكموا في أيام ضعف الدولة العباسية كل من الموصل وحلب، وأهم رجالهم، ناصر الدولة أبي الهيجاء، وسيف الدولة الحمداني، وأبي فراس الحمداني. القلقشندي: نهاية الأرب، ص٢٣٦.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٥٣- ٢٥٤؛ حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص١٠١.

(٣) ترميني: مدينة ساحلية تقع على الشاطئ الشمالي لصقلية، تبعد عن بلرم أربعة عشر ميلاً. أطلس العالم الكبير، مكتبة الصغار، بيروت، ١٩٩٩م، ص٤٢٣، (سيشار إليه بـ أطلس العالم الكبير).

(٤) مازرة: مدينة على الساحل الشرقي لصقلية. أطلس العالم الكبير، ص٤٢٣.

(٥) القاضي النعمان: المجالس، ص١٧٦.

Vasiliev, A: Byzance et les. Bruxelles, 2. 1930. P 106.

(٦) المقريزي: المقفى، ص٣٧٢؛ زكار: الموسوعة، ج٢، ص٢٩٥.

وعلى الرغم من تحطيم جزء من الأسطول الفاطمي، إلا أن الحسن بن علي تمكن من التصدي للروم وحلفائهم الأمويين الذين كان هدفهم الوصول إلى المهدية في إفريقية[١].

ومع كل هذه الانتصارات التي حققها الجيش الفاطمي الإسلامي والخسائر التي تكبدها الأعداء، قرر الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع التفاوض وطلب الصلح مع الفاطميين، وجرت المفاوضات بين الحسن بن علي وحاكم قلورية في سنة ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م، وتضمن الاتفاق ما يلي:

أ- وقف القتال بين الطرفين.

ب - يتعهد البيزنطيون بالإفراج عن أسرى المسلمين[٢].

ج - يدفع البيزنطيون جزية سنوية عن أرض قلورية مقدارها أحد عشر ألف دينار.

د - مدة المعاهدة خمسة أعوام[٣].

وبذلك اعترفت بيزنطة بالوصاية الفاطمية على قلورية، وتبادل الطرفان الهدايا، حيث غادرت عدة سفن بيزنطية إلى إفريقية محملة بالأسرى والجواهر الثمينة من الذهب والفضة والحرير[٤].

وبمقتضى هذه المعاهدة يبدو أن الطرفين اتفقا على أن يمنح كل واحد منهما الطرف الآخر حرية التصرف في ناحيته، أي الإمبراطور البيزنطي له الحرية في محاربة الحمدانيين والعباسيين في الشرق، وكذلك الحرية للخليفة الفاطمي في محاربة الأمويين في الأندلس.

---

(١) القاضي النعمان: المجالس، ص١٦٧؛ تامر: المعز، ص٩٩.

(٢) يفهم من هذا البند ما وصل إليه الخليفة الفاطمي المعز لدين الله من قوة، إذ اعترفت به بيزنطة خليفة على بلاد المشرق الإسلامي، وليس على المغرب فقط، هذا الأمر أثار حفيظة المعز لدين الله الذي أخذ في الإسراع في التوسع الفاطمي نحو مصر وبلاد الشام. الباحث.

(٣) القاضي النعمان: المجالس، ص٣٦٧؛ الرحيلي: السفارات الإسلامية، ص١٧٦.

Vasiliev, A: Byzance. 2. P 79.

(٤) القاضي النعمان: المجالس، ص٣٦٧؛ القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص٣٣٧؛ جوذر: سيرة، ص١٢٥.

استمرت العلاقة ودية بين الطرفين (البيزنطي – الفاطمي) حتى عام ٣٤٩هـ/ ٩٦٠م. أي قبل انتهاء مدة المعاهدة المبرمة بين الطرفين بعام، إذ عكر صفاء العلاقة ما قام به الإمبراطور البيزنطي رومانوس الثاني (٣٤٨- ٣٥٢هـ/ ٩٥٩- ٩٦٣م)[١] خليفة قسطنطين السابع، عندما وجه حملة عسكرية بقيادة نقفور فوكاس إلى جزيرة كريت (أقريطش)[٢]، التي كانت خاضعة للسيادة العباسية، فاستنجد أميرها عبد العزيز بن عمر بن شعيب بالخليفة العباسي في بغداد، والحمدانيين في بلاد الشام، والإخشيديين في مصر، فلم ينجده أحد من هؤلاء، إذ كانت الخلافة العباسية ضعيفة، والحمدانيين قد أنهكتهم الحروب المتواصلة مع البيزنطيين، والإخشيد صاحب مصر ليس لديه القوة الكافية لمواجهة الجحافل البيزنطية، كما أنه كان يدخر قوته لمواجهة الخطر القرمطي[٣].

فما كان من الإخشيد وأهل كريت إلا أن طلبوا المساعدة من الخليفة الفاطمي المعز لدين الله، الذي أدرك أهمية جزيرة كريت في السياسة الفاطمية الرامية إلى الشرق، فبدأ استعداده لتقديم المساعدة، وبدأ بإعداد الجيوش في إفريقية وصقلية، وحث الإخشيدي للإسراع في نجدة كريت، ثم أرسل إلى الإمبراطور البيزنطي يطلب منه رفع الحصار وإجلاء قواته عن كريت، وحذره في حال لم يوافق على مطلبه سينقض المعاهدة التي عقدها مع والده قسطنطين السابع[٤].

---

(١) رومانوس الثاني: هو ابن الإمبراطور قسطنطين السابع، مات مسموماً فتسلمت زوجته تيوفانوا التي كانت وصية على ولديها الصغيرين باسيليوس وقسطنطين، ثم تزوجت من قائد الجيوش الشجاع نقفور الثاني فوكاس. فرح: تاريخ بيزنطة، ص٢٣٩-٢٤٠.

(٢) كريت: جزيرة يونانية في البحر المتوسط، يسميها العرب أقريطش، غزاها عبد الله بن أبي السرح أمير مصر، ثم خضعت للأندلس سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٥م، وانتزعها البيزنطيون في عهد نقفور فوكاس سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م. الحميري: الروض المعطار، ص٥١؛ بينامين: رحلة: ص٣٥٧؛ موقع الإسلام: تعريف بالأعلام، ج١، ص٥٦.

(٣) غنيم، أسمنت: الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٣م، ص٢٥٢. ٢٥٧، (سيشار إليه بـ غنيم: الإمبراطورية البيزنطية).

(٤) ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٢٧٠؛ ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج٣، ص٣٧٥؛ غنيم: الإمبراطورية البيزنطية، ص٢٥٧- ٢٥٨؛ القاضي النعمان: المجالس، ص٤٤٤-٤٤٧.

ويبدو أن كريت سقطت في يد البيزنطيين قبل التحرك الفاطمي الإخشيدي وقبل وصول إنذار الخليفة المعز لدين الله إلى الإمبراطور البيزنطي، حيث كان سقوطها سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م[١].

ولما علم المعز لدين الله بذلك عدل عن إرسال أسطوله إلى كريت خوفاً من حدوث أمور لا تحمد عقباها، لكنه أرسل إلى أحمد بن الحسن والي صقلية يأمره بالزحف إلى المدن التي توجد فيها حاميات بيزنطية في المنطقة الشرقية من صقلية.

توجه أحمد بن الحسن يساعده ابن عمه الحسن بن عمار سنة ٣٥١هـ/ ٩٦٢م إلى تلك المناطق الواقعة في جنوب مسينيا، وهي مناطق جبلية وعرة، وتمكن بعد حصار استمر أكثر من سبعة أشهر من السيطرة على قلعة طبرمين[٢] الحصينة، التي استسلم أهلها وطلبوا الأمان على أرواحهم، وتكون أموالهم تحت تصرف المسلمين، فوافق أحمد بن الحسن وأخرج أهلها منها، وأسكن فيها المسلمين المهاجرين القادمين من مختلف أنحاء الدولة الفاطمية، وأطلق عليها اسم المعزية ـ بدلاً من طبرمين ـ نسبة إلى الخليفة الفاطمي المعز لدين الله[٣].

وبعد السيطرة على طبرمين، أرسل أمير صقلية أحمد بن الحسن ابن عمه الحسن بن عمار على رأس جيش لفتح مدينة رمطة [٤]، وفرض عليها حصاراً من كل الجهات، لكن هذه المدينة اختلفت عن سابقتها، فقد صمدت أكثر من طبرمين، إذ استنجد أهلها بالإمبراطور

---

(١) ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٢٧٠.

(٢) طبرمين: اسم أعجمي لقلعة في صقلية، فتحها العرب أول مرة سنة ٢٨٩هـ / ٩٠١م خلال حكم الأغالبة، ثم خضعت للنفوذ الفاطمي بعد أن فتحت مرة ثانية على يد أحمد بن الحسن الكلبي سنة٣٥١هـ/ ٩٦٢م. إحسان: العرب في صقلية، ص٣٩؛ الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص١٧؛ الحميري: الروض المعطار، ص٣٨٥.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٥، ص٢٥٦؛ ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٧٥- ٢٧٦؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٢٦٧؛ جوذر: سيرة، ص١١٦- ١١٧؛ أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص١٠٤؛ أماري: المكتبة الصقلية، ص٣١٣.

J. GAY, La l'ttalie. P. 290.

(٤) رمطة: اسم أعجمي لقلعة حصينة في صقلية، تقع فوق جبل بعيدة عن البحر. الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٦٨؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، ج٢، ص٦٣٢.

البيزنطي نقفور فوكاس (٣٥٢- ٣٥٩هـ/ ٩٦٣- ٩٦٩م)، الذي أسرع في نجدتهم خوفاً من أن يحل بهم ما حل بأهل طبرمين فأرسل جيشاً ضخماً قُدّر بخمسين ألف مقاتل، مزوداً بالمؤن والذخيرة – يذكر الإخباريون بأنه أعظم ما نزل بصقلية من عسكر الروم على الإطلاق- تحت قيادة مانويل ابن الدمستق ليو فوكاس ابن أخيه، يساعده أمير البحر نيكيتاس[١]، وعند وصول خبر هذا الجيش إلى والي صقلية أحمد بن الحسن، بدأ مباشرة بتنظيم الجيش وإصلاح الأسطول، وبناء مراكب جديدة، وحشد المقاتلين في البر والبحر، وأرسل إلى الخليفة الفاطمي يطلب منه المساعدة، حيث أرسل المعز لدين الله إمدادات عسكرية بقيادة والده الحسن بن علي، فوصلت الإمدادات إلى صقلية في شهر رمضان سنة ٣٥٣هـ/ ٩٦٤م، قبل وصول القوات البيزنطية، وذلك لقرب المسافة بين تونس وصقلية.

وتم تقسيم القوات الإسلامية في صقلية إلى قسمين، لمواجهة الخطر البيزنطي، القسم الأول يقوده الحسن بن عمار الذي استمر في حصار رمطة، والثاني يقوده الحسن بن علي الذي عسكر في بلرم[٢].

أما البيزنطيون كان وصولهم في شهر شوال من السنة نفسها، حيث استولوا على ميناء مسينة وترميني، وهاجموا سواحل الجزيرة الشمالية ليتجهوا بعدها إلى رمطة لفك الحصار عنها، هنا أدرك القائد الحسن بن عمار خطورة الموقف، فاتخذ عدة إجراءات منها: ـ قسم جيشه إلى أربعة أقسام، القسم الأول جعله على حصار رمطة لمنع اتصال أهل رمطة المحاصرين بالبيزنطيين، والقسم الثاني والثالث أوكل إليهم مهمة منع وصول قوات العدو إلى رمطة عن طريق الواديين اللذين يصلان إلى المدينة، أما القسم الرابع اتجه به الحسن لمواجهة القوات البيزنطية قبل وصولها إلى رمطة[٣]. كما استنجد بابن عمه أمير صقلية الموجود في بلرم، فانطلق أحمد لنجدته إلا أن القوات البيزنطية وصلت قبله فتفاجأ أحمد بكثرتها في البر والبحر،

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ح٧، ص٢٨٤؛ المقريزي: المقفى، ص٣٧٢؛ العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص٣٣٧.

(٢) ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٢٦٧؛ سالم، والعبادي: تاريخ البحرية، ص١٤٠- ١٤١.

(٣) النويري: نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٧٠- ٣٧١؛ أماري: المكتبة الصقلية، ص٢٦٤.

فأبطأ السير، وبدأ يضغط على البيزنطيين من الخلف ليتمكن من استرداد بعض المناطق التي سيطر عليها العدو[١].

بدأت الحرب ولم تكن قوات الحسن بن عمار القليلة العدد والعتاد تقارن بالجحافل الجرارة للجيش البيزنطي، فأدرك خطورة الموقف، فاختار مع قواته الموت على الحياة، واندفعوا بحماس وقوة وركزوا في قتالهم على القادة البيزنطيين إذ تمكنوا من عقر فرس القائد مانويل وقتله، مما أربك ذلك جنود العدو ودب فيهم الهلع والخوف، كما أن الأحوال الجوية وقفت عائقاً أمامهم مما أسفر عن هزيمتهم شر هزيمة، وكثر فيهم القتل، ومن نجا منهم هرب إلى جهة اعتقدوا نجاتهم من خلالها فإذا بها جهة وعرة فيها جرف عميق سقطوا فيه وقتل بعضهم بعض في هذه الحادثة التي أطلق عليها موقعة الحفرة [٢].

وتتبع المسلمون الفارين منهم وعملوا بهم القتل والأسر، حتى غنموا الكثير من السلاح والأموال والدواب، وكان من بين الغنائم سيف هندي مكتوب عليه " هذا سيف هندي وزنه مائة وسبعون مثقالاً، طالما ضرب به بين يدي رسول الله ﷺ "[٣]. فأرسل هذا السيف مع الكثير من الغنائم والأسرى إلى الخليفة الفاطمي في إفريقية[٤].

بعد هذا النصر العظيم الذي حققه جيش الحسن بن عمار أصبح من السهل سقوط مدينة رمطة التي بقيت تقاوم رغم كل ما حققه المسلمون من انتصارات ورغم انهيار معنويات جنودها القتالية وقلة الموارد الغذائية لديهم، فاختاروا متابعة الدفاع بعد أن أخرجوا من المدينة الأطفال والشيوخ والنساء، وبقي المقاتلون يدافعون عن مدينتهم، ولم يتمكن المسلمون من هذه المدينة إلا ليلاً، عندما تقدم رجال الحسن بن عمار تحت جنح الليل، مستخدمين السلالم والرماة،

---

(١) تامر: المعز، ص١٠٠.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٨٥؛ النويري: نهاية الأرب، ج٤، ص٣٧١- ٣٧٢؛ أماري: المكتبة الصقلية، ص٢٦٥؛ زكار: الموسوعة، ج٢، ص٢٩٥.

(٣) ابن كثير: البداية، ج١٥، ص٢٦٦؛ أبو الفداء: المختصر، ج٣، ص٩٦؛ ابن الوردي: تاريخ، ج١، ص٢٧٢؛ مجموعة من الباحثين: الموسوعة التاريخية، ج٣، ص١١٩.

(٤) أماري: المكتبة الصقلية، ص٢٦٥.

J. GAY, La l'ttalie. P. 291.

وصعدوا على أسوارها ليأخذوها عنوة فتمكنوا منها فأعملوا فيها القتل والأسر وغنموا منها الكثير، ثم أسكنوا فيها المسلمين ليعمروها، ولينشروا الإسلام فيها[١].

٥- معركة المجاز سنة ٣٥٤هـ /٩٦٥م:

بعد الانتصارات التي حققتها القوات الفاطمية الإسلامية بقيادة الحسن بن عمار، هرب من نجا من البيزنطيين بسفنهم آخذين من خرج معهم من صقلية، وتجمع الناجون في مدينة ريو الواقعة في قلورية، فلحق بهم أمير صقلية أحمد بن الحسن[٢]، ودارت بين الطرفين معركة بحرية في الممر المائي الفاصل بين صقلية وقلورية، الذي يعرف بالمجاز، أظهر فيها أحمد وجنوده براعتهم في القتال البحري، إذ غطس مجموعة من رجاله في البحر، وتمكنوا من خرق عدد كبير من سفن العدو وأغرقوها، وبدؤوا فيهم القتل والأسر، وكان من بين الأسرى قائد الأسطول نيكيتاس الذي أرسل مع الغنائم إلى بلرم ثم إلى إفريقية[٣].

ولم تقل أهمية هذه المعركة التي حدثت سنة ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م عن معركة رمطة أو ما تعرف بموقعة الحفرة التي تم ذكرها سابقاً.

هذا الانتصار أخاف قلورية ودفعها للاستسلام أمام قوات أحمد بن الحسن، ورضيت بدفع جزية سنوية يدفعونها للفاطميين[٤]. ليغادر الأسطول والجيش الفاطمي إلى بلرم محملين بالأسرى والغنائم الكثيرة، وأقيمت الأفراح والاحتفالات في كل أرجاء الدولة الفاطمية ابتهاجاً وفرحاً بما حققوه من انتصارات على أعدائهم، ولكن الحسن بن علي مؤسس الأسرة الكلبية

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٨٥؛ أماري: المكتبة الصقلية، ص٢٦٦.

(٢) كان أحمد أمير صقلية على رأس جيش مستعد لأي هجوم بيزنطي على مدينة بلرم حاضرة المسلمين في صقلية، إذ لم يتمكن أحمد من الوصول إلى ابن عمه الحسن الذي استنجد به، وذلك بسبب التواجد البيزنطي الكثيف، فكان تحركه بطيئاً لكنه تمكن خلال سيره البطيء من إعادة السيطرة على بعض المناطق التي سيطر عليها البيزنطيين، كما كان يمنع أي تقدم لهم باتجاه الغرب. الباحث.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٨٥؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٢٦٧؛ أماري: المكتبة الصقلية، ص٣٦٦؛ أحمد: تاريخ صقلية، ص٣٨.

(٤) حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص١٠٤؛ الكلاس: السياسية البحرية، ص ٢٥٨- ٢٥٩.

الحاكمة في صقلية لم يسعد بالانتصارات إذ أصيب بحمى أودت بحياته، فمات سنة ٣٥٤هـ / ٩٦٤م.

مات الحسن بن علي الذي أسس لأبنائه ملكاً قوياً في صقلية، أفنى حياته في جهاد الأعداء، والقضاء على ثورات المتمردين والخارجين على الدولة الفاطمية داخل صقلية وخارجها، كما ساهم في تحقيق انتصارات عديدة على البيزنطيين في البر والبحر، وهزم الأمويين على سواحل الأندلس، فحزن عليه أهل صقلية حزناً شديداً لما وجدوا من العدل والخير على يديه(١).

ونتيجة للانتصارات الفاطمية في رمطة والمجاز، أيقن الإمبراطور البيزنطي نقفور فوكاس أنه ليس بمقدوره طرد المسلمين من جزيرة صقلية، كما أن هناك خطر جديد بات يهدد وجود الإمبراطورية البيزنطية الشرقية، هذا الخطر تمثل بظهور الإمبراطور أوتو الأول ٣٠٠-٣٦٣هـ/ ٩١٢- ٩٧٣م(٢)، الذي استولى على شمال إيطاليا ووسطها، وأجبر البابا على تعيينه إمبراطوراً مقدساً، وبدأ يهدد المناطق الجنوبية من إيطاليا، وسعى إلى إعادة إحياء إمبراطورية شارلمان(٣)، وتوحيد إيطاليا وطرد البيزنطيين والمسلمين منها، فبات هذا الخطر يهدد ممتلكات البيزنطيين والفاطميين معاً(٤). مما جعل الإمبراطور نقفور يرسل أحد أشرافه وهو نيقولا سنة ٣٥٧هـ / ٩٦٨م، سفيراً إلى الخليفة الفاطمي محملاً بالهدايا والجواهر الثمينة، وكتاباً يطلب فيه وقف القتال، وعقد هدنة بشروط الهدنة السابقة على أن تكون طويلة الأمد(٥).

---

(١) ابن خلدون : تاريخ، ج٤، ص٢٦٨؛ جوذر : سيرة، ص١٢٨.

(٢) أوتو الأول: أول الأباطرة الذين حكموا ما عرف لاحقاً بالإمبراطورية الرومانية المقدسة، حاول أن يحكم ألمانيا بأكملها، وقام سنة ٣٤٠هـ/ ٩٥١م باجتياز جبال الألب، وأعلن نفسه ملكاً على إيطاليا. الموسوعة العربية العالمية، كمبيوتر.

(٣) شارلمان: ١٢٥- ١٩٩هـ / ٧٤٢- ٨١٤م، أشهر حكام العصور الوسطى حكم أجزاء كبيرة من أوربا الغربية. الموسوعة العربية العالمية، كمبيوتر.

(٤) عنان: دولة الإسلام، ج٣، ص٤٩٧؛ الدوري: صقلية وعلاقاتها، ص١١٦؛ مورينو: المسلمون في صقلية، ص١٦.

(٥) القاضي النعمان: المجالس، ص٣٦٧- ٣٦٩.

استقبل المعز لدين الله الرسول البيزنطي أحسن استقبال، فهاله ما رأى من عظمة الخليفة الفاطمي ومن مظاهر الأبهة ما أدهشه، فعلم أن الروم أخطئوا عندما أطلقوا عليه ملك المتبربرين، وأيقن أن هذا الخليفة سيخلف العباسيين في ملكهم(١).

ودار حوار طويل بين الجانبين ذكره القاضي النعمان في المجالس، حيث طالب فيه السفير البيزنطي بتجديد الهدنة السابقة وزيادة مدتها، وإرسال رسول من قبل الخليفة إلى الإمبراطور لإتمام الهدنة. فكان رد الخليفة المعز لدين الله على مطالب السفير تبين حنكته السياسية وواجباته الإسلامية ومواقفه العسكرية(٢).

تمت الهدنة بين الطرفين بعد أن التقت المصالح، وأدرك المعز ضرورة الاتفاق مع البيزنطيين ليأمن جانبهم، ويتخلص من غاراتهم على صقلية وجنوب إيطاليا وشمال إفريقية من جهة، ولكي يتفرغ لمشروعه التوسعي باتجاه مصر وبلاد الشام من جهة ثانية(٣).

---

(١) من خلال مجريات الأحداث يبدو أن هذا السفير قد زار المعز لدين الله في إفريقية عدة مرات، أبدا فيها إعجابه بما شاهده عند المعز لدين الله من الأبهة والعظمة، وبعد انتقال المعز لدين الله إلى القاهرة، زاره هذا السفير، لكن نظرته تغيرت تجاه عظمة المعز لدين الله. [(إذ قال للمعز: إن أمنتني ولم تغضب، قلت لك ما عندي. فقال له المعز لدين الله: قل وأنت آمن. فقال: بعثني إليك الملك ذلك العام، فرأيت من عظمتك في عيني وكثرة أصحابك ما كدت أموت منه، ووصلت إلى قصرك فرأيت عليه نوراً غطى بصري، ثم دخلت عليك فرأيتك على سريرك فظننتك خالقاً، فلو قلت لي إنك تعرج إلى السماء لتحققت ذلك، ثم جئت إليك الآن فما رأيت من ذلك شيئاً، أشرفت على مدينتك فرأيتها في عيني سوداء مظلمة، ثم دخلت عليك فما وجدت من المهابة ما وجدته ذلك العام، فقلت إن ذلك كان أمراً مقبلاً، وإنه الآن بضد ما كان عليه)].
ربما هذه العبارات التي ذكرها السفير للمعز لدين الله كان يريد بها إحباط معنويات المعز لدين الله الذي كان يتطلع نحو بغداد عاصمة الخلافة العباسية، ومن ناحية ثانية فالقاهرة كانت في بداية التأسيس، ومن الطبيعي لم تكن كالمهدية التي زارها سابقاً. ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٣٢٩؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص٢٢٦.

(٢) القاضي النعمان: المجالس، ص٣٦٧- ٣٦٩.

(٣) حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص١٠٦.

٦ـ صقلية قاعدة عسكرية فاطمية في البحر المتوسط:

منذ بداية الفتح الإسلامي لبلاد شمال إفريقية، بدأ الفاتحون يوجهون أنظارهم لفتح جزيرة صقلية، لما تتمتع به هذه الجزيرة من أهمية سياسية وعسكرية واقتصادية في قلب البحر المتوسط.

وكانت صقلية قبل الفتح الإسلامي قاعدة بيزنطية، اتخذها البيزنطيون لشن غاراتهم على الشمال الإفريقي، وتعطيل حركة الفتوحات الإسلامية، وإبقاء السيطرة الحربية والتجارية حكراً لهم في البحر المتوسط(١).

هذا ما جعل المسلمون يوجهون اهتمامهم لفتحها ونزعها من السيطرة البيزنطية، وقد تم لهم ذلك خلال حكم الأغالبة في الشمال الإفريقي سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م، على يد القائد الفقيه أسد ابن الفرات(٢).

وبعد انهيار دولة الأغالبة وقيام الدولة الفاطمية ركز الفاطميون اهتمامهم منذ بداية تأسيس دولتهم على المواقع البحرية والسيطرة على البحر المتوسط، إذ أنهم بنو عاصمتهم المهدية على شاطئ البحر المتوسط، هذا الاختيار سيكون له أثر عظيم في تدعيم الأسطول الفاطمي في إفريقية وفي جزر البحر المتوسط الخاضعة للسيطرة الفاطمية وخاصة صقلية(٣).

هذه الجزيرة التي استكمل الفاطميون فتحها والسيطرة عليها، جعلوا منها قاعدة لأسطولهم البحري في البحر المتوسط، حيث تؤمن هذه القاعدة الحماية لسواحل إفريقية وبلاد المغرب، وتكون خط دفاع أول لصد أي هجوم من البيزنطيين أو الأمويين في الأندلس. كما جعلت

---

(١) لويس: القوى البحرية، ص ١١٥؛ محمود، سلام شافعي: أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول، الهيئة المصرية، القاهرة، ١٩٩٥م، ص٢٤٩، (سيشار إليه بـ محمود: أهل الذمة).

(٢) ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٢٥٣؛ القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج٣، ص٢٩١؛ أبو خليل: فتح صقلية، ص٦٧.

(٣) ابن خلدون: تاريخ، ج١، ص٤١٦؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص٧٠.

مركز تجمع للجيوش الفاطمية المتجهة لفتح مناطق في إيطاليا وأوروبا من جهة، والتوجه لفتح مصر وبلاد الشام من جهة ثانية[١] .

فكانت نقطة تمركز وانطلاق للأساطيل الفاطمية القادمة من المهدية لغزو قلورية وجنوب إيطاليا، فكانوا يمروا أولاً بصقلية ليتزودوا بالمؤن والجنود والمعلومات الاستطلاعية ثم ينطلقوا إلى هدفهم، وعند العودة وقبل الذهاب إلى المهدية فإنهم يمرون ببلرم حاضرة المسلمين في صقلية، ومنها يرسلون الرسل إلى المهدية لإخبار الخليفة بما حققوه من انتصارات، وما حصلوا عليه من غنائم لينتظروا بعدها أوامر الخليفة بالعودة إلى إفريقية أو مواصلة الأعمال القتالية.

ثانيا : علاقات الفاطميين مع جنوب إيطاليا:

١. الأعمال العسكرية الفاطمية في جنوب إيطاليا

بعد أن فتح المسلمون عدد من جزر البحر المتوسط، تمكنوا من فرض سيطرتهم البحرية على حوضه الأوسط والغربي، ومكنهم ذلك من تأسيس دور لصناعة السفن في هذه الجزر، وإقامة قواعد بحرية تُمكّن من شن غارات متواصلة على بلاد أوربا، وخاصة سواحل إيطاليا وفرنسا الجنوبية، وأصبحوا يشكلون خطراً مباشراً على مدينة روما، وذلك عندما أجبروا البابا على دفع جزية سنوية قدرها خمسة وعشرون ألف مثقال من الذهب[٢].

ومن بين هذه القواعد البحرية التي تمركز الفاطميون فيها كانت جزيرة صقلية التي فتحها الأغالبة وورثها عنهم الفاطميون بعد إعلان دولتهم في الشمال الإفريقي، ومنها بدأ المسلمون بتوسيع نفوذهم إلى إيطاليا، وبالتصدي للبيزنطيين الذين لم يهدؤوا في مهاجمة المسلمين لاسترجاع صقلية وغيرها من جزر البحر المتوسط التي كانت خاضعة لسيطرتهم قبل فتحها من قبل المسلمين.

---

(١) حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص٩٩.

(٢) عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٣٥٩.

ومنذ بداية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وقبل أن يستقر المسلمون بشكل كامل في صقلية بدؤوا بمهاجمة إيطاليا، وذلك عندما استنجد حاكم نابولي[١] بالمسلمين في صقلية سنة ٢٢٢هـ/ ٨٣٦م، إذ حاصره سيكاردو حاكم بنفنت[٢]، فاغتنم المسلمون الفرصة، وأرسلوا أسطولاً إلى نابولي وتمكنوا من رفع الحصار عنها، وأجبروا حاكم بنفنت على عقد اتفاق مع نابولي والإفراج عن جميع الأسرى المحتجزين لديه دون مقابل[٣].

وعلى أثر ذلك عقد المسلمون تحالفاً مع نابولي، مكنهم من مهاجمة أعداء حلفائهم واستولوا على برنديزي[٤]، وغنموا منها الكثير ثم حرقوها بعد أن هاجمهم حاكم بنفنت سيكاردو، وبعد اغتيال هذا الأخير اغتنم مسلمو صقلية الفرصة وهاجموا جنوب إيطاليا سنة ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م[٥]، وفتحوا مدينة طارنت[٦]، التي بقيت أربعين عاماً تحت السيطرة العربية على الرغم من تعدد محاولات استردادها من قبل أتباع الإمبراطور البيزنطي في البندقية[٧].

وردا على هجمات البندقية قام المسلمون سنة ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م بأول حملة بحرية في مياه بحر الأدرياتيكي، وتمكنوا من دخول عدة مدن ساحلية، منها مدينة بارة (باري) ذات الأهمية الكبرى، إذ اتخذها المسلمون قاعدة لفتح مناطق في إيطاليا، ومن خلالها استطاع العرب فتح

---

(١) نابولي: مدينة في إيطاليا تقع على خليج نابولي المطل على البحر التيراني. موقع الإسلام: تعريف بالأعلام، ج٢، ص٣٦٣.

(٢) بنفنت: إماره مستقلة في وسط إيطاليا، سيطرت على مجموعة من الدوقيات في جنوب إيطاليا في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري /الحادي عشر الميلادي. الباحث .

(٣) فازيليف: العرب والروم، ص١٦٠.

(٤) برنديزي: مدينة إيطالية تقع في جنوب الساحل المطل على بحر الأدرياتيك، وهي مدينة تجارية. بنيامين: رحلة، ص٢٠٩؛ موقع الإسلام: تعريف بالأعلام، ج١، ص٣١٢.

(٥) لويس: القوى البحرية، ص٢١٣– ٢١٤؛ فازيليف: العرب والروم، ص١٦١.

(٦) طارنت: مدينة ساحلية كبيرة من أعمال قلورية، حسنة البناء والديار كثيرة التجار، فيها مرسى للسفن، الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٦٣٠– ٦٣١؛ بنيامين: رحلة، ص٢٠٨– ٢٠٩.

(٧) البندقية: مدينة تجارية ومرفأ تقع شمال إيطاليا على نهر الأدرياتيك على جزر وقنوات يجري التنقل فيها بالزوارق، ترتبط منذ وقت بعيد بعلاقات تجارية مع الشرق الأدنى. موقع الإسلام: تعريف بالأعلام، ج١، ص١٣٢.

الكثير من الحصون والقلاع[١]، وأصبح البحر الأدرياتيكي والتيراني مفتوحين أمام السفن الإسلامية التي لم تسلم منها حتى روما، إذ حاصروها المسلمون سنة ٢٣١هـ/ ٨٤٦م، واستولوا على الكثير من الكنوز والمجوهرات الثمينة التي كانت موجودة في كنيستي القديس بطرس وبولس[٢].

وتكررت الهجمات الإسلامية على روما حتى اضطر البابا حنا الثامن (٢٥٩- ٢٦٩هـ/ ٨٧٢- ٨٨٢م)، أن يدفع جزية سنوية للمسلمين مقدارها خمسة وعشرون ألف قطعة ذهبية.

هذه السطوة والقوة البحرية للمسلمين في الحوض الأوسط والغربي للبحر المتوسط ضعفت نوعاً ما، بسبب ضعف الدولة الأغلبية وسقوطها فاستغل البيزنطيون ذلك وأخذوا باستعادة الكثير من المواقع في إيطاليا وقلورية، وحتى في صقلية التي قامت فيها النزاعات العرقية والمذهبية بين العرب والبربر، وأصبح التواجد البيزنطي في قسمها الشرقي كبيراً[٣].

ومع قيام الدولة الفاطمية عادت السيطرة الإسلامية على البحر المتوسط بعد أن ورث هؤلاء أسطولاً كبيراً، ومواقع هامة عن الأغالبة، ومنها جزيرة صقلية التي أولاها الخليفة الفاطمي الأول العناية والاهتمام منذ بداية حكمه، وجعل منها قاعدة حربية تنطلق منها الجيوش الفاطمية لتوسيع رقعة الدولة، فانطلقت أول الحملات الغازية على قلورية وجنوب إيطاليا سنة ٢٩٨هـ/ ٩١٠م، حين قاد الوالي في صقلية الحسن بن أحمد بن أبي خنزير أسطولاً بحرياً واتجه به إلى قلورية فتمكن من دخول إحدى مدنها فغنم وسبى ثم عاد[٤].

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٧٢.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، أصدرها بالعربية أحمد الشنتاوي؛ إبراهيم زكي خورشيد؛ عبد الحميد يونس، طبعة دار الفكر، د. م، د. ت، ج١٤، ص٢٥٩، (سيشار إليه بـ دائرة المعارف الإسلامية).

(٣)عبد الحميد: تاريخ المغرب، ج٣، ص١٤٥.

(٤) ابن خلدون: تاريخ، ج٣، ص٤٥٥؛ ج٤، ص٤٧؛ أحمد: تاريخ صقلية، ص٣٢؛ أماري: المكتبة الصقلية، ص٢٥١.

وفي العام التالي سنة ٢٩٩هـ / ٩١١م، جهز والي صقلية أحمد بن قرهب حملة بحرية استطاعت تكبيد الروم خسائر فادحة، ثم عادت محملة بالغنائم والأسرى إلى صقلية [١].

وبعد القضاء على ثورة ابن قرهب الذي قطع خطبة المهدي ودعا إلى طاعة الخليفة العباسي المقتدر، استأنف الفاطميون الأعمال الحربية ضد المواقع البيزنطية في صقلية وجنوب إيطاليا، ففي سنة ٣٠٥هـ/ ٩١٨م، استولى الجنود الفاطميون على مدينة ريو، وحصلوا منها على الكثير من الغنائم والأسرى[٢]، مما اضطر حاكم قلورية البيزنطي أن يطلب الصلح وعقد هدنة مع الفاطميين، وتعهد البيزنطيون من خلال هذه الهدنة بدفع جزية سنوية للفاطميين، مقدارها اثنين وعشرين ألف قطعة ذهبية[٣].

لكن هذا الصلح لم يدم طويلاً بين الطرفين مما جعل الخليفة المهدي يعاود نشاطه الحربي، فأرسل قائده مسعود الفتى الصقلي سنة ٣١٠هـ / ٩٢٢م، على رأس حملة بحرية مؤلفة من عشرين سفينة تمكن من خلالها السيطرة على قلعة سانت أغاث القريبة من ريو وأوقع بأهلها القتل والأسر ليعود إلى المهدية محملاً بالغنائم والأسرى[٤].

وبعد حملة مسعود بسنتين أرسل المهدي حملة كبيرة إلى قلورية سنة ٣١٢هـ /٩٢٤م، بقيادة حاجبه أبي أحمد بن جعفر بن عبيد الذي انطلق إلى بلرم في صقلية وقضى شتاء سنة ٣١٢هـ / ٩٢٤م، لينطلق في العام القادم إلى قلورية مصطحباً معه أسطول صقلية بقيادة أميرها سالم بن راشد. ويبدو من خلال مجريات الأحداث أن كل أسطول انطلق إلى جهة معينة، فأسطول صقلية أبحر شمالاً وتمكن من فتح عدة مناطق في أرض أنكبردة

---

(١) ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٢٦٥؛ أماري: المكتبة الصقلية، ص٢٥٢.

(٢) أماري: المكتبة الصقلية، ص١٦٩؛ الدشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٢٣٤؛ لويس: القوى البحرية، ص٢٣٤.

(٣) حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص١١٠.

(٤) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٨٧. ١٨٨.

J. GAY, La I'ttalie. P. 206.

(لومبارديا)[١]، وغنموا منها الكثير ثم اتجهوا إلى قلورية ليحاصروا طارنت التي دخلوها بقوة السيف، لكنهم اخفقوا في دخول جارتها مدينة أذرنت[٢]، بسبب تفشي المرض بين صفوفهم فاكتفوا بدخول بعض أحيائها[٣].

أما أسطول المهدية بقيادة الحاجب جعفر، فقد اتخذ مساراً آخر عندما هاجم مدينة أورية[٤]، وتمكن من دخولها بعد أن قتل قرابة ستة آلاف مقاتل، وسبى حوالي عشرة آلاف شخص من بينهم بطريق المدينة المجاورة الذي دفع فدية عن نفسه وعن مدينته مقدارها خمسة آلاف مثقال، ثم عقد جعفر هدنة مع حاكم قلورية، وأجبره على دفع جزية سنوية، وقفل راجعاً إلى بلرم ومن هناك أرسل رسالة إلى المهدية يخبره بما تم تحقيقه، وبعد مدة قصيرة عاد إلى المهدية محملاً بالغنائم التي افتخر بكثرتها وارتفاع قيمتها أمام المهدي، لكن المهدي أوضح لجعفر بأن هذا قليل أمام الذي حصل عليه، وقال: " ما أعطاني جعفر من الجمل إلا أذنيه"[٥].

ونتيجة لتأخر دفع الجزية المفروضة على قلورية نقض المهدي الهدنة وأرسل والي القيروان صابر الفتى على رأس جيش قام بثلاث حملات مهاجماً سواحل إيطاليا في ثلاث سنوات متتالية.

انطلقت الحملة الأولى سنة ٣١٥هـ / ٩٢٧م، وضمت حوالي أربعة وأربعين سفينة اتجهت إلى بلرم، حيث تزودت بالمؤن والرجال، ثم غادرت إلى جنوب إيطاليا، وتمكنت من فتح عدة

---

(١) انكبردة (لومبارديا): منطقة تقع على سفوح جبال الألب. موقع الإسلام: تعريف بالأعلام، ج٢، ص٢٩٠.

(٢) أذرنت: وردت في بعض المصادر أدرنت: مدينة قديمة ساحلية مشهورة بالتجارة والأسواق، وهي شبه جزيرة، يحيط بها البحر من ثلاث جهات، وهي على رأس المجاز بين البحر المتوسط (الشامي) والبحر الأدرياتيكي (بحر البنادقة) من جهة الغرب. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص١١.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٥؛ القرشي: عيون الأخبار، ج٥، ص١٣٩؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٢٦٥؛ أماري: المكتبة الصقلية، ص٢٥٣؛ المدني: المسلمون في صقلية، ص١١٤.

(٤) أورية: مدينة في جنوب إيطاليا مأهولة بالسكان، أكثر سكانها من اليهود. الباحث.

(٥) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٩٠؛ أماري: المكتبة الصقلية، ص٢٥٣– ٢٥٤؛ لويس: القوى البحرية، ص٢٣٤؛ أحمد: تاريخ صقلية، ص٣٦.

مواقع، ثم عادت إلى بلرم محملة بالغنائم والأسرى[١]. وفي السنة التالية ٣١٦هـ/ ٩٢٨م أعاد صابر الكرة على سواحل الروم يساعده القائد أحمد بن سامية، وكان هدف الحملة سواحل البحر التيراني، حيث استولت على عدة مواقع هناك، منها الغيران وقلعة الحسب[٢]، ثم تابع الزحف إلى مدينة سلير (ساليرنو)[٣] ومدينة نابل (نابولي) وحاصرهما حتى أجبر سكانها على دفع فدية من مال وديباج، وقبل عودته مر صابر بقلورية، وعقد مع حاكمها هدنة حصل من خلالها على جزية سنوية[٤].

أما الحملة الثالثة والأخيرة لصابر الفتى سنة ٣١٧هـ / ٩٢٩م، لم تكن حملة بالمفهوم الحربي، بل عبارة عن قرصنة بحرية، إذ كان صابر يتجول في البحر الأدرياتيكي بصحبة أربعة سفن فقط، فالتقى بسبع سفن بيزنطية يقودها حاكم قلورية (السردغوس)، فتمكن صابر بسفنه القليلة من هزيمة السفن البيزنطية، ذلك ما شجعه على اقتحام مدينة ترمولة التي أخذ منها السبي الكثير ثم قفل راجعاً إلى المهدية[٥].

ومن خلال هذه الانتصارات المتتالية التي أحرزها الأسطول الفاطمي خلال مدة حكم المهدي، يتبين مدى قوة هذا الأسطول، وحرص الفاطميين على ضمان السيطرة على صقلية وجنوب إيطاليا. ولم يكن الهدف الأساسي من هذا التوسع وفرض السيطرة التمهيد لفتح إيطاليا، بقدر ما هو توسع للحصول على الأموال والغنائم الضرورية لتنفيذ مشروع الدولة التوسعي إلى مصر.

هذا من الجانب الفاطمي، أما البيزنطي فكان مشغولاً بالسياسة البلغارية التوسعية نحو أراضي الإمبراطورية البيزنطية مما أجبرها على طلب الهدنة مع الفاطميين، فأرسلت الرسل

---

(١) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٩٢؛ سالم، والعبادي: تاريخ البحرية، ص١٣٨.

(٢) بالعودة إلى المصادر والمراجع لم يتم العثور على أية معلومات عنهما.

(٣) ساليرنو: مدينة ساحلية في إيطاليا، تقع على ساحل البحر التيراني إلى الجنوب من نابولي. الباحث.

(٤) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٩٣؛ القرشي: عيون الأخبار، ج٥، ص١٥١.

J. GAY, La I'ttalie. P. 318.

(٥) ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٥٤.

والهدايا إلى المهدي سنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م، يسألونه الهدنة ووقف الحرب، فاستجاب المهدي مقابل أن تدفع بيزنطة جزية سنوية للفاطميين.

فتوقفت بذلك الأعمال العسكرية بين الطرفين، واستمر البيزنطيون في دفع الجزية دون انقطاع حتى وفاة المهدي(١).

ومع بداية خلافة القائم استأنف النشاط العسكري، وعادت العلاقات العدائية مع البيزنطيين الذين استغلوا وفاة المهدي، فهاجموا الأسطول الفاطمي على شواطئ صقلية. مما جعل القائم يرسل أسطولاً سنة ٣٢٢هـ/ ٩٣٥م، مؤلف من عشرين سفينة بقيادة أمير البحر يعقوب بن إسحاق التميمي أخو خليل بن إسحاق، واتجه إلى الشمال الغربي وفي طريقه التقى سفن تجارية قادمة من الأندلس لتجار مسيحيين، فاستولى عليها وأسر من فيها، ثم تابع إلى أن وصل جنوة الواقعة في أقصى الشمال الإيطالي، وبعد حصار طويل تمكن من دخولها وتحطيم أسطولها الراسي في مينائها(٢)، وغنم وسبى منها الكثير، وخلال عودته هاجم جزيرة كورسيكا(٣)، وجزيرة سردينية(٤)، محرزاً عدة انتصارات على النصارى هناك ليعود محملاً

---

(١) القرشي: عيون الأخبار، ج٥، ص١٥١؛ لويس: القوى البحرية، ص٢٢٢؛ سالم، والعبادي: البحرية الإسلامية، ص١٣٩.

Vasiliev, A: History of Byzantine Empire, Wisconisn, 1946, p. 306- 317.

(٢) ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٢٦٥؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص٧٤؛ القرشي: عيون الأخبار، ج٥، ص١٧٠- ١٧١؛ ابن أبي دينار: المؤنس، ص٥٤.

(٣) كورسيكا: جزيرة في البحر المتوسط خصبة كثيرة العمران، تقع على بعد عشرين ميلاً شمال جزيرة سردينية، تبلغ مساحتها ٨٢٨٠ كم٢. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٨٤؛ الحميري: الروض المعطار، ص٣١٤.

(٤) سردينية: جزيرة إيطاليا في البحر المتوسط، غزاها المسلمون سنة ٩٢هـ /٧١٠م، بقيادة موسى بن نصير، وهي كثيرة الجبال قليلة المياه، فيها الكثير من المعادن، وهي ثاني أكبر جزر البحر المتوسط بعد صقلية، تبلغ مساحتها حوالي٢٤,٩٠ كم٢. الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٠٩؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٣، ص٥٨٤؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، ج٢، ص٧٠٦.

بالغنائم إلى المهدية، حيث استقبله الخليفة استقبالاً يليق به[١].

توقف النشاط البحري الفاطمي في مدن جنوب إيطاليا بعد هذه الحملة بسبب الفتن والثورات التي اندلعت في صقلية سنة ٣٢٥هـ/ ٩٣٧م، نتيجة الأوضاع الاقتصادية السيئة وكثرة الضرائب المفروضة من قبل الوالي سالم بن راشد، فعمت الثورات كافة أنحاء الجزيرة، وخاصة في جرجنت وبلرم، إضافة إلى اندلاع ثورة أبي يزيد مخلد في المغربين الأوسط والأدنى، وفشل الحملة الثالثة على مصر سنة ٣١١هـ/ ٩٣٧م، هذه الثورات والتحديات التي تعرضت لها الدولة شلت حركتها وأوقفتها عن متابعة الفتوحات والأعمال العسكرية في جنوب إيطاليا، واستمرت هذه الجبهة هادئة حتى تسلم الخلافة المنصور بأمر الله ابن القائم، الذي تمكن من معالجة الشؤون الداخلية، والقضاء على الثورات في صقلية وإفريقية، ليتفرغ بعدها لمتابعة الحملات البحرية ضد البيزنطيين في قلورية وجنوب إيطاليا[٢].

ففي سنة ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م عين المنصور قائده الحسن بن علي والياً على صقلية، وتمكن هذا القائد من إعادة الاستقرار والهدوء إلى الجزيرة بعد أن قضى على ثورات المتمردين من بني الطبري وحلفائهم، وأجبر النصارى في الجزيرة على دفع الجزية التي توقفوا عن دفعها منذ ثلاث سنوات [٣].

أخاف نجاح الوالي الجديد في صقلية الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع الذي اتخذ عدة إجراءات على المستوى السياسي والعسكري.

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص١٠٠؛ ابن عذاري: البيان، ج١، ص٢٠٩؛ ابن كثير: البداية، ج١٥، ص٩٠؛ أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٨٣؛ ابن الوردي: تاريخ، ج١، ص٢٥٩؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٦٨. وهنا أوردت بعض المصادر كابن تغري بردى وغيره أن الحملة كانت زمن خلافة المنصور. وهذا غير صحيح، بل في زمن القائم. ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج٣، ص٢٨٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص١٣٢؛ القرشي: عيون الأخبار، ج٥، ص١٧٢؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص٧٤؛ أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٨٥؛ عباس: العرب في صقلية، ص٤٢– ٤٣؛ أماري: المكتبة الصقلية، ص٢٥٤– ٢٥٥؛ لويس: القوى البحرية، ص٢٣٥؛ سالم؛ والعبادي: البحرية الإسلامية، ص١٣٩.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٢٤؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٢٦٧؛ ابن أبي دينار: المؤنس، ص٥٩؛ أماري: المكتبة الصقلية، ص٢٥٩؛ لويس: القوى البحرية، ص٢٣٥.

فسياسياً تحالف مع الخليفة الأموي في الأندلس عبد الرحمن الناصر، ضد الخطر الفاطمي[١]. وعسكرياً أرسل حملة كبيرة إلى صقلية يقودها أحد بطارقته، ويساعده حاكم قلورية، وتمكن الحسن بن علي الكلبي مدعوماً من الخليفة المنصور الذي أرسل له جيشاً بقيادة فرج الخادم من تحقيق النصر على القوات البيزنطية، ودخل قلورية وفرض على أهلها جزية سنوية سنة ٣٤٠هـ/٩٥١م[٢].

واستمر القتال بين الطرفين إلى أن اضطر البيزنطيون أمام عجزهم عن مواجهة الفاطميين إلى طلب الهدنة، فهادنهم الفاطميون سنة ٣٤١هـ/ ٩٥٢م، ثم عاد الحسن إلى صقلية لتأتيه أخبار وفاة المنصور وتسلم ابنه المعز لدين الله الذي قام بعزل الحسن بن علي عن صقلية، وتعيين ابنه أحمد بن الحسن والياً على صقلية[٣].

ومع بداية خلافة المعز لدين الله، نقض الإمبراطور البيزنطي الهدنة مع الفاطميين، وقد شجعه على ذلك الانتصارات التي حققها على العباسيين والحمدانيين في المشرق، وانشغال الفاطميين بالحرب مع الأمويين سنة ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م، في الحوض الغربي للبحر المتوسط[٤]، فاستغل الفرصة وأرسل أسطولاً بحرياً بقيادة باسيل إلى المواقع الإسلامية في قلورية وصقلية، وفي حال حقق هذا الأسطول نتائج جيدة يتجه إلى إفريقية، حيث مقر الدولة الفاطمية، لكن المعز لدين الله سرعان ما أرسل أسطولاً بقيادة عمار بن علي الكلبي أخو الحسن، وتمكن هذا الأسطول بفضل التنسيق والتعاون بين القادة الكلبيين الثلاثة[٥] من إحراز النصر، وتكبيد البيزنطيين خسائر فادحة، وإعادة هيبة الدولة ونفوذها في كلاً من صقلية وقلورية ومنعوا البيزنطيين من اجتياز صقلية والتوجه إلى إفريقية. وأجبروا الإمبراطور البيزنطي على طلب

---

(١) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص٢١٥؛ القرشي: عيون الأخبار، ج٦، ص٦٢؛ فرح: تاريخ بيزنطة، ص٢٨٣.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٢٤؛ ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٢٦٦. ٢٦٧؛ ابن أبي دينار: المؤنس، ص٥٩؛ أماري: المكتبة الصقلية، ص٣٠٩- ٣١٠.

(٣) أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٩٦؛ القرشي: عيون الأخبار، ج٥، ص٣٣٨.

Vasiliev, A: Byzantine et les Arabes.Bruxell. 1930, pp. 159- 161.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٥٣- ٢٥٤. حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص١٠١.

(٥) القادة هم: الحسن بن علي وأخوه عمار وابنه أحمد بن الحسن والي صقلية، الباحث.

الصلح، وعقد هدنة مع الفاطميين سنة ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م، وبموجبها اعترفت بيزنطة بالوصاية الفاطمية على قلورية [١].

واستمرت العلاقات جيدة بين الجانبين الفاطمي والبيزنطي إلى أن تعكرت من جديد سنة ٣٤٩هـ / ٩٦٠م، عندما قام الإمبراطور البيزنطي رومانوس الثاني بإرسال حملة بقيادة نقفور فوكاس لاستعادة جزيرة كريت الخاضعة للسيادة العباسية[٢].

ورداً على ذلك أرسل الخليفة المعز لدين الله إلى والي صقلية أحمد بن الحسن يأمره بمهاجمة المناطق الموجودة فيها حاميات بيزنطية مثل طبرمين ورمطة، مما جعل نقفور فوكاس يرسل حملة لمساعدة الحاميات البيزنطية هناك بقيادة البطريق مانويل وبعد إجراءات وأحداث جرت بين الطرفين – تم ذكرها سابقاً– انتصر المسلمون على الجيش البيزنطي وأخذ رمطة ثم انتصر مرة ثانية في معركة المجاز، واستغل أحمد بن الحسن هذه الانتصارات وراح يهاجم المدن البيزنطية الواقعة على ساحل قلورية وأجبر أهلها على دفع جزية سنوية إلى أن تقرر عقد هدنة نهائية بين الطرفين سنة ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م[٣].

ليتفرغ بعدها المعز إلى مشروع فتح مصر ونقل مقر الخلافة الفاطمية إليها، هذا سيجعل الفاطميين أكثر احتكاكاً بالبيزنطيين، ويوطد العلاقات الدبلوماسية في المرحلة المقبلة بين الجانبين .

٢– العلاقات التجارية الفاطمية مع المدن الإيطالية:

رغم الحالة العدائية التي كانت قائمة بين البيزنطيين والعرب المسلمين إلا أن هناك علاقات تجارية ودبلوماسية كانت قائمة بين الطرفين.

---

(١) القاضي النعمان: المجالس، ص٣٦٧؛ الرحيلي: السفارات الإسلامية، ص١٧٦.

(٢) غنيم: الإمبراطورية البيزنطية، ص٢٥٢– ٢٥٧.

Vasiliev, A: Byzance. 2. P. 79.

(٣) أماري: المكتبة الصقلية، ص٣٦٦؛ سالم؛ العبادي: تاريخ البحرية، ص١٤٢؛ الرحيلي: السفارات الإسلامية، ص١٧٦.

ومع بداية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، قامت الخلافة الفاطمية في الشمال الإفريقي حيث ركزت منذ البداية على المناطق الساحلية في الشمال الإفريقي ثم بدأت تتطلع إلى مد نفوذها داخل البحر المتوسط وصولاً إلى الأندلس غرباً ومصر وبلاد الشام شرقاً، وإلى إيطاليا شمالاً، هذه السياسة التي اتخذتها أدت إلى المواجهة المباشرة مع البيزنطيين سادة البحر المتوسط سابقاً، فقامت بين الطرفين حروب كثيرة منها في البحر وأخرى على البر الصقلي أو في جنوب إيطاليا، تخلل هذه الحروب فترات صلح بين الطرفين.

وكانت جزيرة صقلية تمثل ذراع النزاع ما بين الطرفين فالسيطرة على هذه الجزيرة يمثل السيطرة على الحوض الأوسط والغربي للبحر المتوسط كما تؤدي السيطرة عليها التحكم بطرق التجارة البحرية. وهكذا أصبحت مدن شمال إفريقية تلعب دوراً مهماً كوسيط في تجارة هذا البحر والتحكم في نقل التجارة بين الشرق والغرب. مما أدى ذلك إلى الازدهار التجاري والصناعي والزراعي الذي ساد شمال إفريقية [١].

هذا الازدهار الاقتصادي شجع الفاطميين على العبور من صقلية إلى قلورية وإيطاليا، وعلى الرغم من كثرة الغارات الفاطمية على هذه المناطق الواقعة على البحر التيراني والادرياتيكي، إلا أنهم حرصوا على إقامة علاقات ودية وتجارية مع المدن الإيطالية أمثال أمالفي[٢] وسالرنو ونابلي وجنوة والبندقية وبيزا[٣]، بعد أن ضعفت علاقة هذه المدن الاقتصادية مع بيزنطة وقويت مع المسلمين الذين جعلوا من البحر المتوسط بحيرة إسلامية. وتعاملت المدن مع التجار المسلمين على نطاق واسع[٤]، فكانوا يصدرون الحديد والخشب والرقيق على طول السواحل الإسلامية من فلسطين إلى المهدية، إذ كان الخشب والحديد ضروري للمسلمين في صناعة السفن والمعدات الحربية، أما الرقيق لحاجتهم له في قصور الحريم وحراسة الحكام،

---

(١) عطا الله: علاقات الدولة، ص٤٤.

(٢) أمالفي: مدينة تقع في كمبانيا جنوب إيطاليا على خليج سالرنو، كانت قوة اقتصادية في العصور الوسطى. بنيامين: رحلة، ص٢٠٦؛ الموسوعة العربية العالمية.

(٣) بيزا: مدينة إيطالية في إقليم توسكانا، تقع قرب الساحل الغربي للبحر التيراني، وتشتهر ببرجها القديم المائل. موقع الإسلام: تعريف بالأعلام، ج١، ص٣٥٥.

(٤) سيمينوفا: تاريخ مصر الفاطمية، ص١٤٣.

وفي أعمال أخرى. ودرت هذه الحاصلات أرباحاً كبيرة لهذه المدن التي تنافست فيما بينها في تصدير هذه المواد، مقابل ذلك كانوا يحصلون على زيت الزيتون والسلع الشرقية والمصنوعات وغيرها من المنتجات التي تصلهم أكثرها عن طريق بلرم وشمال إفريقية، وتميزت مدن إقليم كمبانيا وخاصة أمالفي ونابولي بعلاقات وثيقة مع المسلمين، إذ قامت بينهم تحالفات، فكانوا يقدمون الحماية والمساعدة لقراصنة المسلمين أثناء غاراتهم على المدن الإيطالية الأخرى(١).

ونتج عن هذه العلاقات التجارية عودة الرخاء الشامل لجنوب إيطاليا في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، إذ نشطت التجارة وتبادل الناس العملات الذهبية البيزنطية والإسلامية. وزادت هذه العلاقات بعد انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر وأصبحت مدينة الإسكندرية المقر الرئيسي لتجار أمالفي وغيرها من مدن إيطاليا، حتى أن تجار مدينة أمالفي امتلكوا الكثير من الفنادق والمتاجر في الإسكندرية، واستمرت العلاقات ودية بين الطرفين يغلب عليها الطابع التجاري حتى نهاية الدولة الفاطمية(٢).

ثالثا-السيادة الفاطمية على حوض البحر المتوسط الغربي:

مع بداية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي انتقلت السيطرة البحرية على البحر المتوسط من الإمبراطورية البيزنطية إلى العرب المسلمين المنتشرين على السواحل الجنوبية لهذا البحر، إذ تمكنوا من فتح عدة جزر في هذا البحر، ولكن لم تكن هناك وحدة سياسية وبحرية شاملة تضم جميع البلاد الإسلامية المحيطة بالبحر المتوسط، إذ كان العالم الإسلامي في تلك الفترة مقسم إلى ثلاث خلافات إسلامية، الأولى كانت في الغرب متمثلة بالخلافة الأموية في الأندلس، والثانية في الوسط متمثلة بالخلافة الفاطمية في الشمال الإفريقي، والثالثة في الشرق حيث الخلافة العباسية.

---

(١) سرور: سياسة الفاطميين، ص٢٤٩؛ البراوي، راشد: حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٨م، ص٢١٥، (سيشار إليه بـ البراوي: حالة مصر).

(٢) كرد علي: محمد عبد الرزاق: خطط الشام، مكتبة النوري، ط٣، دمشق، ١٩٨٣م، ج٤، ص٢٤٢، (سيشار إليه بـ كرد علي: خطط)؛ تامر: تاريخ الإسماعيلية، ج١، ص٢٦٤.

ومع وجود ثلاث خلافات إسلامية متناحرة ومتحاربة فيما بينها، فإن السيادة الإسلامية على البحر المتوسط لم تكن كاملة أو شاملة كالسيطرة البيزنطية التي كانت قبلها. ومع ذلك فإن هذه السيطرة كان لها آثار عظيمة على الحياة الاقتصادية في مناطق هذا البحر، وعم الرخاء جميع بلاد المغرب.

وأهم القوى المسيطرة على هذا البحر كانت قوة الفاطميين الذين اهتموا بالسيادة البحرية منذ بداية دولتهم، إذ أنهم بنو عاصمتهم المهدية ذات التحصينات المنيعة على شاطئ البحر المتوسط، وهم بذلك أول الحكام المسلمين الذين قاموا بمثل هذا العمل(١). كما اهتموا بالموانئ البحرية الإفريقية والاستيلاء على بعض القواعد البحرية المهمة في البحر المتوسط، لتثبيت سيطرتهم البحرية، فاستولوا على جزيرة صقلية وجعلوا منها قاعدة عسكرية وتجارية، وأصبحت أيضاً جسراً انتقلت من خلالها الحضارة العربية إلى الغرب وبالعكس(٢).

هذا الاهتمام البحري للفاطميين مكنهم من فرض سيطرتهم على حوض البحر المتوسط الغربي إذ تمكنوا من فتح مناطق ذات أهمية استراتيجية مما زاد في ارتفاع شأنهم على كل الدول المشرفة على البحر المتوسط.

ويبدو أن هذه السيطرة بدأت تضعف بسبب اهتمام الفاطميين في عهد المعز بالشرق والتجهيز لفتح مصر، هذا الأمر صرفهم عن الاهتمام بالحوض الغربي للبحر المتوسط والتوجه شرقاً بعد أن اتخذوا القاهرة عاصمة لدولتهم، وانتقلت سيادة البحر المتوسط في الحوض الغربي لخلفاء الفاطميين في المغرب الزيريون الذين اهتموا بالبحرية الإسلامية والإكثار من السفن ودور صناعتها، ومع سقوط صقلية بيد النورمانديين انتهت تلك السيادة الإسلامية في حوض البحر المتوسط الغربي(٣).

---

(١) أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٦٨؛ ابن الوردي: تاريخ، ج١، ص٢٤٥؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص٧٠.

(٢) السامرائي: تاريخ العرب، ص٤٨٨؛ تامر: تاريخ الإسماعيلية، ج١، ص٢٦٤- ٢٦٥.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٤٧٠.

وأخيراً فإن سنوات السيطرة الإسلامية على حوض البحر المتوسط الغربي أحدثت الكثير من التغيرات الاقتصادية في تجارة هذا البحر، فقد انتعشت الكثير من طرق التجارة القديمة، وأصبح شمال إفريقية وصقلية مناطق تجارية وصناعية مهمة.

الخاتمة

نجحت الدعوة الإسماعيلية التي انطلقت من بلاد الشام في تأسيس دولة لها في شمال إفريقية، وأطلق عليها اسم الدولة الفاطمية نسبة إلى السيدة فاطمة الزهراء بنت محمد ﷺ، توسعت ونمت مع مرور الأيام، وأصبحت دولة قوية لا يستهان بها، واستمرت حوالي ثلاث قرون، وقسمت هذه المدة إلى مرحلتين:

– الأولى كانت في المغرب العربي عرفت (الطور الإفريقي): ٢٩٦– ٣٦١هـ / ٩٠٩– ٩٧٢م، حيث سيطرت على المغرب بأقسامه الثلاثة (الأدنى والأوسط والأقصى)، ودخلت في صراع مع الدولة الأموية في الأندلس، وتمكنت من دخول جزيرة صقلية وإخضاعها للحكم الفاطمي، وحولت البحر المتوسط إلى بحيرة فاطمية. وهذه المرحلة هي موضوع البحث.

– أما المرحلة الثانية عرفت (الطور المصري): ٣٦١– ٥٦٧هـ / ٩٧١ – ١١٧١م، بدأت بنقل المعز لدين الله الفاطمي مركز الخلافة الفاطمية إلى القاهرة، وفي هذه المرحلة توسعت الدولة الفاطمية ووصلت إلى أوج قوتها، إذ امتدت من المحيط الأطلسي غرباً حتى الجزيرة العربية شرقاً، ومن بلاد الشام شمالاً حتى بلاد النوبة واليمن جنوباً.

في المرحلة المغربية وبعد تمهيد أبي عبد الله الداعي لقيام الدولة الفاطمية أصبح أول خليفة فاطمي في إفريقية عبد الله المهدي سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٩م، فبدأ المهدي ببناء عاصمة له في تونس أطلق عليها المهدية، وتوسيع ومد نفوذه غرباً وشرقاً، وبعد وفاته تسلم ابنه أبو القاسم محمد القائم بأمر الله الذي تميز حكمه بمحاربة الثورات التي قامت ضد الدولة الفاطمية وخاصة ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد التي استمرت حتى خلافة المنصور بالله أبو طاهر إسماعيل الذي وسع رقعة الخلافة، وأرسل الجيوش لغزو صقلية وسواحل جنوب إيطاليا، وفي عهد الخليفة الفاطمي الرابع أبي تميم معد المعز لدين الله بلغت الدولة أوج قوتها، وتمكن من فتح مصر على يد قائده جوهر الصقلبي، ونقل مركز حكمه إلى مدينة القاهرة، لتبدا المرحلة

الثانية للخلافة الفاطمية التي استمرت حتى تم القضاء عليها من قبل صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م[١].

ومن خلال هذه الدراسة المتواضعة للصراع السياسي والعسكري في غربي البحر المتوسط منذ تأسيس الدولة الفاطمية حتى انتقال المعز إلى القاهرة، نخلص إلى نتائج عدة:

١- كان المغرب العربي قبل قيام الدولة الفاطمية، مقسماً إلى أربع دول، لكل واحدة شخصيتها الذاتية، وطابعها المميز، بالإضافة إلى التنافس فيما بينها من أجل البقاء والاستمرار والتوسع على حساب الأطراف الآخر، ومعظم هذه الدول كانت على خلاف مع الدولة العباسية في المشرق، ورغم ذلك ظلت هذه الدول مرتبطة بالمشرق عن طريق تيار من الهجرة المستمرة لشخصيات ذات شأن كبير من أقارب الأسرة الحاكمة، ومن بني جلدتهم، ومن أعوانهم ومعتنقي أفكارهم السياسية والمذهبية، هذه الهجرة كانت تؤكد الاتصال بين المغرب، ومركز الخلافة في المشرق، وحركة الاتصال هذه بين المشرق والمغرب أدت إلى نشوء دولة جديدة وهي الدولة الفاطمية.

٢- قامت الدولة الفاطمية على يد الدعاة الذين تم اختيارهم من الدهاة ورجال العلم الذين يجيدون الكلام والبلاغة، فأنطلق هؤلاء يدعون إلى المذهب الإسماعيلي في مغارب الأرض ومشارقها، ونجحوا في المهمة الموكلة إليهم، اذا نجح ابن حوشب والحلواني، ومن بعدهم أبي عبدالله الداعي الذي انتقل مع حجاج كتامة بعد تأديتهم فريضة الحج إلى المغرب، وتمكن من خلالهم من نشر المذهب الإسماعيلي، وكسب ود وتأييد الكثير من قبائل المغرب العربي، وخصوصاً كتامة وبدأ يؤسس لقيام الدولة هناك، ويرسل الرسائل إلى الإمام الإسماعيلي عبد الله المهدي الذي هاجر من السلمية في بلاد الشام إلى المغرب العربي في رحلة أمضاها متخفياً عن عيون الدولة العباسية، وكان يستتر بزي التجار، ورغم المخاطر والمحن التي اعترضت طريقه والمسافات الطويلة وصل المهدي إلى المغرب، وأعلن قيام الخلافة الفاطمية وبنى عاصمة له أطلق عليها اسم المهدية، وأصبح الرجل الأوحد وانفرد بالحكم، هذه السياسة التي اتبعها المهدي في بداية حكمه أوجدت معارضة له تزعمها أشخاص من أتباعه مثل أبو

(١) الشامي، أحمد: صلاح الدين والصليبيون، النهضة العربية، ط١، القاهرة، ١٩٩١م، ص٨٩، (سيشار إلية بـ الشامي: صلاح الدين).

العباس أخو الداعي أبي عبد الله الشيعي، فتمكن من إخماد المؤامرة والقضاء على المعارضين له، ذلك مما أفسد العلاقة بين المهدي وأبي عبدالله الشيعي، فكان مصير الأخير القتل، وهذا الحدث يشابه مقتل أبي مسلم الخرساني الذي يعود له الفضل في قيام الخلافة العباسية في بغداد.

٣- أهمية مصر بالنسبة للدولة الفاطمية فهي قلب العالم العربي من جهة، والبوابة الرئيسة التي يمكن من خلالها فتح مناطق في المشرق والوصول إلى عاصمة الدولة العباسية بغداد والقضاء عليها، وتحقيق هدف الخلافة الفاطمية الأول.

ومنذ تسلم المهدي الخلافة بدأ يرسل الحملات إلى مصر إلى أن تمكن المعز لدين الله من فتحها ونقل عاصمته إليها. وربما يعود سبب رحيلهم إلى مصر كثرة الثورات التي قامت في المغرب، فلم يجدوا الأمان في هذا البلد الذي تطغى عليه العصبية القبلية.

٤- متابعة خلفاء المهدي السياسة التي رسمها المهدي فاستمروا في التوسع في المغرب الأوسط والأقصى وأخمدوا الثورات التي قامت ضدهم، وسعوا في توسيع رقعة الدولة خارج حدود المغرب العربي وصولاً إلى صقلية وجنوب إيطاليا والأندلس. ورغم انتصارهم على هذه الثورات إلا أنها أنهكت الدولة المادية، مما أثر سلباً على وضعها الاقتصادي.

٥- أتخذ الصراع الفاطمي مع الأمويين في الأندلس مراحل متنوعة، وسمات مختلفة، ودوافع وأساليب كثيرة، منها السياسية والعسكرية والاقتصادية، إلى جانب العداوة الكلاسيكية والعداء المذهبي، فكل منهم أراد فرض سلطانه وسيادته على بلاد المغرب العربي الإسلامي كله، والتوسع على حساب الطرف الآخر.

٦- وعلى صعيد الصراع الفاطمي الأموي، بدأ الخليفة الفاطمي المهدي، يرسل العيون (الجواسيس) والدعاة لدراسة وضع البلاد الأندلسية، مثل أبو اليسر الرياضي، وأبو جعفر محمد ابن هارون البغدادي، والجغرافي ابن حوقل، لنشر المذهب الإسماعيلي، والتعرف على الأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية، ونجحوا في ضم بعض الشخصيات الأندلسية إلى جانبهم.

٧- سعى كل من الطرفين – الفاطمي والأموي- إلى إشغال الطرف الآخر بمشكلات داخلية، يعمل على اختلاقها أو مساعدتها في مهمة التخريب الداخلي، إذ ساندت الدولة الفاطمية الحركات المعادية للأمويين، ودعمت الثورات في الأندلس، وأمدت الثائر الأندلسي عمر بن حفصون الذي دعا للخليفة الفاطمي في مساجد البلاد التي تمكن من ضمها في الأندلس، وقام الأمويون بالعمل نفسه، فقد ساند الخليفة الأموي الناصر الحركات والثورات المعادية للفاطميين من خوارج وغيرهم، كثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الزناتي الخارجي، وقد ساعده الناصر عسكرياً ومالياً، وقام أبو يزيد بالدعاء للحاكم الأموي الناصر، والاعتراف به مثلما فعل عمر ابن حفصون مع الخليفة الفاطمي. وازداد العداء بين الطرفين أيضاً من خلال:

– إعلان الحاكم الأموي الناصر الخلافة الأموية في الأندلس، مما أغضب الدولة الفاطمية، وجرت رسائل بين الطرفين يوضح كل طرف فيها أحقيته في الخلافة.

– اهتمام الناصر بالأسطول البحري، وأنشأ داراً لصناعة السفن، واستولى على الثغور المغربية (مليلة، سبته، طنجة)، هذه المناطق المهمة التي مهدت للسيطرة على مضيق جبل طارق.

– كما عمل الناصر على فرض حصار دولي على الفاطميين بعقد اتفاقيات تحالف مع أعداء الفاطميين من ملوك أوروبا والمشرق. كما ساند حكام البيت الإدريسي كالحسن بن القاسم الملقب بالحجّام، ويحيى بن إدريس، في مواجهة الفاطميين.

واستمر الصراع قائماً على أشده بين الدولتين لمدة من الزمن، إلى أن انتقل الفاطميون إلى مصر ووجهوا أنظارهم إلى المشرق الإسلامي. أما في الأندلس فقد دبت الفتنة بين أفراد البيت الأموي وكثر المطالبون بالخلافة الأموية في قرطبة، وانقسمت الأندلس بين المتصارعين إلى دويلات الطوائف، فتوقف الصراع مع الفاطميين وقل اهتمامهم بالمغرب.

٨- أما فيما يخص جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا فكانتا محط أنظار العرب منذ بداية الفتح الإسلامي، بعد أن صارت لهم قوة بحرية قتالية قوية، كانت نواتها أول أسطول عربي في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ، في إمارة معاوية بن أبي سفيان حين خاض أول معركة بحرية وانتصر فيها، هي معركة ذات الصواري، ذلك مما شجع العرب على أن يبرعوا في صناعة السفن الحربية، لتساعدهم في إكمال فتح المغرب، والسيطرة على السواحل الجنوبية للبحر

المتوسط، وحماية السواحل من الهجمات البيزنطية المنطلقة من جزيرة صقلية، فنما لديهم الدافع الكبير لفتح صقلية، والتخلص من هجمات البيزنطيين التي حالت دون إكمال فتح المغرب العربي من جهة، وأهمية صقلية في البحر المتوسط من جهة ثانية، إضافة للدافع الديني لنشر الإسلام في أرض جديدة.

لم تتوقف الحملات الإسلامية على صقلية، وكانت عبارة عن غزوات خاطفة وسريعة تغنم وتعود دون أن تستقر أو تحقق فتح كامل للجزيرة، وربما يعود السبب إلى خشية ولاة إفريقية الدخول في معارك بحرية أو برية ضد القوات البيزنطية من جهة، وانشغالهم بالفتن والثورات الداخلية بينهم وبين البربر من جهة ثانية. هذه الأمور ساعدت حكام صقلية على تحصين الجزيرة وتنشيط البحرية في البحر المتوسط ضد السفن الإسلامية.

٩- أما فتح صقلية ٢١٢هـ/ ٨٢٧م، فقد تم في زمن الأغالبة الذين اتبعوا سياسة بحرية للسيطرة على البحر المتوسط، وكان لأسد بن الفرات دوراً كبيراً في الفتح العربي لصقلية، سواء في حماسه الذي أبداه لفكرة الفتح أو الشجاعة التي أبداها عند تقلده قيادة الحملة، وإضافة الصفة الجهادية على الحملة لكونه قاضياً وفقيهاً، كما أن موقع الجزيرة الجغرافي أعطاها أهمية بسبب قربها من تونس، ومن الجنوب الإيطالي الأمر الذي أتاح للعرب فرصة جعلها قاعدة لنشر الإسلام والحضارة العربية إلى أوروبا .

١٠- ويعود الفضل إلى الأسرة الكلبية التي حكمت صقلية من سنة ٣٣٦هـ/ ٩٤٨م، وتعاقب على الولاية عشرة من أبنائها، وتصدوا للمخططات البيزنطية لاسترجاعها أو لإحداث قلقلة في الحكم الإسلامي، كما قادوا حركة الإصلاحات التي ارتكزت عليها سياستهم، ووفقوا في إيجاد ذلك التوازن بين عناصر السكان، فلم يناصروا أو يظاهروا عنصراً على آخر، فهم كما عملوا على إرضاء الفاطميين، فإنهم حرصوا أيضاً على كسب ثقة أهل صقلية الذين كانوا أغلبهم من السنة، كما أنهم استطاعوا كبح جماح الكتاميين البربر الذين كانوا شديدي الحماس للدولة الفاطمية، وكانت معظم الجيوش التي يبعث بها الخليفة الفاطمي لنصرة صقلية تتكون منهم.

١١- وعلى الرغم من ضراوة المعارك التي قادها البيزنطيون وتحالفات مدن جنوب إيطاليا وأباطرة الدولة الكارولنجية والرومانية الغربية، إلا أن المسلمين استطاعوا الاستقرار والحكم في

صقلية أكثر من قرنين، وأضحت صقلية مركزاً من مراكز الإشعاع الحضاري، ومنفذاً من منافذ الحضارة الإسلامية إلى أوروبا، وربما بسبب هذه المعارك وضراوتها واستمرارها طوال مدة الوجود الإسلامي لم يتح لجزيرة صقلية أن تشغل ذلك الدور الذي قامت به الأندلس طوال ثمانية قرون من الحكم الإسلامي، مستفيدة من الاستقرار الإداري والسياسي الذي تمتعت به، ومن الموقع الجغرافي ومن قلة الأعداء المعارضين والمحاربين لها.

والجدير بالتأكيد هنا أن التواجد الإسلامي لم يكن يتعرض للاضطراب إلا عندما يدب الخلاف بين القوى الإسلامية ذاتها، وربما هو أمر تكرر في معظم المناطق التي تواجد بها حكم إسلامي، فلم تخرج صقلية من الحكم الإسلامي إلا بعد أن بدأ ذلك الصراع بين الصقليين والزيريين، ومع إنهما كانا تحت لواء دولة واحدة هي الخلافة الفاطمية، وكان في خلافهما فرصة لتدخل النورمان وإنهاء الحكم الإسلامي لصقلية لتخرج من يد المسلمين إلى الأبد.

وختاماً أتمنى أن يكون هذا البحث المتواضع قد أستوفى الحد الأدنى من شروط البحث العلمي، فان أصبت فذلك توفيق من الله سبحانه وتعالى، وإن لم أصب فعذري أنني طالب علم. وعلى الله توكلت وله الحمد والشكر وهو رب العالمين.

الخرائط والملاحق

خريطة رقم: (١) الدولة الفاطمية في المغرب.

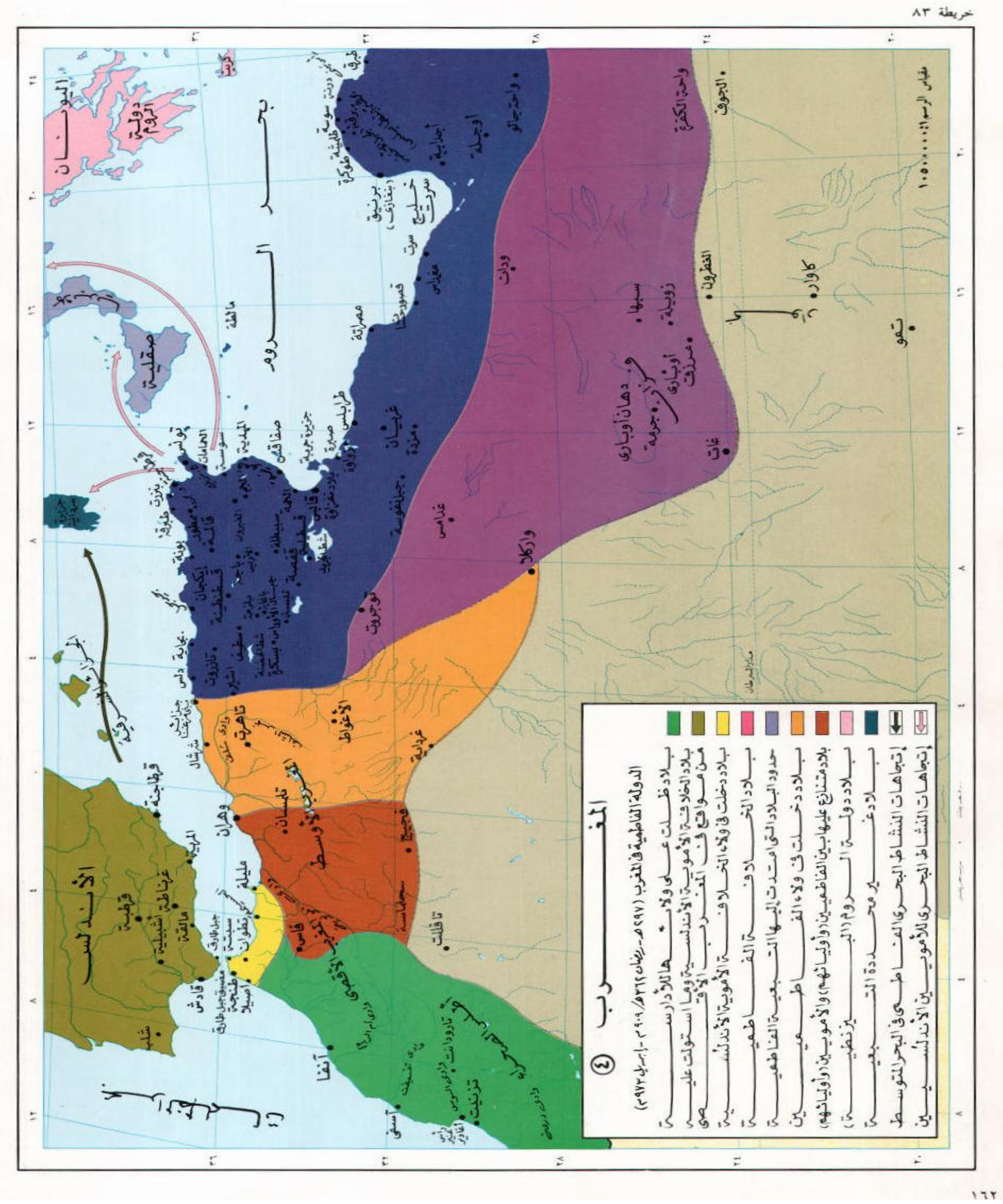

(١) مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ص١٦٢.

خريطة رقم: (٢) المغرب العربي والأندلس.

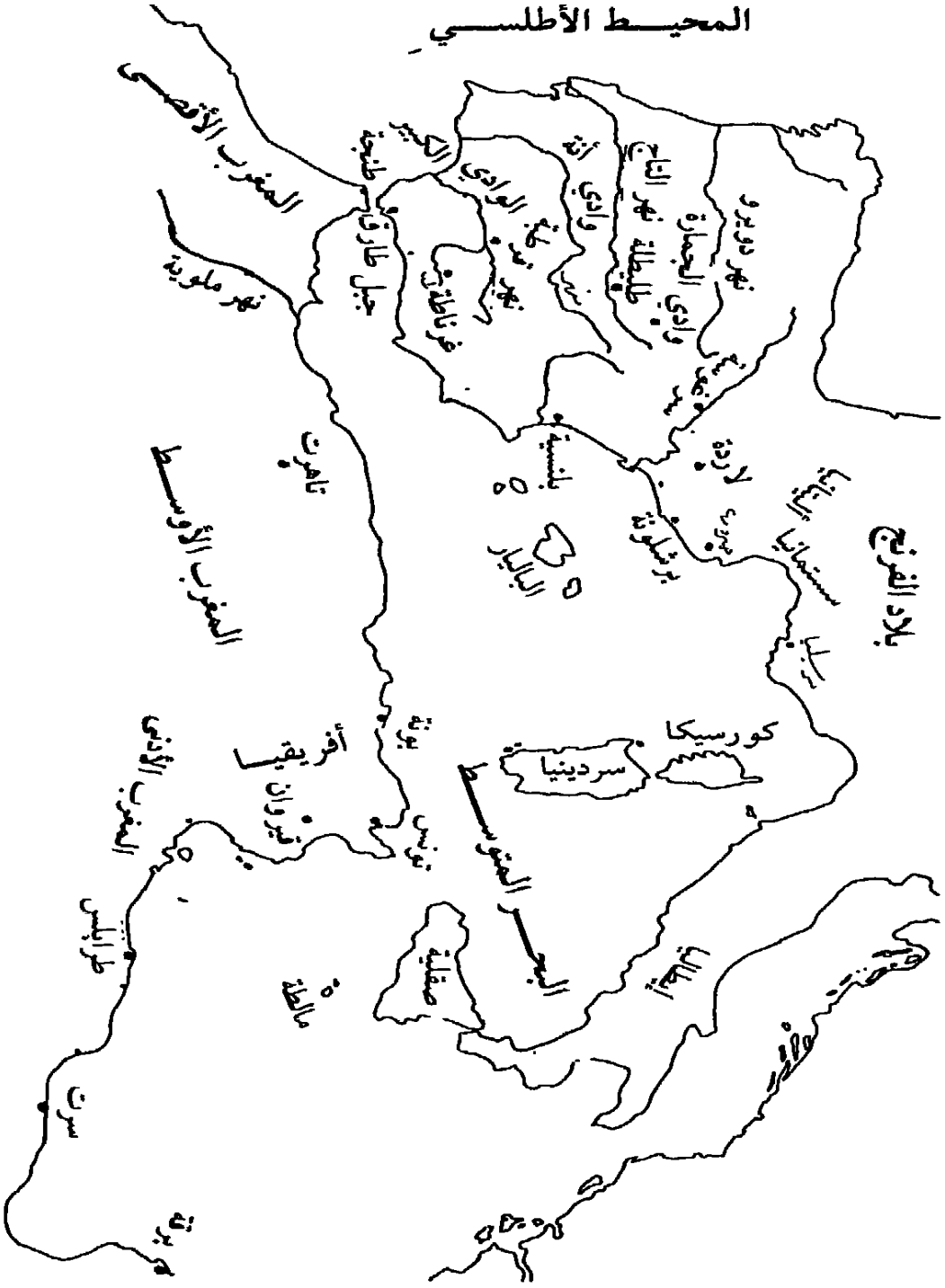

(١) نعنعي: تاريخ الدولة الأموية، ص٢٥.

خريطة رقم: (٣) بلاد كتامة.

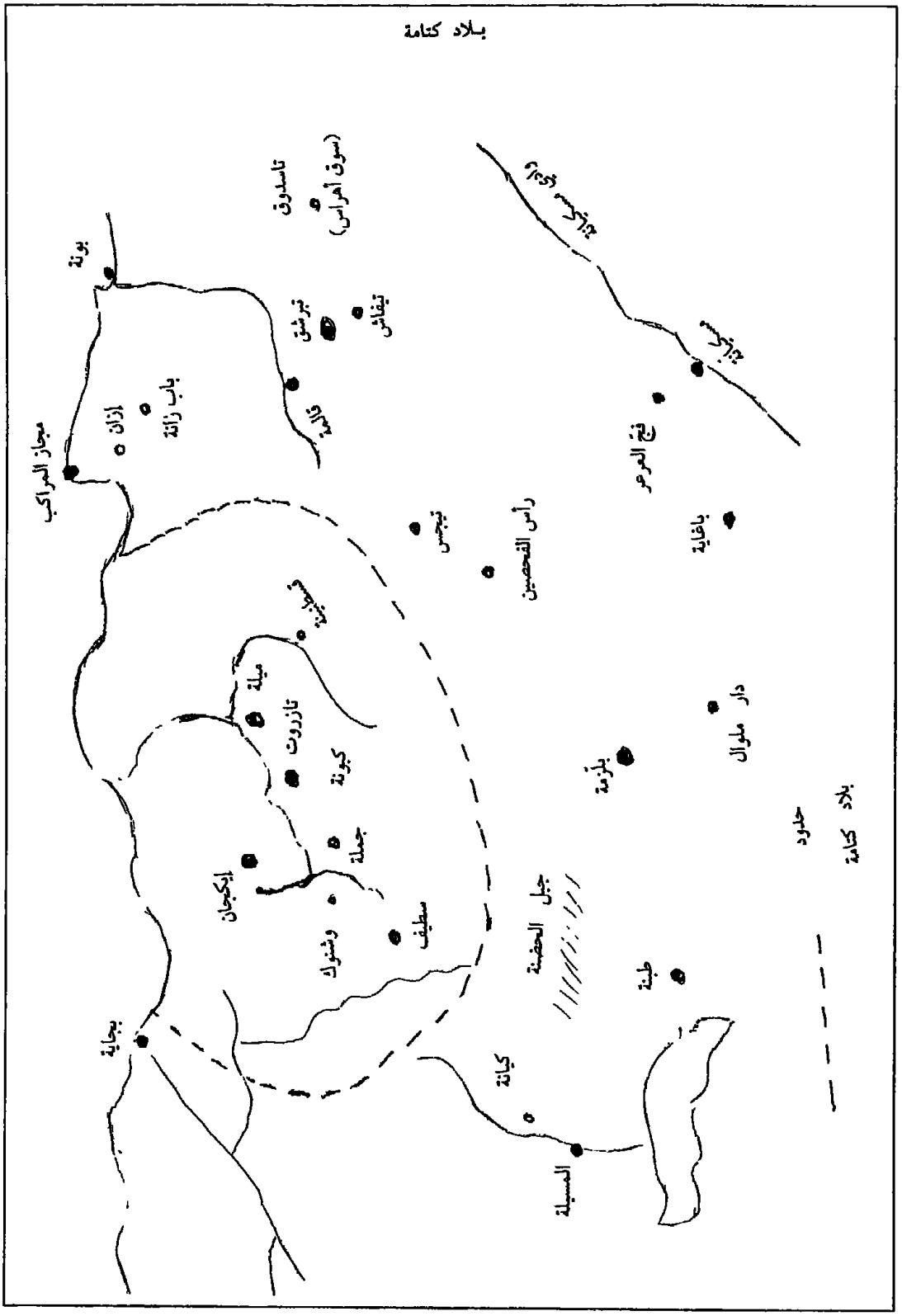

(١) الدشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٨٣.

خريطة رقم: (٤) المهدية.

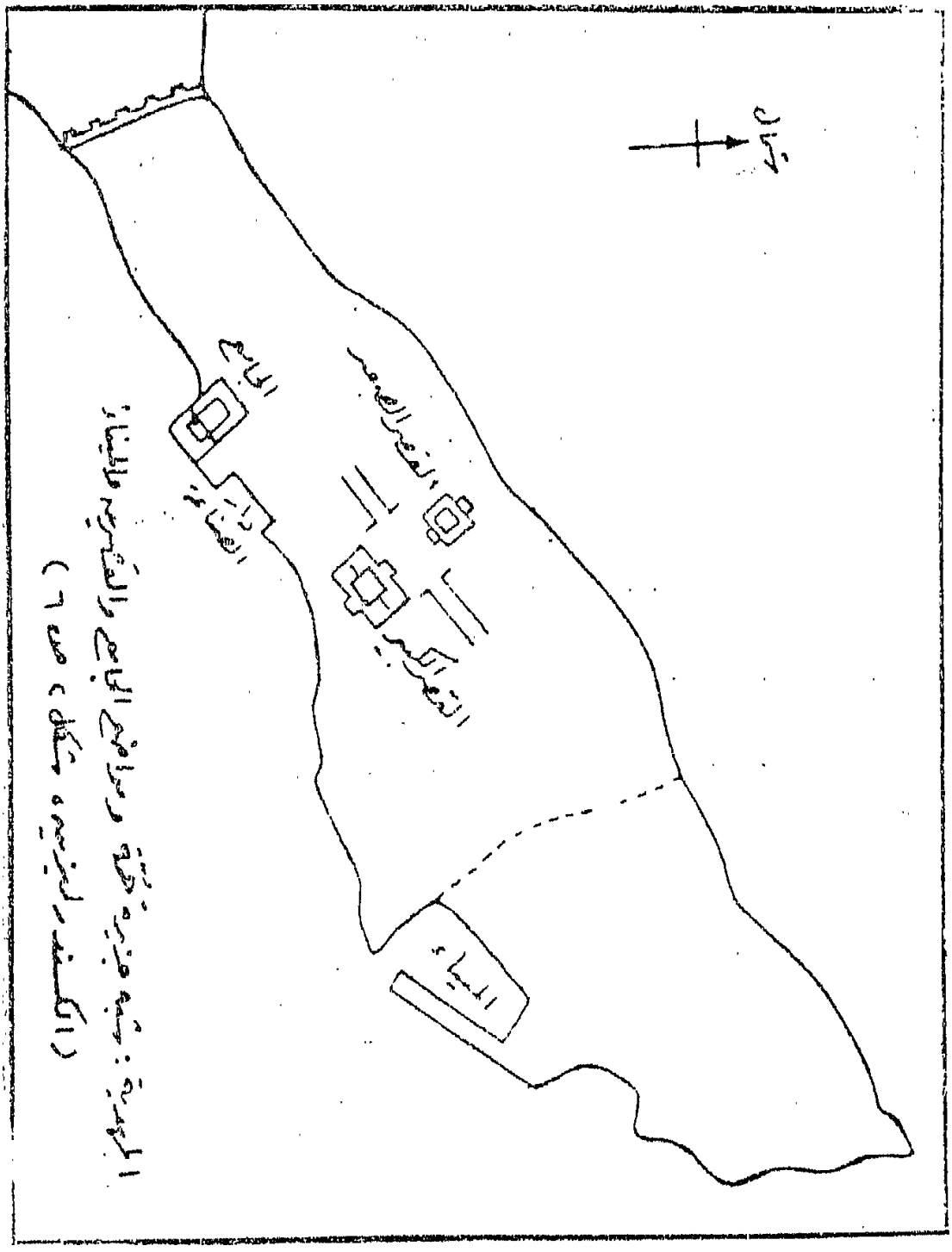

(١) عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، ج٣، ص٩٧.

خريطة رقم: (٥) القبائل العربية والبربرية في أرض كتامة.

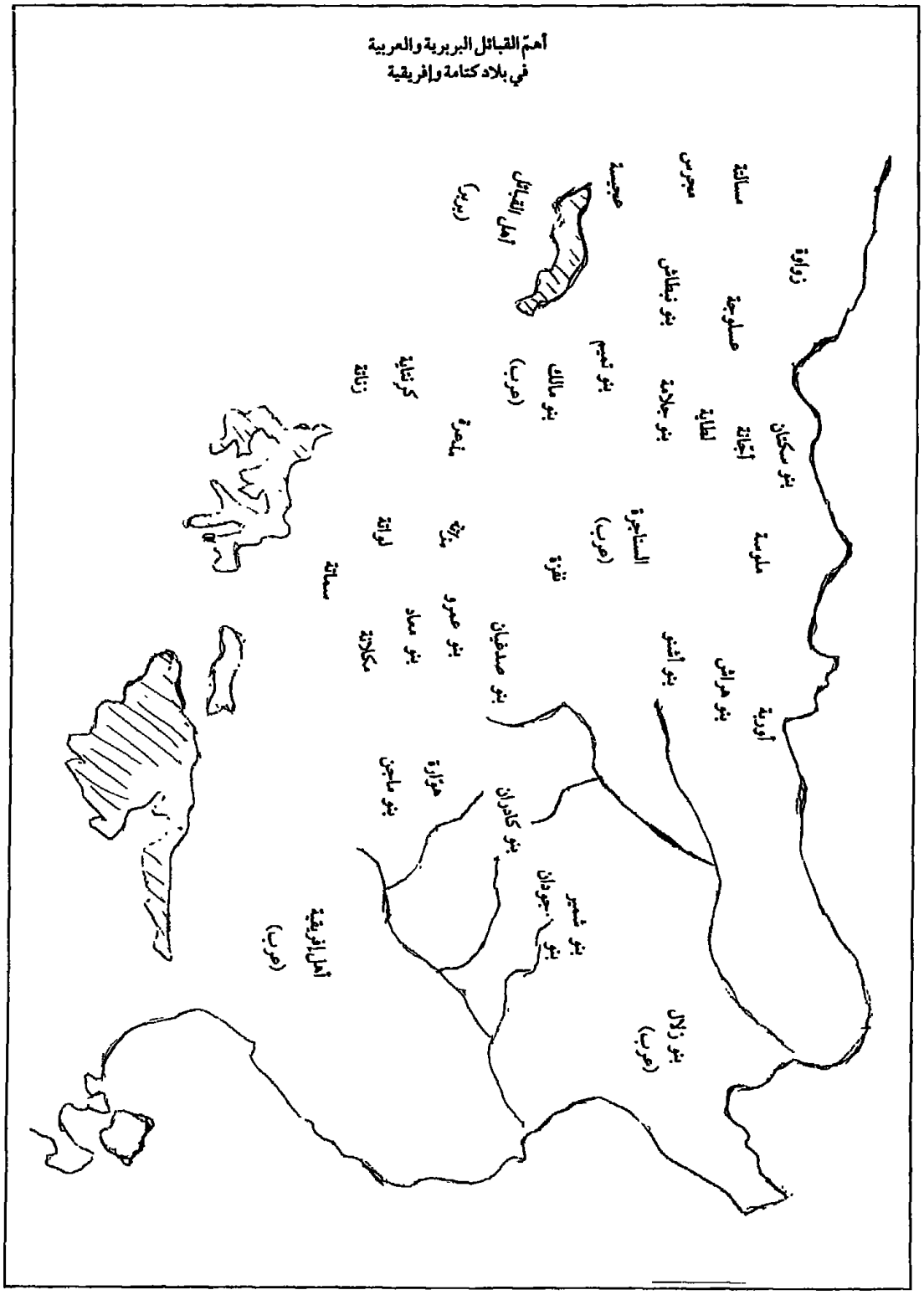

(١)الدشراوي: الخلافة الفاطمية، ص١٠٧.

خريطة رقم: (٦) المنصور يطارد أبي يزيد الخارجي.

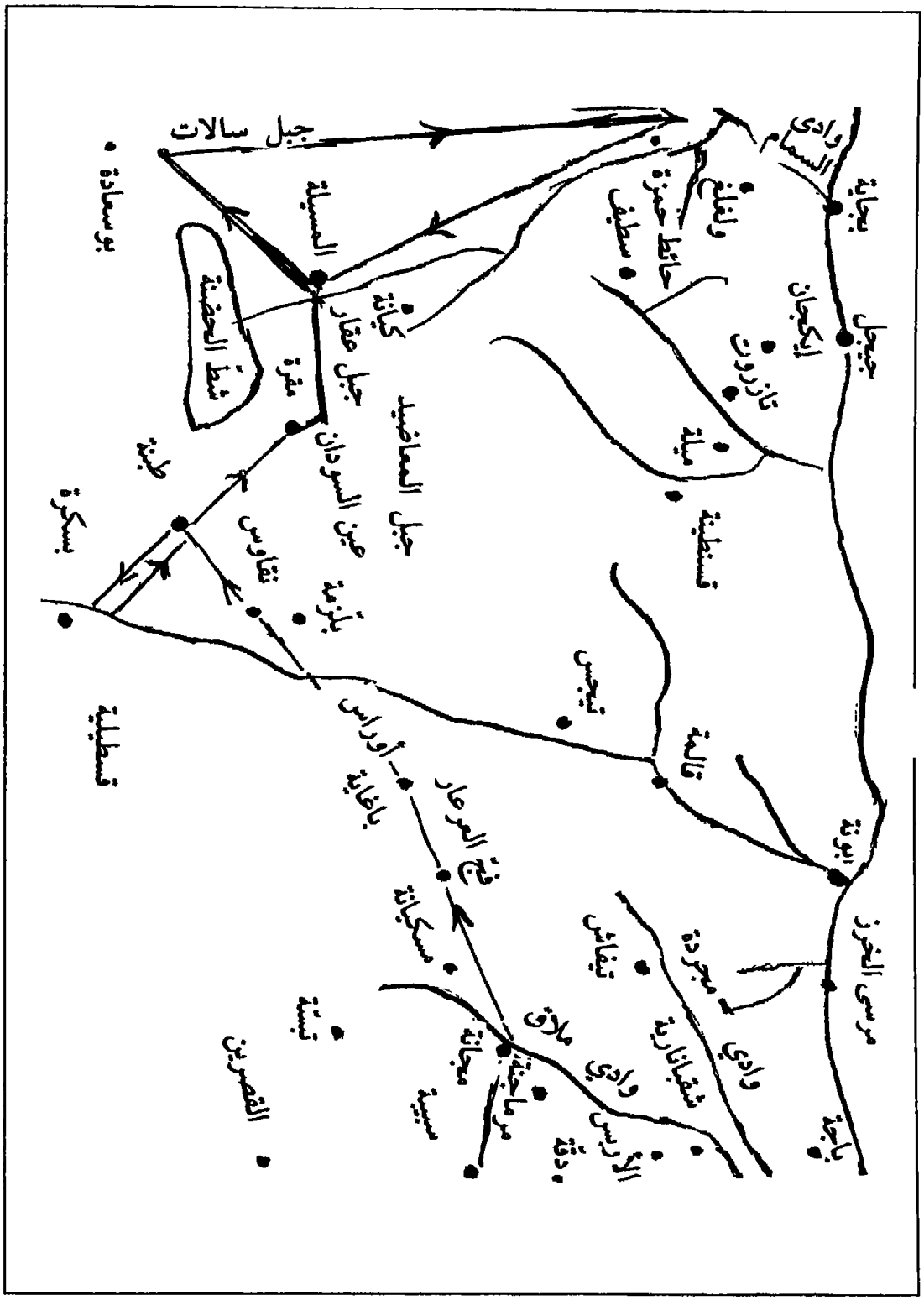

(١) الدشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٢٩٢.

خريطة رقم: (٧) صقلية وجنوب إيطاليا.

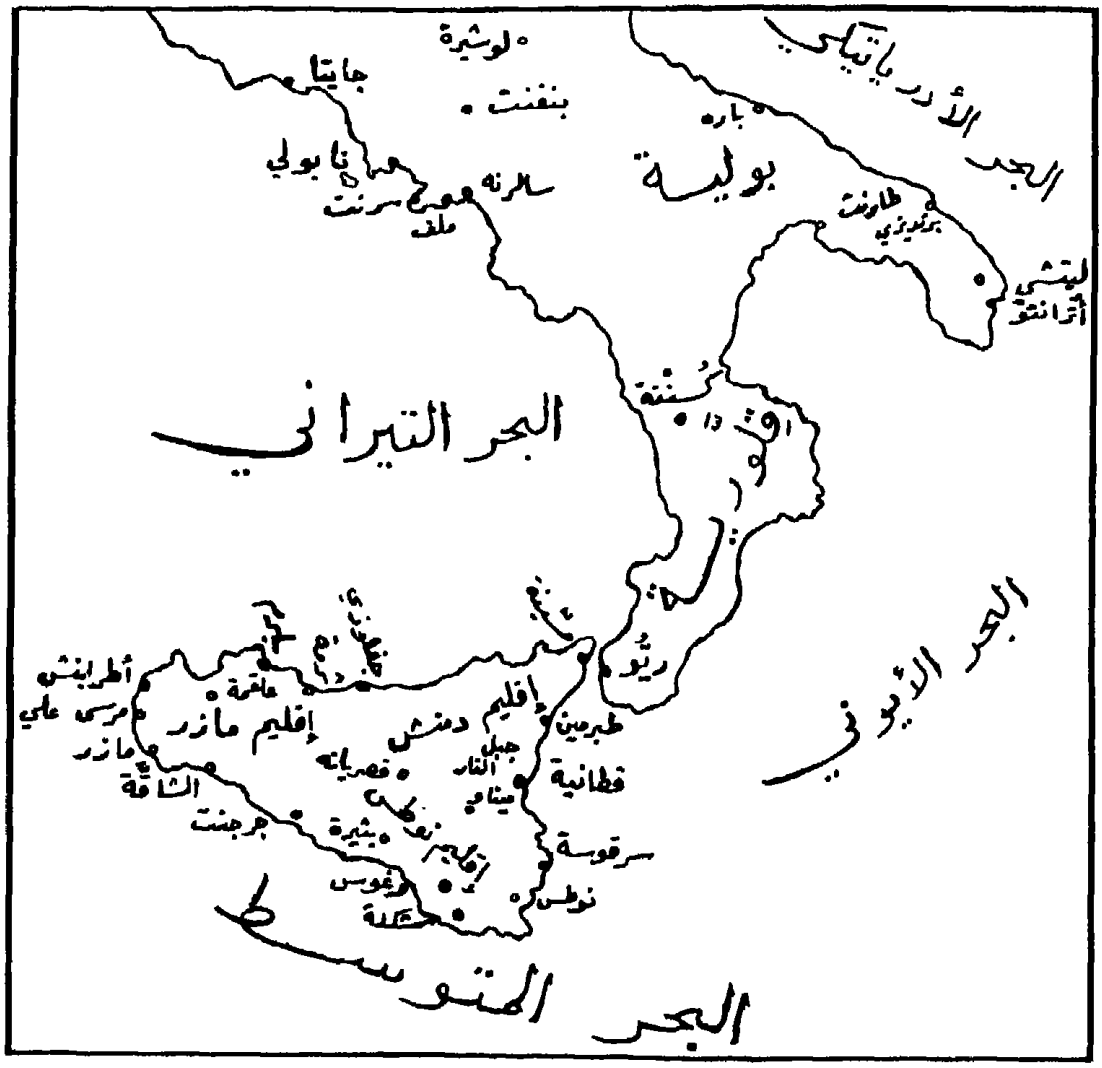

صِقِلِّيَة وجنوب إيطاليا

(١)أحمد: تاريخ صقلية، ص٧.

خريطة رقم: (٨) الفتح العربي لصقلية وجنوب إيطاليا.

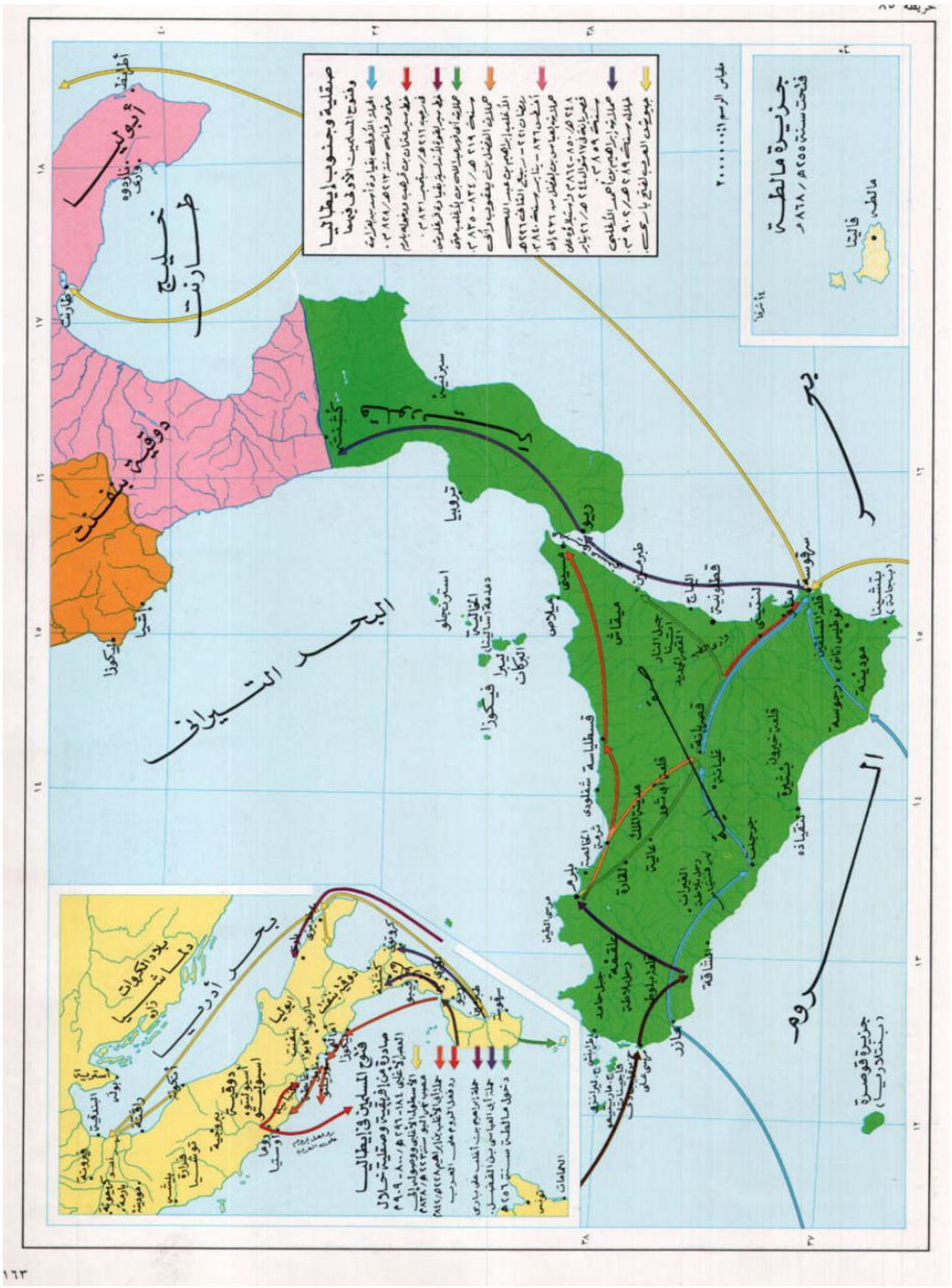

(١) مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ص١٦٣.

ملحق رقم: (١) الأئمة (الخلفاء الفاطميين).

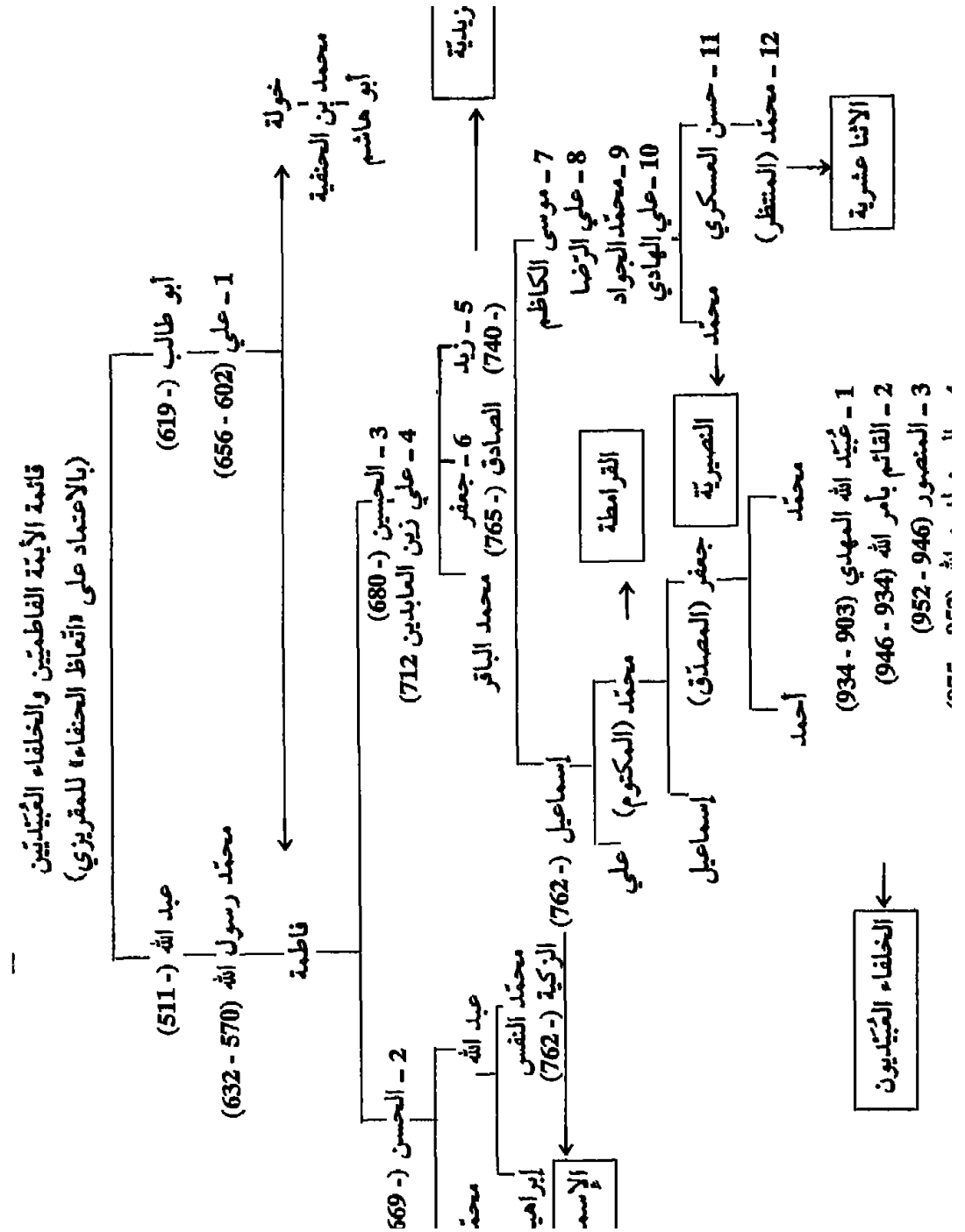

(١) الدشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٧٧.

ملحق رقم: (٢) ولاة الفاطميين في صقلية.

ولاة الفاطميين

أسم الوالي	فترة حكمه
علي بن محمد بن أبي الفوارس	٢٩٦ ـ ٢٩٧هـ / ٩٠٨ ـ ٩٠٩م
الحسن بن أحمد بن خنزير الكتامي	٢٩٧ ـ ٢٩٩هـ / ٩٠٩ ـ ٩١١م
علي بن عمر البلوي	٢٩٩ ـ ٣٠٠هـ / ٩١١ ـ ٩١٢م
أحمد بن زيادة الله بن قرهب	٣٠٠ ـ ٣٠٤هـ / ٩١٢ ـ ٩١٦م
أبو سعيد موسى بن أحمد المسمى بالضيف	٣٠٤ ـ ٣٠٥هـ / ٩١٦ ـ ٩١٧م
سالم بن راشد الكتامي	٣٠٥ ـ ٣٢٥هـ / ٩١٧ ـ ٩٣٦م
خليل بن اسحاق بن ورد	٣٢٥ ـ ٣٢٩هـ / ٩٣٦ ـ ٩٤٠م
عطاف الأزدي	٣٢٩ ـ ٣٣٦هـ / ٩٤٠ ـ ٩٤٧م

(١) الزهراني: الحياة العلمية، ص٥٩٢.

ملحق رقم: (٣) الولاة الكلبيين في صقلية.

الولاة الكلبيون (كانوا تابعين اسمياً للفاطميين)

أسم الوالي	فترة حكمه
الحسن بن علي بن أبي الحسين الكلبي	٣٣٦ ـ ٣٤١هـ / ٩٤٧ ـ ٩٥٢م
أحمد بن حسين بن علي بن أبي الحسين الكلبي	٣٤١ ـ ٣٥٩هـ / ٩٥٢ ـ ٩٦٩م
يعيش (مولى الحسن بن علي الكلبي)	٣٥٩ ـ ٣٥٩هـ / ٩٦٩ ـ ٩٦٩م
علي بن حسن بن علي بن أبي الحسين الكلبي	٣٥٩ ـ ٣٧٢هـ / ٩٦٩ ـ ٩٨٢م
جابر بن علي بن حسن الكلبي	٣٧٢ ـ ٣٧٣هـ / ٩٨٢ ـ ٩٨٣م
جعفر بن محمد بن حسن الكلبي	٣٧٣ ـ ٣٧٥هـ / ٩٨٣ ـ ٩٨٥م
عبد الله بن محمد بن حسن الكلبي	٣٧٥ ـ ٣٧٩هـ / ٩٨٥ ـ ٩٨٩م
ثقة الدولة يوسف بن عبد الله بن محمد بن حسن الكلبي	٣٧٩ ـ ٣٨٨هـ / ٩٨٩ ـ ٩٩٨م
تاج الدولة جعفر بن يوسف الكلبي	٣٨٨ ـ ٤١٠هـ / ٩٩٨ ـ ١٠١٩م
الأكحل أحمد بن ثقة الدولة يوسف الكلبي	٤١٠ ـ ٤٢٧هـ / ١٠١٩ ـ ١٠٣٥م
حكم الزيريين (عبد الله بن المعز بن باديس)	٤٢٧ ـ ٤٣١هـ / ١٠٣٥ ـ ١٠٣٩م
الصمصام حسن بن ثقة الدولة يوسف الكلبي	٤٣١ ـ ٤٤٣هـ / ١٠٣٩ ـ ١٠٥١م

(١) الزهراني: الحياة العلمية، ص٥٩٢.

ملحق رقم: (٤) ولاة صقلية بعد انهيار حكم الكلبيين.

الولاة بعد انهيار حكم الكلبيين لصقليه وعلى شكل مدن متناثرة

أسـم الـوالي	فتـرة حكمـه
عبد الله بن منكود	حكم مدينة مازر وطرابنش والشاقة ومرسى علي .
علي بن نعمة المعروف بابن الحواس المكلاتي	حكم قصريانه وجرجنت وقتل سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م .
محمد بن ابراهيم المعروف بابن الثمنه	حكم قطانيه حكم سرقوسة ، وقطانية وقتل سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م .

(١) الزهراني: الحياة العلمية، ص٥٩٣.

المصادر والمراجع

١ – **القرآن الكريم.**

– **المصادر:**

– ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي ت ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م:

٢– **الحلة السيراء،** تح: حسين مؤنس، دار المعارف، ط٢، القاهرة، ١٩٨٥م.

٣– **التكملة لكتاب الصلة،** مطبعة الشرقية للأخوين، الجزائر، ١٩١٩م.

– ابن الأثير، علي بن أبي الكرم الشيباني ت ٦٣٠هـ/ ١١٦٤م:

٤– **الكامل في التاريخ،** تح: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٨٧م.

– الإدريسي، محمد بن عبد الله بن إدريس ت٥٦٠هـ/ ١١٦٥م:

٥– **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،** عالم الكتب، ط١، بيروت، ١٤٠٩هـ.

– الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن ت ٣٢١هـ/ ٩٣٣م:

٦– **الاشتقاق،** تح: عبد السلام هارون، دار الجيل: ط١، بيروت، ١٩٩١م.

– الأصفهاني، أبو الفرج ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م:

٧– **مقاتل الطالبين،** تح: السيد أحمد صقر، منشورات الشريف الرضي، ط٢، (د. م)، ١٤١٦هـ.

– ابن أمير المؤمنين، إسماعيل بن إبراهيم ت ١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م:

٨– **تاريخ الأندلس من الفتح حتى السقوط،** تح: أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٧م.

– الأنطاكي، يحيى بن سعيد ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م:

٩- **تاريخ الأنطاكي** (صلة تاريخ أوتيخا)، تح: عمر عبد السلام التدمري، جروس برس، طرابلس، ١٩٩٠م.

- ابن أيبك الدواداري، أبو بكر بن عبد الله ت ٧٣٦هـ/ ١٣٣٦م:

١٠- **كنز الدرر وجامع الغرر** (الجزء السادس)، المسمى: الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، تح: صلاح الدين المنجد، المعهد الألماني للآثار، القاهرة، ١٩٦١م.

- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي ت ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م:

١١- **المسالك والممالك**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٢م.

١٢- **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، وهو جزء من المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د. ت.

- البغدادي، عبد القاهر بن محمد ت ١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م:

١٣- **الفرق بين الفرق**، تح: محمد الخشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة، د. ت.

- البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م:

١٤- **فتوح البلدان**، تح: عبد الله الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٨٧م.

- بنيامين، ابن الرابي يونة التطيلي ت٥٦٩هـ/ ١١٧٣م:

١٥- **رحلة بنيامين التطيلي**، المجمع الثقافي، ط١، أبو ظبي، ٢٠٠٢م.

- التجاني، عبد الله بن محمد بن أحمد ت٧٢١هـ/ ١٣٢١م:

١٦- **رحلة التجاني**، تقديم: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨١م.

- ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م:

١٧- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تح: محمد حسين، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٢م.

١٨- **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، تح: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ت.

- الجوذري، منصور العزيزي ت ٣٩٠هـ /١٠٠٠م:

١٩- **سيرة الأستاذ جوذر**، تح: محمد كمال حسين؛ ومحمد شعيرة، دار الفكر العربي، مصر، د. ت.

- الحموي، ياقوت بن عبد الله ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م:

٢٠- **معجم البلدان**، تح: فريد عبد العزيز الجندي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.

- ابن حماد، أبي عبد الله محمد بن علي ت ٦٢٨هـ /١٢٣١م:

٢١- **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، تح: التهامي نقرة، وعبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، د. ت.

- الحمادي، محمد بن مالك اليماني :

٢٢- **كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة**، مطبعة الأنوار، د. م، ١٩٣٩م.

- ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل النصيبي ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م:

٢٣- **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٢م.

- الحميدي، محمد بن أبي نصر ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م:

٢٤- **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، الدار المصرية، القاهرة، ١٩٦٦م.

- الحميري، محمد بن عبد المنعم ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م:

٢٥- **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط٢، بيروت، ١٩٨٤م.

٢٦- **صفة جزيرة الأندلس**، منتخبة من كتاب الروض المعطار، تصحيح: ليفي بروفنسال، دار الجيل، ط٢، بيروت، ١٩٨٨م.

- ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف ت ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م:

٢٧- **المقتبس في أخبار بلد الأندلس**، تح: عبد الرحمن الحجي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م.

٢٨- **المقتبس في أخبار بلد الأندلس**، نشر: ب. شالميتا، تح: ف. كورينطي؛ وآخرون، ج٥، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، ١٩٧٩م.

- ابن خرداذبه، عبيد الله بن عبد الله ت ٣٠٠هـ / ٩١٣م:

٢٩- **المسالك والممالك**، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٩م.

- ابن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م:

٣٠- **أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام**، (تاريخ إسبانيا الإسلامية)، تح: إ. ليفي بروفنسال، دار المكشوف، ط٢، بيروت، ١٩٥٦م.

٣١- **الإحاطة في أخبار غرناطة**، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢٤هـ.

٣٢- **رقم الحلل في نظم الدول**، المطبعة العمومية، تونس، ١٣١٦هـ.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ /١٤٠٥م:

٣٣- **تاريخ ابن خلدون**، المسمى: (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، ضبط: خليل شحاذة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت،٢٠٠١م.

- ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م:

٣٤- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، دار صادر، ط١، بيروت، ١٩٠٠م.

- خليفة بن خياط، أبو عمر الشيباني ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م:

٣٥- **تاريخ خليفة بن خياط**، تح: أكرم ضياء العمري، دار القلم، ط٢، دمشق، ١٢٩٧هـ.

- الدرجيني، أحمد بن سعيد ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م:

٣٦- **طبقات المشايخ**، موقع الاستقامة، د. ت.

- ابن أبي دينار، أبو عبد الله محمد كان حياً ١٠٩٢هـ / ١٦٨١م:

٣٧- **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، مطبعة الدولة التونسية، ط١، تونس، ١٣٨٦هـ.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م:

٣٨- **سير أعلام النبلاء**، تح: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت،١٩٨٣م.

٣٩- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تح: بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ٢٠٠٣م.

٤٠- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تح: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، ط٢، بيروت، ١٩٩٣م.

٤١- **العبر في خبر من غبر**، تح: محمد السعيد، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

- الرقيق القيرواني، إبراهيم بن القاسم ت ٣٩٠هـ / ١٠٠٠م:

٤٢- **تاريخ إفريقية والمغرب**، تح: محمد زينهم، دار الفرجاني للنشر، ط١، القاهرة، ١٩٩٤م.

- ابن أبي زرع، علي بن عبد الله الفاسي ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م:

٤٣- **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٢م.

- زكار، سهيل:

٤٤-**الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية**، (المغرب والأندلس والبحر المتوسط)، ج٢، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥م.

- الزهري، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ت ٥٣٢هـ/ ١١٣٧م:

٤٥- **كتاب الجغرافية**، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د. ت.

- ابن زولاق، الحسن بن إبراهيم:

٤٦- **أخبار سيبوية المصري**، نشر: محمد سعد وحسين الديب، القاهرة، ط١، ١٩٣٣م.

- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م:

٤٧- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت.

- ابن سعيد المغربي، علي بن موسى ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م:

٤٨- **المغرب في حلى المغرب**، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، ط٣، القاهرة، ١٩٥٥م.

- السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م:

٤٩- **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح: جعفر الناصري، ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤م.

- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ / ١٠٠٥م:

٥٠- **تاريخ الخلفاء**، تح: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، د. م، ٢٠٠٤م.

- البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق صفي الدين ت ٧٣٩هـ /١٣٣٨م:

٥١- **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، دار الجيل، ط١، بيروت، ١٤١٢هـ.

- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م:

٥٢- **الملل والنحل**، تح: أمير مهنا، وعلي فاعور، دار المعرفة، ط٣، بيروت، ١٩٩٣م.

- الشيرازي، المؤيد في الدين هبة الله بن موسى ت ٤٧٠هـ / ١٠٧٨م:

٥٣- **ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة**، تح: محمد كامل حسين، دار الكتاب، ط١، القاهرة، ١٩٤٩م.

- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م:

٥٤- **الوافي بالوفيات**، تح: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ٢٠٠٠م.

- الضبي، أحمد بن يحيى ت ٥٩٩هـ / ١٢٠٣م:

٥٥- **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.

- الطبري، محمد بن جرير ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م:

٥٦- **تاريخ الطبري**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٢، مصر، د. ت.

- ابن عبد الحكيم، عبد الرحمن بن عبد الله ت ٢٥٧هـ / ٨٧٠م:

٥٧- **فتوح مصر والمغرب**، تح: عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د.ت.

- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب الأندلسي ت ٣٢٨هـ / ٩٤٠م:

٥٨- **العقد الفريد**، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٠٤هـ.

- ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله ت٦٦٠هـ / ١٢٦١م:

٥٩- **بغية الطلب في تاريخ حلب**، تح: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٨م.

- ابن عذاري، أبو عبد الله محمد ت ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م:

٦٠- **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: ج.س. كولان، وإ.ليفى بروفنسال، دار الثقافة، ط٣، لبنان، ١٩٨٣م.

- العزيزي، الحسن بن أحمد ت ١٣٤٢هـ / ١٩٣٣م:

٦١- **المسالك والممالك (كتاب العزيزي)**، جمع وتعلق: تيسير خلف، د. م، د. ت.

- ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م:

٦٢- **تاريخ دمشق**، تح: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥م.

- أبو الفداء، إسماعيل بن علي ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م:

٦٣- **المختصر في أخبار البشر**، مكتبة المتنبي، القاهرة، د. ت.

– ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد ت ٧٩٩هـ / ١٣٩٧م:

٦٤- **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، محمد الأحمدي، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، د. ت.

– ابن الفرضي، عبد الله بن محمد بن يوسف ت ٤٠٣هـ / ١٠١٣م:

٦٥- **تاريخ علماء الأندلس**، مكتبة الخانجي، ط٢، القاهرة، ١٩٨٨م.

– ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م:

٦٦- **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تح: حمزة عباس، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.

– الفيروزأبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م:

٦٧- **القاموس المحيط**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر،١٩٥٢م.

٦٨- **البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة**، دار سعد الدين، ط١، د. م، ٢٠٠٠م.

– القاضي عياض: عياض بن موسى السبتي ت ٥٤٤هـ / ١١٤٩م:

٦٩- **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**، تح: عبد القادر الصحراوي، مطبعة فضالة، ط١، المغرب، ١٩٧٠م.

– القاضي النعمان: أبو حنيفة النعمان بن محمد ت ٣٦٤هـ/ ٩٧٥م:

٧٠- **المجالس والمسايرات**، تح: الحبيب الفقي، وآخرون، دار المنتظر، ط١، بيروت، ١٩٩٦م.

٧١- **افتتاح الدعوة**، تح: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٨٦م.

٧٢- **دعائم الإسلام**، تح: أصف فيضي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣م.

– ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م:

٧٣- **الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء**، تح: علي شيري، دار الأضواء، ط١، بيروت، ١٩٩٠م.

– القرشي، إدريس عماد الدين ت ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م:

٧٤– **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب** (القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار)، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٩٨٥م.

٧٥– **عيون الأخبار وفنون الآثار**، تح: مصطفى غالب، دار الأندلس، ط٢، بيروت، ١٩٨٤م.

– القرطبي، عريب بن سعيد ت ٣٦٩هـ/ ٩٧٩م:

٧٦– **صلة تاريخ الطبري**، دار التراث، بيروت، ١٣٨٧هـ.

– القرماني، أحمد بن يوسف ت ١٠١٩هـ / ١٦١٠م:

٧٧– **أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ**، تح: أحمد حطيط، فهمي سعد، عالم الكتب، ط١، بيروت، ١٩٩٢م.

– القزويني، زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م:

٧٨– **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، د. ت.

– القلقشندي، أحمد بن علي ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م:

٧٩– **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، دار الكتب الخديوية، القاهرة، ١٩١٥م.

٨٠– **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تح: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبنانيين، ط٢، بيروت، ١٩٨٠م.

– كاتب مراكشي مجهول عاش في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي:

٨١– **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تعليق: سعد زغلول، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ١٩٨٦م.

– الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م:

٨٢– **فوات الوفيات والذيل عليها**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت،١٩٧٤م.

- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر ت٧٧٤هـ / ١٣٧٢م:

٨٣- **البداية والنهاية**، تح: عبد الله التركي، دار هجر، ط١، مصر، ١٩٩٨م.

- الكرخي، أبي إسحاق إبراهيم بن محمد ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م:

٨٤- **مسالك الممالك**، تح: دي غوية، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٢٧م.

- الكندي، محمد بن يوسف المصري ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م:

٨٥- **الولاة والقضاة**، تح: محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ٢٠٠٢م.

- ليون الإفريقي، الحسن بن محمد الوزان ت ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م:

٨٦- **وصف أفريقيا**، تر: محمد حجي، ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط٢، بيروت، ١٩٨٣م.

- المالكي، أبي بكر عبد الله بن محمد ت ٤٥٣هـ / ١٠٦١م:

٨٧- **رياض النفوس**، تح: بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، ط٢، بيروت، ١٩٩٤م.

- مخلوف، محمد بن محمد ت١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م:

٨٨- **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٩هـ.

٨٩- **تاريخ الأندلس**، المسمى: بالمعجب في تلخيص أخبار الأندلس، دار السعادة، مصر، د. ت.

- المراكشي، محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري ت ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م:

٩٠- **السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، ط١، بيروت، ١٩٦٥م.

- ابن المستوفي، المبارك بن أحمد بن موهوب الإربلي ت ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م:

٩١- **تاريخ إربل**، تح: سامي بن سيد خماس الصقار، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٠م.

- مسكوية، أحمد بن محمد ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م:

٩٢- **تجارب الأمم**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د. ت.

- المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي ت ٣٧٥هـ / ٩٨٥م:

٩٣- **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مكتبة مدبولي، ط٣، القاهرة، ١٩٩١م.

- المقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني ت ٤٣٣هـ / ١٠٤١م:

٩٤- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م.

٩٥- **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، تح: مصطفى السقا، وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٩م.

- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٢٤هـ /١٤٢١م:

٩٦- **المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية)**، تح: محمد زينهم، ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة، ١٩٩٧م.

٩٧- **المقفى الكبير**، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٩٨٧م.

٩٨- **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، تح: جمال الدين الشيال، إحياء التراث، ط٢، القاهرة، ١٩٩٦م.

٩٩- **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، تح: محمد مصطفى زيادة؛ وجمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٥٧م.

- ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري ت ٧١١هـ / ١٣١١م:

١٠٠- **لسان العرب**، دار صادر، ط١، بيروت، ١٩٩٠م.

– مؤلف مجهول:

١٠١– **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتب المصرية، ط٢، القاهرة، ١٩٨٩م.

– مؤلف مجهول:

١٠٢– **ذكر بلاد الأندلس**، تح: لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، ١٩٨٣م.

– مؤلف مجهول، ألفة سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م:

١٠٣– **مفاخر البربر**، تح: عبد القادر بوباية، دار أبي قراق، ط١، الجزائر، ٢٠٠٥م. (توجد مخطوطة منه في مكتبة الدكتور سهيل زكار).

– مؤلف مجهول:

١٠٤– **حدود العالم من المشرق إلى المغرب**، تح: يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

– مؤلف مجهول:

١٠٥– **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، ط١، تونس، ١٩١١م.

– النبهاني، علي بن عبد الله بن محمد ت ٧٩٢هـ /١٣٨٩م:

١٠٦– **تاريخ قضاة الأندلس** (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، تح: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، ط٥، بيروت، ١٩٨٣م.

– النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م:

١٠٧– **نهاية الأرب في فنون الأدب**، دار الكتب والوثائق القومية، ط١، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

– النيسابوري، أحمد كان حيا ٢٨٠ هـ/٨٩٣ م:

١٠٨– **استتار الإمام**، نشر ايفانوف، مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٣٦م.

– ابن هاني، محمد بن هاني الأندلسي المغربي ت ٣٦٢هـ/ ٩٧٣م:

١٠٩- **تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هاني**، تصحيح: زاهد علي، دار المعارف، مصر، ١٣٥٢هـ.

١١٠- **ديوان ابن هاني**، المطبعة اللبنانية، بيروت، ١٨٨٦م.

- ابن وردان، علي بن وردان ت ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م:

١١١- **تاريخ مملكة الأغالبة**، تح: محمد زينهم، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة، ١٩٨٨م.

- ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر الكندي ت ٧٤٩هـ / ١٤٤٩م:

١١٢- **تتمة المختصر في أخبار البشر**، تح: أحمد البدراوي، دار المعرفة، ط١، بيروت، ١٩٧٠م.

- اليماني، محمد بن محمد ت نهاية القرن ٤هـ/ ١٠م:

١١٣- **سيرة الحاجب جعفر بن علي**، تح: و.إيفانوف، نشر مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، ١٩٣٦م.

- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق أبي يعقوب ت ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م:

١١٤- **البلدان**، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢٢هـ.

- اليمني، نجم الدين عمارة ت ٥٦٩هـ / ١١٧٥م:

١١٥- **تاريخ اليمن**، مطبعة كلبرت ورونكتن، لندن، ١٣٠٩هـ.

المراجع

١- أحمد، أحمد عبد الرزاق: **تاريخ وآثار مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٩م.

٢- أحمد، عزيز: **تاريخ صقلية الإسلامي**، تعريب: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، د. م،١٩٨٠م.

٣- أحمد، حسن خضيري: **دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس**، دار الفكر العربي، ط١، القاهرة، ٢٠١٠م.

٤- أحمد، علي: **تاريخ المغرب العربي الإسلامي**، جامعة دمشق، ط٢، دمشق، ١٩٩٩م.

٥- أحمد، نهلة شهاب: **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ٢٠٠٩م.

٦- إسماعيل، محمود: **الأدارسة**، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة، ١٩٩١م.

٧- --------: **الأغالبة سياستهم الخارجية**، عين للدراسات، ط٣، مصر، ٢٠٠٠م.

٨- أماري، ميخائيل: **المكتبة العربية الصقلية** (نصوص في التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع)، أعادت طبعه بالأوفست، مكتبة المثنى، بغداد، ١٨٥٧م.

٩- أيوب، إبراهيم: **التاريخ الفاطمي السياسي**، الشركة العلمية للكتاب، لبنان، ١٩٩٧م.

١٠- --------: **التاريخ العباسي السياسي والحضاري**، دار الكتاب العالمي، ط١، بيروت، ١٩٨٩م.

١١- بدر، أحمد: **تاريخ المغرب والأندلس**، منشورات جامعة دمشق، مطبعة الروضة، دمشق، ١٩٨٢م.

١٢- ----------: **تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري**، دمشق، ١٩٧٤م.

١٣- البراوي، راشد: **حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٨م.

١٤- بروكلمان، كارل: **تاريخ الشعوب الإسلامية**، ترجمة: نبيه فارس، ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط٥، بيروت، ١٩٦٨م.

١٥- بيضون، إبراهيم: **الدولة العربية في إسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠م.

١٦- بيطار، أمينه: **تاريخ العصر العباسي**، جامعة دمشق، دمشق، ١٩٩٧م.

١٧- التازي، عبد الهادي: **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**، مطابع فضالة، المملكة المغربية، ١٩٨٧م.

١٨- تامر، عارف: **تاريخ الإسماعيلية**، رياض الريس للنشر، ط١، لندن،١٩٩١م.

١٩- ----------: **عبيد الله المهدي**، دار الجيل، ط١، بيروت، ١٩٨٠م.

٢٠- ----------: **المنصور بالله**، دار الجيل، ط١، بيروت، ١٩٨٠م.

٢١- ----------: **المعز لدين الله الفاطمي**، دار الأفاق الجديدة، ط١، بيروت، ١٩٨٢م.

٢٢- الترمانيني، عبد السلام: **أحداث التاريخ الإسلامي**، دار طلاس،ط١، دمشق، ١٩٩١م.

٢٣- جمال الدين، عبد الله محمد: **الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر**، دار الثقافة، القاهرة ،١٩٩١م.

٢٤- الجادر، عادل سالم: **الإسماعيليون**: سلسلة البحوث والدراسات الإسماعيلية، ط١، الكويت، ٢٠٠٠م.

٢٥- جلي، أحمد محمد: **دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعة)**، مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، الرياض، ١٩٨٨م.

٢٦- (ح)، الصحفي القديم: **الخليفة المعز لدين الله**، د. م، د. ت.

٢٧- أبو حرب، محمد خير: **المعجم المدرسي**، منشورات وزارة التربية، ط١، دمشق، ١٩٨٥م.

٢٨- الحريري، محمد عيسى: **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي**، دار القلم، ط٣، الكويت، ١٩٨٧م.

٢٩- حسن، إبراهيم حسن؛ وطه شرف: **عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية**، مكتبة النهضة المصرية، مصر، د. ت.

٣٠- حسن، إبراهيم حسن: **تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب**، مكتبة النهضة المصرية، ط٤، مصر، ١٩٨١م.

٣١- ----------: **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، مكتبة النهضة المصرية، ط١٤، القاهرة، ١٩٩٦م.

٣٢- حسن، علي إبراهيم: **تاريخ جوهر الصقلي**، النهضة المصرية، ط٢، القاهرة، ١٩٦٣م.

٣٣- حسين، ممدوح: **إفريقية في عصر الأمير إبراهيم الثاني الأغلبي**، دار عمار، ط١، د.م، ١٩٩٧م.

٣٤- حسين، محمد كامل: **طائفة الإسماعيلية**، مكتبة النهضة المصرية، ط١، القاهرة، ١٩٥٩م.

٣٥- ----------: **في آداب مصر الفاطمية**، دار الفكر العربي، (د. م)، ١٩٧٠م.

٣٦- حوالة، يوسف: **الحياة العلمية في إفريقية**، مكتبة الملك فهد، ط١، مكة المكرمة، ٢٠٠٠م.

٣٧- حميدة، عبد الرحمن: **أعلام الجغرافيين العرب**، دار الفكر، ط١، دمشق، ١٩٨٣م.

٣٨- الحمد، عادلة علي: **قيام الدولة الفاطمية ببلاد المغرب**، دار ومطابع المستقبل، القاهرة، ١٩٨٠م.

٣٩- الخربوطلي، علي حسني: **أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية**، المطبعة الفنية الحديثة، د. م، ١٩٧٢م.

٤٠- خطاب، محمود شيت: **قادة فتح الأندلس**، دار منار للنشر، ط١، د. م، ٢٠٠٣م.

٤١- أبو خليل، شوقي: فتح **صقلية**، دار الفكر، ط١، دمشق، ١٩٨٠م.

٤٢- الخلف، سالم بن عبد الله: **نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس**، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط١، السعودية، ٢٠٠٣م.

٤٣- داود، نبيلة عبد المنعم: **نشأة الشيعة الإمامية**، مطبعة الرشاد، بغداد، ١٩٦٨م.

٤٤- الدسوقي، إبراهيم: **شاعر الدولة الفاطمية: تميم بن المعز**، مركز النشر لجامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٩١م.

٤٥- الدوري، تقي الدين عارف: **صقلية علاقاتها بدول البحر المتوسط**، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠م.

٤٦- ----------: **دراسات في تاريخ العرب وحضارتهم في صقلية**، جامعة ناصر، ط١، ليبيا، ١٩٧٧م.

٤٧- دوزي، رينهرت: **المسلمون في الأندلس**، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م.

٤٨- دياب، صابر محمد: **الدولة الفاطمية** (نشأتها- سياستها الداخلية- سياستها الخارجية)، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٤٩- ----------: **سياسة الدول الإسلامية في حوض البحر المتوسط من أوائل القرن الثاني الهجري حتى نهاية العصر الفاطمي**، عالم الكتب، ط١، القاهرة، ١٩٧٣م.

٥٠- الدشراوي، فرحات: **الخلافة الفاطمية بالمغرب**، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٩٩٤م.

٥١- ديورنت، ول: **قصة الحضارة**، تر: زكي نجيب وآخرين، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م.

٥٢- الرحيلي، سليمان: **السفارات الإسلامية إلى الدولة البيزنطية**، مكتبة التوبة، الرياض، د.ت.

٥٣- رجب، محمد: **الدولة العبيدية (الفاطمية)**، مكتبة العبيكان، ط١، الرياض، ٢٠٠٢م.

٥٤- روميتو، فاليريو: **الإسلام في صقلية**، تر: ساندي هلال، روما، ٢٠٠٢م.

٥٥- الزركلي، خير الدين: **الأعلام**، دار العلم للملايين، ط١٥، بيروت، ٢٠٠٢م.

٥٦- زكار، سهيل: **الجامع في أخبار القرامطة**، دار حسان، ط٣، دمشق،١٩٨٧م.

٥٧- -------: **أخبار القرامطة في الأحساء والشام والعراق واليمن**، دار حسان، ط٢، دمشق، ١٩٨٢م.

٥٨- الزهراني، علي بن محمد: **الحياة العلمية في صقلية الإسلامية**، جامعة أم القرى، ١٩٩٦م.

٥٩ – زيتون، محمد: **المسلمون في المغرب والأندلس**، دار الكتب، القاهرة، ١٩٩٠م.

٦٠- زيدان، جرجي: **عبد الرحمن الناصر**، دار الهلال، القاهرة، ١٩٨٤م.

٦١- السامرائي، خليل، وآخرون: **تاريخ العرب وحضاراتهم في الأندلس**، دار الكتاب الجديد، ط١، بيروت، ٢٠٠٠م.

٦٢- سالم، عبد العزيز؛ العبادي، أحمد مختار: **تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٩م.

٦٣- سالم، عبد العزيز: **تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٤م.

٦٤- ----------: **في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٥م.

٦٥- سرور، محمد جمال الدين: **تاريخ الدولة الفاطمية**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٤م.

٦٦- ----------: **سياسة الفاطميين الخارجية**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٦م.

٦٧- ----------: **الدولة الفاطمية في مصر**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٩م.

٦٨- سيمينوفا، ل. أ : **تاريخ مصر الفاطمية**، ترجمة: حسن بيومي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠١م.

٦٩- سيد، أيمن فؤاد: **الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد**، الدار المصرية اللبنانية، ط١، القاهرة، ١٩٩٢م.

٧٠- السويدان، طارق: **الأندلس التاريخ المصور**، الإبداع الفكري، ط١، الكويت، ٢٠٠٥م.

٧١- سيسالم، عصام سالم: **جزر الأندلس المنسية** (التاريخ الإسلامي لجزر البليار)، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٨٤م.

٧٢- الشامي، أحمد: **صلاح الدين والصليبيون**، النهضة العربية، ط١، القاهرة، ١٩٩١م.

٧٣- الشريف، محمد الهادي: **تاريخ تونس**، تعريب: محمد الشاوس؛ محمد عجينة، دار سراس، ط٣، تونس، ١٩٩٣م.

٧٤- الشطشاط، علي حسين: **تاريخ الإسلام في الأندلس**، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠١م.

٧٥- شعبان، محمد: **الدولة العباسية والفاطميون**، الأهلية للنشر والتوزيع، ط١، بيروت، ١٩٨٢م.

٧٦- صادق، حسن: **جذور الفتنة في الفرق الإسلامية**، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٧٧- الصوفي، خالد: **تاريخ العرب في الأندلس**، منشورات جامعة قار يونس، ط٢، ١٩٨٠م.

٧٨- الصلابي، علي محمد: **الدولة الفاطمية**، مؤسسة إقرأ للنشر، ط١، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٧٩- ----------: **الدولة العبيدية في ليبيا**، دار البيارق، ط١، عمان، ١٩٩٨م.

٨٠- ضيف، شوقي: **عصر الدول والإمارات**، دار المعارف، ط١، القاهرة، د. ت.

٨١- الطالبي، محمد: **الدولة الأغلبية التاريخ السياسي**، تعريب: المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي، ط٢، بيروت، ١٩٩٥م.

٨٢- الطيبي، أمين توفيق: **دراسات في تاريخ صقلية الإسلامية**، دار أقرأ، طرابلس الغرب، ١٩٩٠م.

٨٣- طقوش، محمد سهيل: **تاريخ الفاطميين في شمال إفريقيا و مصر و بلاد الشام**، دار النفائس، ط١، بيروت، ٢٠٠١م.

٨٤- ----------: **تاريخ المسلمين في الأندلس**، دار النفائس، ط١، بيروت، ٢٠٠١م.

٨٥- ----------: **تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية**، دار النفائس، ط١، بيروت، ٢٠٠٣م.

٨٦- الطنطاوي، علي: **رجال من التاريخ**، دار المنارة، ط٨، جدة، ١٩٩٠م.

٨٧- عباس، إحسان: **العرب في صقلية**، دار الثقافة، ط١، بيروت، ١٩٧٥م.

٨٨- عبد الحميد، سعد زغلول: **تاريخ المغرب العربي**، منشأة المعارف، الإسكندرية، د. ت.

٨٩- عبد اللطيف، عبد الشافي محمد: **السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي**، دار السلام، ط١، القاهرة، ١٤٢٨هـ.

٩٠- العدوي، إبراهيم أحمد: **الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، د. ت.

٩١- العبادي، أحمد مختار: **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٩م.

٩٢- ----------: **صور من حياة الحروب والجهاد في الأندلس**، منشأة المعارف، ط١، الإسكندرية ،٢٠٠٠م.

٩٣- ----------: **في التاريخ العباسي والأندلسي**، دار النهضة العربية، بيروت، د. ت.

٩٤- ----------: **في التاريخ العباسي والفاطمي**، دار النهضة العربية، بيروت، د. ت.

٩٥- ----------: **في تاريخ المغرب والأندلس**، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، د. ت.

٩٦- العسيري، أحمد معمور: **موجز التاريخ الإسلامي**، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، الدمام، ١٩٩٦م.

٩٧- العشماوي، محمد سعيد: **الخلافة الإسلامية**، سينا للنشر، ط٢، القاهرة، ١٩٩٢م.

٩٨- عطا الله، خضر أحمد: **علاقات الدولة الفاطمية بالدول الإسلامية والأجنبية**، دار ابن زيدون، ط١، بيروت، د. ت.

٩٩- عطية، عبد الرحمن: **موسوعة المصادر والمراجع**، دار الأوزاعي، ط٥، بيروت، ١٩٩٨م.

١٠٠- العفيفي، عبد الحكيم: **موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية**، أوراق شرقية، ط١، بيروت، ٢٠٠٠م.

١٠١- عمران، محمود سعيد: **إدارة الإمبراطورية البيزنطية**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠م.

١٠٢- عنان، محمد عبد الله: **دولة الإسلام في الأندلس**، مكتبة الخانجي، ط٤، القاهرة، ١٩٩٧م.

١٠٣- الغامدي، خالد بن ناصر: **الصراع العقائدي في الأندلس**، مكتبة الكوثر، ط١، الرياض، ١٤٢٩هـ.

١٠٤- غنيم، إسمنت: **الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية**، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٣م.

١٠٥- فازيليف: **العرب والروم**، ترجمة: محمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٠م.

١٠٦- فرح، نعيم: **تاريخ بيزنطة السياسي**، منشورات جامعة دمشق، دمشق، ١٩٩٢م،

١٠٧- الفقي، عصام الدين: **تاريخ المغرب والأندلس**، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٤م.

١٠٨- أبو الفضل، محمد أحمد: **تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦م.

١٠٩- القصير، سيف الدين: **ابن حوشب والحركة الفاطمية في اليمن**، دار الينابيع، دمشق، د. ت.

١١٠- كحالة، عمر رضا: **معجم المؤلفين**، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٩٩٣م.

١١١- كرد علي: محمد عبد الرزاق: **خطط الشام**، مكتبة النوري، ط٣، دمشق، ١٩٨٣م.

١١٢- كريم، الحبيب: **عبيد الله المهدي وتكوين الدولة الفاطمية**، وزارة الثقافة التونسية، تونس، ٢٠٠٥م.

١١٣- كولان، ج. س: **الأندلس**، تر: إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني، ط١، بيروت، ١٩٨٠م.

١١٤- لقبال، موسى: **المغرب الإسلامي**، الشركة الوطنية للنشر، ط١، الجزائر، ١٩٨١م.

١١٥- لويس، أرشيبالد .ر: **القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط**، ترجمة: أحمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د. ت.

١١٦- ماجد، عبد المنعم: **ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر**، دار الفكر العربي، ط٤، القاهرة، ١٩٩٤م.

١١٧- مروينو، مارتينو ماريو: **المسلمون في صقلية**، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٧٥م.

١١٨- مجموعة مؤلفين: **أطلس العالم الكبير**، مكتبة الصغار، بيروت، ١٩٩٩م.

١١٩- مجموعة مؤلفين: **دائرة المعارف الإسلامية**، أصدرها باللغة العربية: زكي إبراهيم خورشيد، احمد الشنتاوي، عبد الحميد يونس ، طبعة دار الفكر، د. م، د. ت.

١٢٠- مجموعة من الباحثين: **الموسوعة التاريخية**، إشراف: عَلوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت، ١٤٣٣هـ.

١٢١- محمد، محمد الأمين؛ الرحماني، محمد: **المفيد في تاريخ المغرب**، دار الكتاب، الدار البيضاء، د. ت.

١٢٢- محمود، سلام شافعي: **أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول**، الهيئة المصرية، القاهرة، ١٩٩٥م.

١٢٣- مدحت، أحمد: **سفن الأسطول الإسلامي**، د. م، د. ت.

١٢٤- المدني، أحمد توفيق: **المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٣٦٥هـ.

١٢٥- مسعد، سامية مصطفى: **العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية**، عين للدراسات، ط١، مصر، ٢٠٠٠م.

١٢٦- مصطفى، شاكر: **التاريخ العربي والمؤرخون**، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٩٣م.

١٢٧ – ---------: **الأندلس في التاريخ**، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٠م.

١٢٨– مفتاح، صالح مصطفى: **ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر**، الشركة العامة للنشر، ط١، مصر، ١٩٧٨م.

١٢٩– مكي، محمود علي: **التشيع في الأندلس**، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٤م.

١٣٠– مؤنس، حسين: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٤م.

١٣١– ---------: **موسوعة تاريخ الأندلس**، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، القاهرة، ١٩٩٦م.

١٣٢– موقع الإسلام: **تعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية لابن كثير**، الشاملة.

١٣٣– **الموسوعة العربية الميسرة**: لجنة من العلماء والباحثين العرب، برئاسة محمد شفيق غربال، دار النهضة، بيروت، ١٩٨٧م.

١٣٤– **الموسوعة العربية العالمية**، كمبيوتر.

١٣٥– **الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي**: نقلاً عن: موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي نقلها وأعدها للشاملة: أبو سعيد المصري، المكتبة الشاملة.

١٣٦– هندي، إحسان: **الجيش العربي في عصر الفتوحات**، طبع القيادة العامة للجيش، دمشق، ١٩٧٣م.

١٣٧– النداف، نزار: **أطلس الوطن العربي والعالم**، دار القلم العربي، ط١، حلب، ٢٠٠٣م.

١٣٨– نصر الله، سعدون: **دولة الأدارسة في المغرب (العصر الذهبي)**، دار النهضة العربية، ط١، بيروت، ١٩٨٧م.

١٣٩– نعنعي، عبد المجيد: **تاريخ الدولة الأموية في الأندلس التاريخ السياسي**، دار النهضة العربية، بيروت، د. ت.

١٤٠- نوح، علي: **الإسماعيلية بين خصومها وأنصارها**، دار التوحيد، ط١، حمص، ٢٠٠٠م.

- الرسائل الجامعية:

١- بوراس، رفيق: **الأوضاع الاجتماعية بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية (٢٩٦-٣٦٢هـ/ ٩٠٨ - ٩٧٢م)**، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة منتوي قسنطينة، الجزائر، ٢٠٠٨م.

٢- سليمان، معن: **العلاقات الخارجية للخلافة الفاطمية**، رسالة دكتوراه، غير منشورة، إشراف: سهيل زكار، جامعة دمشق، ٢٠٠٦م.

٣- الصغير، أجفان: **المؤسسات الإدارية في الدولة الفاطمية**، رسالة دكتوراه، غير منشورة، إشراف: سهيل زكار، جامعة دمشق، ٢٠٠٢م.

٤- العيد، عماد صالح: **حقوق الإنسان في مصر في العهد الفاطمي**، رسالة ماجستير، غير منشورة، إشراف: غسان وشاح، الجامعة الإسلامية غزة، ٢٠١٤م.

٥- وردة، زينب: **الخلافة الفاطمية في عهد المنصور إسماعيل**، رسالة ماجستير، غير منشورة، إشراف: فايزة كلاس، جامعة دمشق، ٢٠١٠م.

٦- اليحيى، عبدالله بن محمد: **أسد بن الفرات ودوره في العلم والدعوة**، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: عبدالله المطلك، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، د، ت.

- **المجلات والدوريات:**

١- الحياني، أحمد عماش عبد الله: **صقلية موقعها وأهميتها حتى الفتح الإسلامي**، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج١٤، العدد ٧، العراق، ٢٠٠٧م.

٢- الحسن، حمزة السر محمد: **الصراع الأندلسي الفاطمي في بلاد المغرب**، المجلة الليبية العالمية، العدد ١٤، ليبيا، ٢٠١٧م.

٣- أحمد، علي: **دور المولدين في الدولة العربية بالأندلس**، مجلة دراسات تاريخية، العدد ١٢٥-١٢٦، دمشق، ٢٠١٤م.

٤- الكلاس، فايزة محمد: **السياسة البحرية الفاطمية في المرحلة المغربية**، مجلة دراسات تاريخية، العدد ١٢٧-١٢٨، دمشق، ٢٠١٤م.

٥- السعدي، عمر: **محاولات الفاطميين الاستيلاء على مصر**، مجلة دراسات تاريخية، العدد ٧، دمشق، ١٩٨٢م.

٦- زكار، سهيل: **الدولة الرستمية في تيهرت**، مجلة دراسات تاريخية، العدد ١٢، دمشق، ١٩٨٣م.

٧- أحمد، علي: **من الاصطلاحات التاريخية والحضارية الأندلسية والمغربية في العصور الوسطى**، مجلة دراسات تاريخية، العدد٦٣- ٦٤، دمشق، ١٩٩٨م.

٨- زيود، محمد: **مركز سلمية في الدعوة الإسماعيلية**، مجلة دراسات تاريخية، العدد ٩٩-١٠٠، دمشق، ٢٠٠٧م.

المراجع الأجنبية

1-ivanow: valadimir the Rise of the fatimids calcuttd 1992.

2- Fdachraoul, contribution A1, Histoire des fatimides er lfriaiya (Aradica8) 1961.

3-W.lvhow,the orgahization oftimia propayanda LBBRAS (1939).

4-Lezine: Mahdiya, Recherc has D'archealagie lslamique klmcksieck, 1965 .

5-Dozy: R. Histoire des Musulmans, d hglv; f hgthans D'Espagne, (Leyden -1932).

6- Levi- Provencal: Histoire des Musulmans, de l'Espagne, (Publiee en Espagnol Par, R. Menendez Pidal dans " Historia de Espana" T lV et V,(Madrid, 1957).

7- Levi- Provencal: La Politica afrlcana de Abd al Rahman III, (Al Andalus Vol. Xl, fasc. 2, 1946.

8-Fineley . M.I: A A ncient Sicily to the Arab Conquest, New York Press, 1968.

9-Freeman, Esward, A: The Normans at Palermo in Historical Essays (Third Series), New York, 1892.

10- The Cambridge Medieval History , VOL IIV part1 , Byzantium and nieghbor ,ed

By J.Hassey ,Cambridge the university press 1966.

11-Jules GAY, La I'ttalie Meridion ale etl, Empire Byzantin, Paris, 1904.

12-Vasiliev, A: Byzance et les. Bruxelles, 2. 1930.

13-Vasiliev, A: History of Byzantine Empire, Wisconisn, 1946.

ملخص باللغة الفرنسية

Résumé en français

L'État fatimide a été établi sur une base religieuse en Afrique du Nord (le Maghreb arabe), qui est le da'wa ismaélien qui remonte au septième imam Ismail bin Ja`far al-Sadiq, dont la lignée est attribuée à l'imam Ali bin Abi Talib, que Dieu soit satisfait de lui, et a été appelé fatimisme par rapport à Fatima al-Zahra, lui bénisse la paix de Muham Ali bin Abi Talib, que Dieu soit satisfait de lui.

Et le temps de la fatimide da`wa a traversé deux épisodes:

Le premier: une entreprise qui connaissait le rôle de la veste et tenait à cacher et à cacher son travail par crainte des autorités abbassides, qui poursuivaient toute activité religieuse contraire à celle-ci.

La seconde: la phase publique qui a commencé avec la proclamation du califat fatimide en 296 AH / 909 CE et s'est terminée avec la chute du califat fatimide en 567 AH / 1171 CE..

Les da'wa ismaéliens se distinguaient dès le début par l'exactitude, la confidentialité et l'activité dans le travail, où les da'is étaient choisis parmi les hommes les meilleurs, les plus sophistiqués et les plus avertis et ils étaient envoyés dans divers

mondes islamiques et même dans les parties éloignées de celui-ci, et ils étaient particulièrement intéressés par le Yémen et l'Afrique du Nord, et parmi les plus importants da'is ibn Hushab et Al-Halawani et Abu Sufyan et Abu Abdiull Il a beaucoup de mérite pour la création de l'État fatimide, car Abu Abdullah a été envoyé du Yémen à La Mecque pour rencontrer les pèlerins de Kutama Al-Maghribia, puis il est parti avec eux au Maghreb, et cet homme était connu pour sa piété, sa religion, sa sagesse et son amour de la famille.

Ce da'i a remporté de grands succès au Maghreb arabe et a pu y diffuser la da'wa ismaélienne et la tribu Kutama s'est tenue à ses côtés jusqu'à ce qu'il soit en mesure d'éliminer plusieurs pays qui existaient en Afrique du Nord. Il a éliminé l'État de Rustamid et l'État des Aghlabids et Idrisids et a étendu son influence pour couvrir de vastes zones en Afrique du Nord et a posé la première pierre de l'État. Le fatimidisme a alors commencé à envoyer des messages à l'Imam ismaélien Abdullah al-Mahdi, qui est parti de Salamanque au Levant en Égypte puis au Maghreb pour un long voyage chargé de dangers s'il était caché dans le costume de marchands, mais il n'a pas livré s'il a été arrêté et mis en prison par Al-Yassa bin Medrar, le gouverneur de Sijilmasa et Conscient de remords Abou Abdallah appelant à son commandement a été lancé immédiatement à Sijilmassa et sort son bac tué maître

Medrar alors l'allégeance des gens à Abdullah al-Mahdi successivement 296 AH / 909 AD.

Le Mahdi a commencé son travail en tant que souverain sortant qui a mis dans sa main toutes les rênes du gouvernement et est devenu le titulaire du pouvoir absolu et a commencé à établir les règles de l'État et à réglementer la vie politique, économique et sociale au Maroc et a construit une capitale pour lui sur la côte tunisienne dans un endroit entouré par la mer sur trois côtés un endroit bien fortifié et appelé Mahdia en l'an 300 AH / 912 m.

En raison du caractère unique de la décision, il a créé une opposition contre lui, dirigée par le frère d'Abu al-Abbas, Abu Abdullah al-Da'i, et le Mahdi a pu mettre fin à l'opposition et l'éliminer. Même Abu Abdullah al-Da'i, propriétaire du crédit pour la création de l'État fatimide, n'a pas été épargné.

Et après que le Mahdi ait établi la situation intérieure, il a commencé à chercher à étendre le territoire du pays, à envoyer des campagnes en Égypte et en Extrême-Ouest et à imposer son contrôle sur l'Afrique du Nord et à mettre en place une armée forte grâce à laquelle il a remporté de grandes victoires.

Al-Mahdi est décédé en l'an 322 AH / 934 AD et a prêté allégeance aux prédicateurs et aux hauts responsables de l'État, son fils et son prince héritier par le commandement de Dieu Abu al-Qasim, qui a suivi la politique de son père Al-Mahdi de

supprimer les révolutions et l'expansion pour accroître la compagnie de l'État et la révolution d'Abi Yazid Mukhallad bin Kaidad a eu un grand impact sur l'AD4. Les révolutions internes, et il a réussi à remporter la victoire sur la révolution la plus dangereuse qui a éclaté contre les États fatimides. La révolution d'Abi Yazid, après laquelle al-Mansur a commencé à organiser les affaires du pays et a construit la ville de Mansuriyya à l'endroit où il a vaincu Abi Yazid, près de la ville de Kairouan, et l'a pris comme sa présence. Sa vie À Mahdia, Mansuriyya et le contemporain de ceux qui l'ont précédé au gouvernement, et ils les ont surpassés dans les domaines de la science, de la politique, de la guerre et de la littérature. Pendant son règne, l'État a atteint sa force et sa portée maximales, et la vie économique, politique et militaire a prospéré. Il a encouragé la renaissance scientifique et culturelle et a envoyé des campagnes militaires en Extrême-Maghreb et a réussi à étendre son influence sur l'ensemble de l'Afrique du Nord. Jawhar al-Skalli. Ce chef a pu conquérir l'Égypte et a construit la ville du Caire en l'an 361 AH / 972 CE, faisant de l'Égypte la porte d'entrée du Mashrek arabe (Bilad al-Sham, Hejaz et Yémen ….).

Pendant la présence de l'État fatimide au Maghreb arabe, il est entré en conflit avec ses pays voisins et la rivalité de l'État omeyyade en Andalousie si la relation entre les fatimides et l'État omeyyade était hostile et chaque partie a commencé à chercher

à se défendre en se développant dans les régions de l'autre partie en utilisant toutes les méthodes et méthodes pour atteindre ses objectifs, sans aucun doute. Que la création de deux pays voisins sur des bases sectaires différentes était suffisante pour provoquer un conflit politique, militaire, intellectuel et culturel entre eux.

Les deux parties ont également utilisé les yeux, les espions et les prédicateurs pour connaître les conditions politiques, économiques et militaires de l'autre partie. Ces yeux cachaient leurs objectifs réels avec un rideau légitime, comme la science, les marchands ou le tourisme. Le conflit entre les deux parties a également accru la déclaration omeyyade du califat islamique en Andalousie.

Cela a mis en colère le califat fatimide. Le monde islamique a été divisé en trois différends islamiques fatimides au Maroc et les Abbassides à Bagdad et les Omeyyades en Andalousie. Le conflit entre les deux pays a continué jusqu'à ce que les Fatimides partent pour l'Égypte et dirigent leur attention vers l'Orient islamique. En ce qui concerne l'Andalousie, des divergences se sont produites au sein de la direction et divisées entre les États des sectes. Conflit entre les deux parties et moindre intérêt au Maroc.

La relation avec les Byzantins a également été marquée par l'hostilité. Puisque le Mahdi a choisi une capitale côtière pour lui sur la mer, il a commencé à prêter attention à la flotte navale afin de contrer les attaques répétées des Byzantins sur la côte nord de l'Afrique, et la plupart de ces attaques provenaient d'une île inférieure, l'île qui sert de médiateur à la Méditerranée avec un emplacement important Ce qui a fait réfléchir les musulmans arabes à leur ouverture depuis le début des conquêtes islamiques, et les campagnes islamiques en Sicile n'ont pas cessé jusqu'à ce que l'ancien chef Asad Ibn Al Furat ait réussi à les ouvrir pendant la période de l'État aghlabide, et lorsque l'État fatimide gouvernait l'Afrique du Nord, le règne de la Sicile a été transféré aux fatimides Et nommé famille canis à la règle 336 AH / 948 AD et a réussi cette famille dans la règle de la Sicile et qui portait leurs enfants sur l'état, et confronté les régimes byzantins qui tentent de récupérer l'île des Arabes et trouver un équilibre Alklbion entre les éléments de la population et ils ont gagné la confiance des habitants de l'île et a statué au nom des Fatimides.

Les batailles entre les Fatimides byzantins étaient en cours mais parfois entrecoupaient des relations pacifiques entre les deux parties lors de la conclusion des traités et accords entre les deux parties, cependant les Fatimides sont arrivés dans le sud de l'Italie et ont forcé les Byzantins à rendre hommage jusqu'à ce

que la Sicile soit transformée d'une base militaire byzantine en une base fatimide et la Méditerranée transformée en un lac Fatimide Ils ont pu ouvrir des zones de valeur stratégique.

La Sicile est devenue un centre de rayonnement de la civilisation, un débouché de la civilisation islamique vers l'Europe et un site commercial en mer Méditerranée supervisé par l'État fatimide.

Mais ce contrôle n'a pas duré longtemps et la règle fatimide a commencé à s'affaiblir en Sicile après la conquête de l'Égypte et à se diriger vers l'Est. Cette question les a distraits de prendre soin du bassin occidental de la Méditerranée et de se diriger vers l'est et a laissé la Sicile entre les mains des Zirides et le début de la domination islamique arabe s'affaiblissant en Sicile jusqu'à ce qu'elle soit finalement tombée par les Normands et donc la règle se termine Arabe islamique en Sicile pour toujours après avoir duré plus de deux cents ans.

الفهرس العام

الموضوع	الصفحة
–المحتوى	٢–٥
– الإهداء	٦
– شكر	٧
– دلالة الرموز (الاختصارات)	٨
– المقدمة	٩–١٢
–تعريف بأهم المصادر والمراجع	١٣–٣١
– المدخل	٣٢–٣٤
الفصل الأول: الأوضاع السياسية والعسكرية للدولة الفاطمية في المغرب العربي	**٣٥–١١٤**
أولاً– أوضاع المغرب العربي قبيل قيام الدولة الفاطمية	**٣٨–٤٦**
ث–الدولة المدرارية (بني واسول)	٣٨– ٤٠
ج– الدولة الرسمية	٤٠– ٤١
ح– دولة الأدارسة	٢٤– ٤٤
خ– دولة الأغالبة	٤٤– ٤٦
ثانياً– نشوء الدولة الفاطمية في المغرب العربي	**٤٦– ٧٩**
١. الدعوة الإسماعيلية في المغرب	**٤٦–٥٨**
٢. مساعي أبو عبد الله الشيعي لأقامة الدولة الفاطمية	٥٨–٧١
٣. وصول عبد الله المهدي إلى شمال أفريقيا وإعلان الخلافة الفاطمية	٧١–٧٩
ثالثاً– الأوضاع السياسية والعسكرية في عهد الخليفة المهدي	**٧٩– ١٠٢**
١. الصعوبات التي واجهت المهدي في بداية حكمه	**٧٩–٨٤**
٢. التوسع الفاطمي في مصر	٨٤–٨٨
د– الحملة الأولى	٨٥
ذ– الحملة الثانية	٨٦
ر– الحملة الثالثة	٨٧
٣. فتح مصر على يد المعز لدين الله الفاطمي	٨٨–٩١
٤. التوسع الفاطمي في المغرب العربي الأوسط والأقصى	٩١–٩٧

٥. دور المهدية في حماية الدولة الفاطمية	٩٧-١٠٢
رابعاً- الأوضاع السياسية في عصر خلفاء المهدي في المغرب العربي	**١٠٢-١٠٩**
خامساً- الجيش والأسطول الفاطمي	**١٠٩-١١٢**
الفصل الثاني: الصراع الفاطمي الأموي في الحوض الغربي للبحر المتوسط	**١١٣-١٧١**
أولاً- أوضاع الأندلس قبيل قيام الدولة الفاطمية.	**١١٥-١٢٣**
ثانياً- الأساليب التي استخدمها الفاطميون في صراعهم مع الأمويين	**١٢٣-١٤٢**
١. محاولات الفاطميين نشر مذهبهم الإسماعيلي في الأندلس	١٢٣-١٢٨
٢. إعلان الخلافة الأموية في الأندلس وأثرها في الصراع	١٢٨-١٣٣
٣. دعم الفاطميين للثورات التي قامت في الأندلس ضد الأمويين	١٣٣-١٤٢
٤. محاولات الفاطميين السيطرة على بلاد المغرب (الأوسط والأقصى)	١٤٢
ثالثاً- الأساليب التي استخدمها الأمويون في صراعهم مع الدولة الفاطمية	**١٤٢-١٥٩**
١. إعلان الخلافة الأموية في الأندلس وأثرها في الصراع	١٤٢
٢. العمل على بناء قوة بحرية	١٤٣-١٤٥
٣. موقف الأمويين لمن خرج عن طاعة الفاطميين في المغرب العربي	١٤٥-١٥٢
٤. تأييد الأمويين للثائرين على الفاطميين في بلاد المغرب	١٥٣-١٥٤
٥. السيطرة على الثغور المغربية المطلة على مضيق جبل طارق	١٥٤-١٥٦
٦. تحالف الناصر مع أعداء الدولة الفاطمية	١٥٧-١٥٩
رابعاً- الصراع البحري بين الفاطميين والأمويين	١٦٠-١٦٧
الفصل الثالث: الفاطميون في صقلية وجنوب إيطالية	**١٦٨-٢٢٣**
أولاً- السيطرة الفاطمية على صقلية	١٧٠-٢١١
١. أهمية صقلية للفاطميين	١٨١-١٨٢
٢. صقلية في عهد الخليفة المهدي وخلفائه	١٨٣-١٨٩
٣. حكم الكلبيين لصقلية تحت السيادة الفاطمية	١٨٩-١٩٨
٤. انتصار الفاطميين على الروم وفتح مناطق جديدة	١٩٩-٢٠٦
٥. الانتصار في معركة المجاز سنة ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م	٢٠٧-٢٠٩
٦. صقلية قاعدة عسكرية فاطمية في البحر المتوسط	٢٠٩-٢١١
ثانياً- علاقة الفاطميين مع جنوب إيطاليا	**٢١١-٢٢٢**
١. الأعمال العسكرية الفاطمية في جنوب إيطاليا	٢١١-٢٢٠
٢. العلاقات التجارية مع المدن الإيطالية	٢٢٠-٢٢٢

ثالثاً- السيادة الفاطمية على حوض البحر المتوسط الغربي	٢٢٢-٢٢٣
خاتمة	**٢٢٥-٢٣٠**
الخرائط والملاحق:	**٢٣٠-٢٣٧**
-خريطة رقم: (١) الدولة الفاطمية في المغرب	٢٣١
-خريطة رقم: (٢) المغرب العربي والأندلس	٢٣٢
-خريطة رقم: (٣) بلاد كتامة	٢٣٣
-خريطة رقم: (٤) موقع المهدية	٢٣٤
-خريطة رقم: (٥) القبائل العربية والبربرية في أرض كتامة	٢٣٥
-خريطة رقم: (٦) المنصور يطارد أبي يزيد الخارجي	٢٣٦
-خريطة رقم: (٧) صقلية وجنوب إيطاليا	٢٣٧
-خريطة رقم: (٨) الفتح العربي لصقلية وجنوب إيطاليا	٢٣٨
الملاحق	**٢٣٩-٢٤٢**
-ملحق رقم: (١) الأئمة والخلفاء الفاطميين	٢٣٩
-ملحق رقم: (٢) ولاة الفاطميين في صقلية	٢٤٠
-ملحق رقم: (٣) الولاة الكلبيين في صقلية	٢٤١
-ملحق رقم: (٤) ولاة صقلية بعد انهيار حكم الكلبيين	٢٤٢
فهرس المصادر والمراجع	**٢٤٣-٢٧٠**
المصادر	**٢٤٣-٢٥٥**
المراجع	**٢٥٦-٢٦٨**
المراجع الأجنبية	**٢٦٩-٢٧٠**
ملخص باللغة الفرنسية	**٢٧١-٢٧٧**
الفهرس العام	**٢٧٨-٢٨٠**

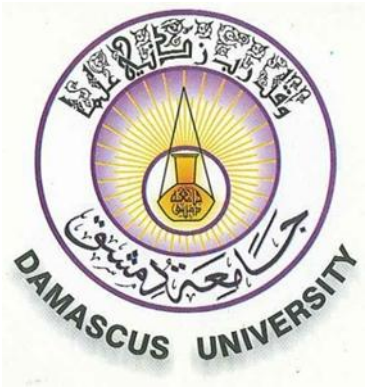

Republique Arabe Syrien

Universite' de Damas

Faculte de' Lettres Etslences Humanitaires

De'partment de Histoire

Histoiye De Arabe Et Islam Is lamique

Projet pour avoir de dectorart

Sous Titre

Le Lute Politique Et militaire Dans l' ouest De Lamer Med, Terranne de puis construire L' Etat fatimide jusque deplacer Le califat AlMou's a' cario 296- 361 h \ 909- 972 m

Sous Le Travail Dr. Fayza Mohmad Al Kalass

bresente l'etudiant: Mosa Ali Al kadro Al Hommada

Damas 1442\ 2020